تاريخ أوربا الحديث

من عصر النهضة

حتى

الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م

دكتور مصطفى رمضان

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
مقرر اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة
في التاريخ والحضارة
بجامعة الأزهر

القسم الأول

أوربا في عصر النهضة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد : أوربا في عصر النهضة :

يمثل عصر النهضة في أوربا المدخل الطبيعي لدراسة تاريخ أوربا الحديث ، وذلك لان عصر النهضة يساعدنا على فهم الأسس والعوامل التي كيفت التاريخ الأوربي في العصور الحديثة .

وعصر النهضة في أوربا هو فترة الانتقال من العصور الوسطى آلي العصور الحديثة والانتقال من العصور الوسطى آلي العصور الحديثة يحدث بطيئا وتدريجيا ولا يحدث فجأة ، إذ لابد من وجود فترة انتقال تبقى فيها الآراء القديمة الي جانب الآراء الجديدة حتى تستقر أخيرا المفاهيم الجديدة في أذهان الناس وتصبح دعائم ثابتة ومظاهر جديدة للعصر الجديد .

وعصر النهضة الأوربية (Renaissance) يغطى فترة زمنية تمتد بضعة قرون من سنة ١١٠٠ الي سنة ١٥٠٠ وتسبق هذه الفترة أو تزيد عنها في بعض أجزاء أوربا على اختلاف آراء المؤرخين ، ففي هذه الفترة تبدلت أحوال الناس السياسية وتغيرت أحوالهم الاجتماعية وآرائهم الدينية والأدبية والفنية ، وهب الناس من رقادهم يطلبون العلم ، وأخذوا ينظرون إلى الحياة نظرة جديدة تختلف كل الأختلاف عن نظرتهم السابقة .

هيمنة الكنيسة على الفكر :

كان للكنيسة في العصور الوسطى سلطان كبير على عقول الناس فكانت تطلب منهم أن يتبعوا تعاليمها من غير مناقشة ويطيعوا أوامرها طاعة عمياء ، وبذلك أماتت فيهم روح البحث والابتكار ، ووضعت الكنيسة قوالب للفكر يصب الناس تفكيرهم فيها ، وغضبت على كل من عصى أوامرها أو جرؤ على التفكير والاستقلال في الرأي بعيدا عن هذه القوالب وأخرجته من حظيرتها ، وترتب على ذلك أن انصرف الناس في العصور الوسطى إلى الجدل العقيم والمسائل العديمة القيمة ، وعمى الناس عن رؤية جمال العالم وكان إذا وقع نظرهم على شئ منه أعرضوا عنه وعدوه رجسا من عمل الشيطان ، ولم تكن الدنيا في رأيهم إلا مطية للدار الآخرة ، وكان الإنسان لا يفكر إلا في ذنوبه وفى هول الموت والحساب ، وكان الجمال في نظره شركا نصب له ، كما كان التمتع به من أكبر الآثام ، وكان الجدل في اعتقاده مقبولا عند الله لانه دليل على صدق العقيدة وقوة الإيمان والخضوع لأوامر الدين ، تلك كانت آراء الناس في العصور الوسطى فى أوربا ، وذلك كان تفكيرهم ٠

ويلاحظ أن هذا الانتقال في بلد أسرع وأكمل منه في بلد آخر ، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن هذا التحول لم يعم العالم بأسره بحيث تركه خاليا من رواسب العصور الوسطى ، كما أنه في العصور الوسطى

نفسها لمعت هنا وهناك ومضات للعقل البشرى يبدو أنهـــا لا تمـــت للعصور الوسطى بصلة ، فبينما كانت أوربا تمر بما سبق من تخلف كـان المسلمون يمضون قدما في إقامة بنيان حضاري شامخ سريع التطـــور ، وكان أثر الإسلام والمسلمين في التاريخ أثرا خلاقا مبدعا لم يقف عنـــد حد التغيرات السياسية وانما كان واضحا جليا في الميدان الحضاري فقد استوعب المسلمون الحضارات السابقة وأفرزوا نتاجا حضا ريا تقدمـوا بالحضارة الإنسانية به إلى الأمام خطوات كبيرة .

ولما أفاقت أوربا الغربية في أواخر القرن الحادى عشـــر وجـــدت نفسها أمام حضارة إسلامية عملاقة ، وكان أن هرع طلاب العلم مـــن مختلف أنحاء أوربا الغربية إلى مراكز الحضارة الإسلامية في الأندلــــس الإسلامية العريقة ، ونتج عن ذلك قيام وثبة حضاريـــه أزدهـــرت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر عرفت (بالنهضة الوسيطة) ، وقـــد أدت هذه النهضة الوسيطة إلى تمهيد طريق الرقى ، وأصبحت النفـوس مهيأة لقبول الانقلاب العظيم الذي حدث في بداية القرن الرابع عشـــر حوالي سنة ١٣٠٠ م ، ونعنى به (النهضة الأوربية الحديثة) . .

الفصل الأول



إيطاليا و النهضة :

والحضارة الأوربية الحديثة استمدت أصولها من النهضة الأوربية التي بزغت في إيطاليا منذ مطلع القرن الرابع عشر والتى ترجع جذورها إلى النهضة الوسيطة ، والتى هي من ثمار الاتصال الحضاري بين أوربا الغربية ومراكز المدنية الإسلامية .

وكانت إيطاليا في عصر النهضة مقسمة الى دويلات صغيرة ومدن متحاسدة ومتباغضة قامت فيها حكومات استبداديه تنتحل لنفسها أسم الجمهوريات وكان أهلها على جانب عظيم من الذكاء والروح الفنية ، وكان فى إيطاليا فى عهد النهضة خمس دول قوية هى :

فلورنسا ، وميلان ، والبندقية ، ونابلى ، وروما .

ويرجع السبق الإيطالي فى قيام النهضة الى عدة عوامل منها رخاء إيطاليا الاقتصادى واتصالها الحضارى بالشرق الإسلامي ، فقد كان لانتقال أهالى مدن البندقية وجنوه وميلان ونابلى وغيرها من المدن الإيطالية من ثغور مصر والشام والبلاد الإسلامية الى الموانئ الإيطالية ، أثر فى استنارة الأفكار فى إيطاليا ، وذلك لما اقتبسوه من الحضارة الإسلامية المتقدمة ، كما كانت شبه الجزيرة الإيطالية مهدا للحضارة الرومانية ، وكانت المدن الإيطالية الكبرى تزخر بقدر كبير من هذه الحضارة القديمة فقد كان فيها العديد من المبانى والتماثيل والمخطوطات

والنقوش ، كما تمتعت إيطاليا بقدر كبير من السلام وبذلك هيأ لنهضتها المناخ الصحى للنمو والازدهار •

يضاف الى ما تقدم أنه هيأ لإيطاليا قيام حكومات مستنيره قوية فى المدن الإيطالية ، فقد انقسمت البلاد الى دويلات سياسية وقامت فيها حكومات مستنيرة اشتد بينها التنافس على تشجيع الآداب والفنون ، وتشجيع أهل العلم والمعرفة والأدباء والفنانين ، وقام هؤلاء الأمراء المستنيرون بتأسيس العديد من المكتبات التى ذخرت بالمخطوطات والمجلدات والكتب ،وقد تنافست مدن إيطاليا في إنشاء هذه المكتبات واقتناء أنفس الكتب وأغلى المخطوطات ، كما أنتشرت المجامع العلمية ويطلق عليها الأكاديميات وهى التى أسهمت في نشر الدراسات الإغريقية اللاتينيه وقد تنافست الاسرات الحاكمة في المدن الإيطالية في إنشاء تلك الأكاديميات وتدعيمها وفاقت فلورنسا سائر المدن في هذا المضمار بفضل رعاية (أسرة مدتشي) للآداب والفنون •

كما كان (لموقع ايطاليا) الجغرافى الممتاز أثر كبير فى نشأة النهضة فهى تقع فى وسط البحر المتوسط الذى قامت على ضفافه أعرق الحضارات وكان هذا البحر هو مركز النشاط الاقتصادى للعالم فى العصور الوسطى وتمر به التجارة من الشرق الى الغرب ، وكانت المدن الايطالية هى حلقة الاتصال بين الشرق الاسلامى وبين أوربا • واتصل العلماء البيزنطيون بايطاليا قبل سقوط القسطنطينية لنشر الدراسات

الانسانية التى كانت متقدمة فيها ، وبعد سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣ بدأت هجرة هؤلاء العلماء الى ايطاليا للاقامة فيها فأثروا الفكر الايطالى أيما ثراء .

وأشتهر الشعب الايطالى بميل طبيعى الى الحياة الفنية بشتى صورها وأشكالها وظهر هذا الميل فى شغفهم الشديد بامتاع حواسهم ورغباتهم بالجمال الحسى والمعنوى من موسيقى ورقص وأغان وتصوير ونحت ، وعمارة وشعر وغير ذلك من الفنون والآداب .

وعندما ضيق الاتراك العثمانيون الخناق على البيزنطيين رحل بعضهم الى ايطاليا فانتشرت بذلك اللغة الاغريقية وآدابها بين العلماء الايطاليين وكان هؤلاء اللاجئون الاولون هم الذين مهدوا السبيل للعلماء الذين رحلوا من القسطنطينية الى غرب اوربا سنة ١٤٥٣ وفى هذا العام كان الحادث التاريخى العظيم وهو سقوط القسطنطينية فى يد الاتراك العثمانيين وهو حادث كان له أثره فى سير النهضة بوجه خلص وفى التاريخ كله بوجه عام ، فكان من آثاره أن رحل علماء الاغريق الى ايطاليا ثم ساروا منها الى غربى أوربا ، فنشروا فى ايطاليا اللغة الاغريقية والآداب الاغريقية بين العلماء الذين شغفوا بفلسفة الاغريق وآدابهم وفنونهم ، فأكبوا على دراسة ما كتبه كبار فلاسفة اليونان أمثال (سقراط) و(أفلاطون) و(أرسطو) والعلماء العظماء أمثال (أقليدس) و(بطليموس) ، ومن ذلك الحين أخذ الايطاليون يقلدون آثار

الاغريق الفنية فى البناء والنحت والتصوير فانتشر الفن الاغريقى فى ايطاليا ، كما أنتشرت فيها الفلسفة ، والاداب الأغريقية .

ثم هرع الى ايطاليا طلاب العلوم والآداب من سائر أنحاء أوربا فدرسوا فيها وعادوا الى بلادهم يحملون معهم ثمار العلوم الاغريقة القديمة ، فعمت النهضة معظم أجزاء أوربا ، لكن ظروف كل بلد واحواله الخاصة شكلتها بشكل خاص ، فظهرت فى ايطاليا وفرنسا بمظهر أدبى وفنى كان الغرض منه التنقيب عن الآداب القديمة والفن القديم ، أما فى ألمانيا فقد ظهرت بمظهر دينى فلسفى تجلى فى حركة الاصلاح الدينى التى قامت على يد مارتن لوثر ، (وفى أسبانيا) بشكل أدبى وفنى ومحاولة جدية ترمى الى مقاومة الثورة الدينية التى عمت أوربا بحركة أخرى مثلها معارضة لها غرضها القضاء على هذه الثورة ووسيلتها اصلاح عيوب الديانة الكاثوليكية .

خصائص النهضة الاوربية :

تميزت هذه النهضة بأنها كانت علمانية أى لم تنشـــأ فى رحـــاب الكنيسة ولم تخضع لها . واعتمدت فى نهاية العصور الوسطى فى نموهـــا على المركز القوى الذى سمت اليه المدن

ومن هذه الخصائص أن فنانيها لم يتقدموا كثيرا بالتخصص الضيق ، فمثلا وجد فى فلورنسا نقاشون ونحاتون انتموا فى نفس الوقت الى فئـة الأطباء والصيادلة بعد أن كانوا قد تلقنوا على أيدى الصاغة الذيـــن جمعوا بين العلم والتجارة معرفة واسعة بالفنون والحرف فكـــان مـــن الأمور العادية أن يتحول الناس من النقش الى النحت ومن النحـت الى العمارة وأشغال المعادن ومن كل هذا الى الشعر والفلســـفة والعلـــوم الطبيعية ، وعلى ذلك فان التطلع الى المعرفة الشاملة كان ظاهرة مـــن ظواهر العصر شارك فيها الفنانون جميعا .

وتمشىفن النهضه مع التقاليد المسيحيه ، تستوي في ذلك مظـاهره المبكره في فلورنسا و المتأخره في البندقيه بحكم أن الكنيسه كانت أكـبر معضد : وهكذا نجد عشرين موضوعا مستقاه من الانجيل يقابلـــها موضوع واحد استقاه الفنانون من الاداب القديمه هذا الي ان بعـــض المبرزين من الرسامين كانوا رهبانا ، ولكن بمرور الزمن فقـــد رســـم الموضوعات الدينيه كثيرا من مميزاته الروحيه التي اتسم بها في البدايـــه فأصبحت الشخصيات في اللوحات أقل كهانه وتزمتا واقتربوا كثـــيرا

من واقع الحياه الانسانيه وفي هذا المجال انطبع الفن بشـــكل حاســم بالطابع الدنيوي والنقدي الذي ساد العصر وخاصه في روما.

وتميز عصر النهضه أيضا باجري وراء المجد الشخصي ، ولكـــي يخلد الاغنياء أنفسهم خلال الفن ،راحوا يحفزون الرسامين والفنانين الى ابداع الصورة والتماثيل ، كذلك اكتسبت العمارةالفلورنســيةالفخمة شهرة سريعة ، وكماطلب الخلود رعاة الفن من الفنانين ،كذلك طلـب أهل الفن الخلود بأعمالهم ؛ وانتهى عهد المعماريين المجهولين والعمــائر التى ساهمت فى تشييدها أجيال متوالية من الفنانين المغمورين بعـــد أن أصبح المعمارى فى عصر النهضة يتوقع أن يجنى ثمرة عمله بعد اتمامــه وهى شهرة تطير له أثناء حياته .

وفى مجال الأدب كان الطابع الأساسىللنهضة الايطاليـــة هــو الابتعاد عن الافق المدرسى والدينى المهيمن على العصور الوسطى ، مع شغف شديد بالحياة الوثنية القديمة وآدابها كما لوكان ذلك تعويضا عن اتجاهات الماضى .

وأخيرا نجحت المدن الايطالية فى ظل النهضة فى أن تصبح وحدات سياسية حرة فىوسط اقطاعى متزمت . وأن تغدو مهدا للطبقة الوسطى ولنموالشعورالقومى ،وأن تكون معول هدم فى بنيان النظام الاقطـاعى والحد من نفوذ الكنيسة وقد تجمعت فى المدن الـــثروات لأن ســكانها اعتمدوا على التجارة والصناعة وابتعدوا عن ســيطرة الاقطــاعيين ،

ولذلك فان النهضة الاوربية قامت على أكتاف سكان المدن وهم أفراد الطبقة الوسطى وكانت هذه المدن مراكز اشعاع فكرى وفنى وقومـــى وحضارى ومهداً للنشاط الاقتصادى والسياسى فى أوربا .

مظاهر النهضة الأوربية :

كان فى مقدمة مظاهر النهضة الأوربية :

١– بعث الدراسات الاغريقية واللاتينية .

٢– انشاء كثير من دور العلم وهى ما كان يطلق عليه الأكاديميات .

٣– انشاء العديد من المكتبات العامة والخاصة .

٤– الاهتمام بدراسة الاثار والتاريخ والفنون .

٥– نشأة اللغات الأوربية الحديثة كالايطالية والفرنسية والأسبانية .

وكانت حركة احياء الدراسات القديمة تقوم على دراسة الفكـر الاغريقى واللاتينى بدراسة المخطوطات القديمة ، وحينما توغلـــوا فى الدرس والتنقيب عن القديم رأوا أنه لابد لهم من اتقان (اللغة العربية) لان الكتب اليونانية كلها كانت قد نقلت الى العربيـــة أيـــام الدولـــة العباسية ، وتبين لديهم أنه كان للعرب الفضل الاكبر فى حفظ الـتراث اليونانى اذ لولاهم لضاع معظم المؤلفات التى وضعها الفلاسفة والعلماء والادباء فى العصور اليونانية الزاهرة .

وكان على رأس المتعمقين فى الدراسات القديمة بوكاشـيو (١٣١٣ – ١٣٧٥) ، وكريز ولورانس ، وكان من المتعمقين فى الدراســـات

اللاتينية ، وبترارك (١٣٠٤ - ١٣٧٤) ودانتى (١٢٦٥ - ١٣٢١) .

ومن مظاهر النهضه ايضا ظهور اللغات الاوربيه الحديثه ،فقد كانت اللغه اللاتينيه هي لغة العلم والكتابه في العصور الوسطى ثم تضاءل استخدامها حتى أصبحت مقصوره على رجاء الكنيسه وظهرت في شمال أوربا لهجات محليه أخرى ،وعمد علماء كل لهجه الى نحت كلمات وعبارات جديده حتى أصبحت هذه اللهجات الجديده صالحة لتدوين العلوم والآداب ،وأصبح العلماء يهتمون بذلك كمظهر من مظاهر النزعه القوميه ، وعاملا هاما ساعد على نشر الافكار الجديدة بلغة سهلة في متناول جميع الناس لأن اللاتينيه كانت لغة الخاصه ، ففي ايطاليا كتب (دانتي) روايتها الخالده (الكوميديا الالهيه)وهي الروايه التي اقتبسها من ((رسالة الغفران)) للفيلسوف العربي أبي العلاء المعرى وهذا هو شأن أوربا في كل ما اقتبسته من الشرق بصفة عامه والشرق العربي و الاسلامي بصفة خاصه . فانها تتصف بالجحود ونكران الجميل.

وفي فرنسا كتب (مونتين) بالفرنسية رسائل رائعة في الفلسفه والاخلاق ، وفي انجلترا وضع (شوسر) قصصه المشهوره باللغة اللانجليزيه ، وفي ألمانيا أنشد الشعراء قصائدهم الغراميه بلغة بلادهم ،

وبدأت الجامعات الاوربيه في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القـــرن السادس عشر تجد في نشر العلوم والمعارف بلغاتها الحديثه .

دراسة الآثار والتارخ :

وشهد عصر النهضة اهتماما كبيرا بدراسة الآثـــار والتــاريخ ، وانطلق العلماء ينقبون عن الآثار الفنية الرومانية تقديـــزا لقيمتــها ، وبدأت دراسة علمية منظمة لتلك الآثار ، وظفر علم التاريخ بجـــانب الدراسات الأثرية بعناية فائقة وتقدمت الدراسات التاريخية لاعتمادهـا على مصادر موثوق بها ، بعد أن كانت تعتمد على الأقوال والسماع.

الفنون الجميلة :

كما تقدمت الفنون الجميلة ونبغ الايطاليون فى هذا المجال ، فهم أصحاب الفضل فى ابتكار الفن الحديث والارتفـــاع بمســتوىالفنون الجميلة الى أسمىدرجات الكمال وعلىالأخص فىالتصوير والنحــت ، فقد بلغ فن الصوير حد الابداع الفنى حتى اعتبره المؤرخـــون الفـــن الأول لعصر النهضة فى ايطاليا ، وبرزت بوجه خاص فى هذا الميــــدان مدينتا (البندقية) و(فلورنسا) .

وتميزت الأولى: بالروح التحررية البعيدة عن التقاليد الكنسـية ، وتميزت الثانية : بالروح الدينية ، ويعتبر (روفائيل) علىرأس الفنانين الذين برعوا فى فن التصوير فى ايطاليا ومن آثاره الفنية صورة النـــزاع حول الأسرار المقدسة ، وهى تحفة فنية رائعة خلفها روفائيل فى قصـــر

الفاتيكان بروما ، وتمثل هذه الصورة الديانة كما تخيلها روفائيل الـذى يعتبر من كبار رسامى عصر النهضة الحديثة .

وهناك (ليوناردو دافنش) الذى اشتهر بنشاطه فى فروع شـتى من المعرفة والفنون وسنتكلم عنه فيما بعد بإفاضة .

فن النحت :

كما تقدم فن النحت فى عصر النهضة وساعد على تقدمه وجود العديد من التماثيل الرائعة التى خلفها الاغريق والرومان بالاضافـة الى ما تم اكتشافه من تماثيل أخرى ، وقد أنجب عصر النهضة نخبـة مـن النحاتين أمثال (لورنزو) وهو من مدينة فلورنسا ، ولم يتقيد النحاتون بتقاليد العصور الوسطى فكانوا يحرصون على اظهار مفـاتن جسـم الانسان ، دون التقيد بالاخلاق العامة ، وبذلك غلب على النحـت المظهر الوثنى .وكانت العمارة هى الفن الوحيد الذى لم يندثر طـوال العصور الوسطى ، وظهر فى شمال أوربا طراز جديد من العمارة هـو الطراز القوطى الذى يتميز بكثرة الأقبية العالية والدعائم المعلقة وانتقل هذا الطراز الى ايطاليا وبرز فى بناء العمائر الدينيـة مثـل الكنـائس والكاتدرائيات واشتهرت عدة مدن فى هذا المجال كـان فى مقدمتـها (فلورنسا) و(روما) و(البندقية) .

الاختراعات الحديثة :

لقد كان للنهضة أثرها العظيم فى استخدام كثير من المخترعات التى لم تكن شائعة أو مستعملة من قبل ، وهى الابرة المغناطيسية والاسطرلاب والبارود والطباعة والورق.

أما (الأبرة المغناطيسية) فانها تتجه نحو القطب المغناطيسى فى شمال غرب أوربا وتحافظ على اتجاهها بصورة مستمرة ، فتعين الجهة الشمالية أينما وجدت ، ويقال بأن الصينيين عرفوا هذه الابرة قبل ألفى سنة من الميلاد المسيحى ، الا أنهم عجزوا عن استغلالها ، الى أن نهض العرب نهضتهم الاسلامية فذهبوا بسفنهم للأتجار فى بلاد الشرق الأقصى ، وهناك تعرفوا على هذه الابرة الثمينة فنقلوها الى بلادهم واستخدموها فى تسيير سفنهم ، ثم أخذها عنهم تجار البحر المتوسط فكان لانتشارها بينهم نتائج هامة اذ أصبح أولئك البحارة يستطيعون الابتعاد كثيرا عن الشواطىء والانتشار فى عرض البحار دون أن يخشوا أن يضلوا السبيل أيام الشتاء الطويلة التى يصعب فيها الاهتداء بنجوم السماء لاختفائها ولا شك أن للابرة المغناطيسية فائدة كبيرة فى الاكتشافات الجغرافية العديدة .

صناعة البارود :

كما استعمل الأوربيون البارود على نطاق واسع وهو يتألف من ملح البارود والكبريت والفحم وهى مادة قابلة للاشتعال ، وقد سبق أن عرفها الصينيون منذ القرن الثامن قبل الميلاد ، وكانو لا يستخدمونه الا نادرا فى أفراحهم وحفلاتهم ، ولم ينتبهوا كما انتبه غيرهم فيما بعد الى ما تحمله هذه المادة من القوة المدمرة ، وقد نقل العرب البارود الى ديارهم منذ القرن الحادى عشر فاستعملوه فى حروبهم ، ثم أخذه الأوربيون عنهم ونقلوه الى مواطنهم فى ايطاليا وفرنسا وانجلترا وأخذوا يقلدون العرب فى استخدامه ضد أعدائهم ، وقد صنعوا له مدافع خاصة ، وكانت هذه المدافع ثقيلة ولا يمكن نقلها من مكان الى آخر الا بصعوبة زائدة لانها لم تكن محملة على عجلات كما هى الحال اليوم ، لذلك لم يكن فى الأمكان استخدامها فى ساحات الحرب الا لهدم جدران الحصون والقلاع فكانوا يقذفون من فوهاتها بكرات حجرية أو رصاصية صغيرة الى مسافات قريبة ، وهكذا كانت قوتها التخريبية وقيمتها الحربية أقل من آلات التخريب التى كان يستخدمها الرومان فى ميادين الحرب ، وظلت مدافع البارود قليلة الأهمية الى أن وضعوها على عربة ذات عجلتين فأمكن حينئذ نقلها من مكان الى آخر ، وبذلك تضاعفت قيمتها وعظمت أهميتها ، وقد ظهر هذا جليا فى حروب المائة سنة التى وقعت بين فرنسا وانجلترا ، وفى سنة

١٤٠٤ اخترعوا البنادق لأول مرة ، فكان لختراعها أثر فى الحـروب المقبلة وقد أخذ يظهر هذا الاثر جليا اعتبارا من القرن السابع عشر .

صناعة الورق :

كما نقل الاوربيون (صناعة الورق) من العرب ، فقد تمكن العرب من صنع الورق فى حوالى سنة ٦٥٠ م ، وذلك بعد أن رأوا الصينيين يصنعونه فى بلادهم من الحرير ، فصنعه العرب من الحرير ايضا ، ثم استطاعوا أن يصنعوه بعد ذلك من مادة أخرى رخيصة وهى القطن ، وبذلك أمكنهم صنع الورق بكميات عظيمه وأثمان زهيدة ، تم أنشئت فى أسبانيا معامل له أستخدمت فى صنعه الاقمشة البالية وراجت رواجا عظيما ، ومن أسبانيا نقلت صناعة الورق العربية كسلعة تجارية الى ممالك أوربا المختلفة ثم قلد الفرنج العرب وأقاموا معامل عندهم لصنعه لكن ورق الكتب العربية المكتوبة بخط اليد يفوق ورق الاوربيين فى الجودة واللمعان .

الطباعة :

وجرت عادة الناس من قبل أن يكتب المؤلفون كتبهم عن طريقة النسخ باليد ، وكان يصعب على المؤلف أن يخرج أعدادا كبيرة من كتبه بأثمان بخسة ، ففى أواخر القرن الثالث عشر كان ثمن كتاب الانجيل المخطوط يربو على العشرين جنيه ذهبا ، لذلك كانوا يخشون

على كتب المكاتب العامة من الضياع فيربطونها بسلاسل معدنية وقـد ظل اخراج الكتب واقتنائها ضئيلا لا يتناول سوى طائفة محدودة مـن القسس وبعض الأمراء المستنيرين الى أن أنشئت الجامعات الغربية وكثر عدد طلابها وتضاعفت الحاجة الى اقتناء الكتب ، ففكر بعضهم بحفـر الكلمات على صفائح خشبية وجعلها بارزة وبذلك تمكنوا من نشـر عدد كبير من الكتب أكثر من ذى قبل ، الا أن هذه الطريقة لم تحقـق السرعة المنشودة لان الحروف لم يكن من المستطاع نقلـها فى كتابـة صفحات أخرى ، وفى مطلع القرن الخامس عشر تمكن عالم هولنـدى من أختراع حروف أخرى ، غير أنها كانت من الخشب ممـا جعلـها عرضة للتلف السريع .

وانتبه الى هذا الخلل (جان جوتنبرج) وهو عالم ألمـانى فصنـع حروفا معدنية من الرصاص ممزوجة ببعض المعادن الاخـرى فأسـدى بذلك خدمة جليلة لعالم التأليف والنشر ومكن الناس من أقتناء الكتـب بأثمان بخسة ، وكان أول كتاب طبع بهذه الحروف المعدنية هو كتـاب الأنجيل فى سنة ١٤٥٧ وبعد هذا الأختراع انتشرت الطباعة وعمـت معظم الممالك الأوربية المهمة بسرعة ، والواقع أن انتشار الطباعة كـان ذا أثر فعال فى خدمة الحضارة الاوربية والانسانية ، فقد تنبه علمـاء القرن الخامس عشر الى عظمة الفكرة وأهميتها فى نشر الثقافة والمعارف بين جماهير أوربا الجاهلة ، فأخذوا يكثرون من طبع الكتب التى كـانت

الجماهير فى أشد الحاجة اليها ، وهكذا أمكن اعتبارا من مطلع القـــرن السادس عشر شراء الكتب بأثمان زهيدة وهكذا أصبحـــت العلـــوم والمعارف فى متناول أيدى الناس بعد أن كانت وقفا على من يســـتطيع شراءها من الأثرياء ، وبفضل أختراع الطباعة أصبح الاوربيون يقبلون على قراءة الكتب اليونانية والرمانية التى فيها من المباحث المفيدة مـــا جعلهم ينتبهون الى تأخر تفكيرهم وفداحة جهل الكنيسة التى كـــانت تشرف على شئون التعليم وتوجه الفكر فى أوربا ، وهكذا اســـتيقظت الجماهير من غفلتها فأخذت تدرس الكتب التى نشرتها المطابع فـأنتجت كثيرا من التقدم فى شتى المجالات مما ساعد على نهضتها الحديثة .

الفصل الثاني



الكشوف الجغرافية :

كان اعتقاد الأوربيين خلال العصور الوسطى أن الأرض منبسطة وليست كروية وأن مركزها بيت المقدس ، فنرى فى خرائطهم المرسومة فى القرن الحادى عشر مدينة بيت المقدس واقعة وسط الدنيا وفى أعلاها الجنة ورسما يمثل آدم وحواء والأنهار العظمى التى كانوا يعتقدون أنها تخرج من الجنة ، أما أفريقيا فكانت مملوءة فى نظرهم بالمخلوقات المخيفة والعجيبة ، وظلوا على جهلهم بالأرض وشكلها حتى أواخر القرن الخامس عشر ، ثم تغير رأيهم على أثر انتشار مبادىء النهضة الحديثة والأهتداء الى عدة آلات نافعة مثل الأبرة المغناطيسية والاسطرلاب الذين كانا لهما الفضل الأكبر فى توسيع نطاق الملاحة وتسهيل الأكتشافات الجديدة .

وقد أدى (كوبرنيكس) خدمات جليلة للمستكشفين حين قال بأن الأرض تدور حول الشمس وأن الشمس هى المحور الذى تدور حوله مجموعة من الكواكب السيارة ومنها الأرض التى هى كروية الشكل . وقد أخذ الأوربيون هذه المعلومات عن العرب خلال العصور الوسطى كانوا يضعون كثيرا من الكتب المتقدمة فى كروية الأرض وفى أقسامها وتقلبات الطقس فى كل منها ، وقد ظهر منهم طائفة كبيرة من العلماء فى علم الجغرافيا أهمهم : المسعودى ، واليعقوبى، والأدريسى ، وابن خرداذبة ، والفرغانى ، والهمدانى ،

وغيرهم ممن تركوا آثارا قيمة فى وصف البلدان ، ووضـــع الجغـــرافى العربى (الادريسى) خريطة للدنيا تتألف من سبعين قطعة وفيـــها دقـــة الرسم والأتقان مما جعل الأوربيين يطبعونها كثيرا لما لها مـــن المكانـــة الممتازة فى رسم الخرائط ، وقد قلد الايطاليون العرب لقربهـــم منـــهم فكانوا أول من رسم الخرائط من الأوربيين .

وقد ظهر من العرب رجال قاموا برحلات طويلة دونوها فى كتب نشروها أمثال (ابن جبير) فى القرن الثانى عشر (وابن بطوطة) فى القرن الثالث عشر ، وقد قلدهم الأيطاليون فى ذلك بعد أن قرأوا رحلاتهـــم ، فخرج من ايطاليا الرحالة (مركوبولو) وقام بسياحات طويلة فى نهايـــة القرن الثالث عشر زار خلالها بلاد التبت والصـــين ودون حـــوادث وأخبار كثيرة عن بلاد الشرق وما تحويه من المعادن الثمينة وحين عـــاد الى بلده البندقية نشر كتابا عما شاهده خلال رحلتـــه الطويلـــة مـــن العجائب فكانت من العوامل التى شجعت بعض المغامرين من البحـــارة الايطاليين على القيام ببعض الرحلات الجريئة الى الشرق مـــن أجـــل الحصول على ذهبه والاستيلاء على كنوزه .

ونظرا لاستيلاء العرب فى العصور الوسطى على تجارة الشـــرق وسيطرتهم على البحر المتوسط والبحر الأحمر ، فان الأوربيين حـــاولوا ايجاد منفذ آخر لهم الى الشرق ، وكان أول مـــن قـــام بالأكتشـــافات البحرية البرتغاليون ورائدهم الأمير هنرى الملاح ، وكان غرضـــه الأول

مهاجمة مسلمى بلاد المغرب ، فأرسل البعوث البحرية لكشف الشاطىء الأفريقى ، وزاد لدى هنرى الدافع الأقتصادى فتطلع للسيطرة علـــى تجارة الهند بعد أنتزاعها من أيدى العـــرب ، وبعـــد عـــدة رحـــلات استكشافية وصل بعضها الى رأس الرجاء الصالح وعـــادت ، قـــام (فاسكوداجاما) برحلته الشهيرة على رأس أسطول صغير تمكـــن مـــن اجتياز رأس الرجاء الصالح والوصول الى شـــواطىء موزنبيـــق ســـنة ١٤٩٨ حيث أتفق مع الملاح العربى (أحمد ابن ماجد) على أن يكـون دليله فى السفر الى الهند ، وابن ماجد هذا هو واضع الكتب القيمـةالتى فصل غيها الطرق البحرية التى يجب أن يجتازها البحارة فى أسفارهم الى بلاد الهند ، وهكذا تمكن (فاسكوداجاما) بمعونة (ابن ماجد) من اجتياز الطريق الى الهند ، ثم عاد الى بلاده مزودا بالمعلومات الجغرافية المفيـــدة عن بلاد الهند وتجارتها فى سنة ١٤٩٩ .

انتقال تجارة الهند من العرب الى الأوربيين :

كان العرب خلال العصور الوسطى يقومـــون بنقـــل التجـــارة الشرقية عن طريق البحر الأحمر والخليج العربى الى موانى سوريا ومصـــر ليشتريها منهم تجار (البندقية) و(جنوة) وينقلونها على سفنهم الى مـوانى أوربا ، وكانت هذه التجارة مصدر ربح وفير للبنادقة والعرب علـــى السواء . وعلى أثر السيطرة البرتغالية على التجارة تحالف المماليك مـع البنادقة ضد البرتغاليين وحدثت بين المماليك والبرتغاليين عدة معـــارك كان آخرها واقعة (ديو) البحرية سنة ١٥٠٩ قرب سواحل الهند أمـلم بومباى كان الظفر فيها للبرتغاليين وانهزم الاسطول المصرى فى عـــــهد السلطان قانصوه الغورى ، وبعد هذه المعركة البحرية أصبحت التجارة الشرقية فى أيدى البرتغاليين لمدة طويلة وازدهرت مدنهم واضمحلـــت المدن الايطالية .

وأخذ البرتغاليون يرسلون حكاما من قبلهم أشهرهم (البوكرك) الذى استولى على جزيرة (سوقطرة) سنة ١٥٠٦ ونشـــر النفــوذ البرتغالى فى بحار الشرق الأقصى بعد استيلائه على هذه الجزيرة ، كمــا أستولى على رأس هرمز المسيطرة على الخليج العربى ، وقـــد حـــاول البنادقة بعد ظهور العثمانيين فى الشرق العربى أن يتحـــالفوا معـــهم فى عهد سليمان القانونى ضد البرتغاليين ، وجهز السلطان سليمان أسطولا فى البحر الأحمر وأرسله ليحارب البرتغاليين فى البحار الهنديـــــة الا أن

هذه الحملة باءت بالفشل وظل البرتغاليون مسيطرين على تجارة الشرق وأصبحت لهم السيطرة على محطات مهمة كسوقطرة تجاه عدن وتتحكم فى مدخل البحر الأحمر ، ثم هرمز وتتحكم فى مدخل الخليج العربى علاوة على موانى مهمة بالهند وجزيرة جاوه فى أندونيسيا .

تطور الكشوف الجغرافية ونتائجها :

كانت البرتغال أول من بدأ الكشوف الجغرافية والفتوح الأستعمارية ، الا أنها رأت أن تكتفى بوضع يدها على الحركة التجارية فى البلاد المكتشفة ، ولم تحتفظ بمعظم مستعمراتها طويلا لقلة سكانها ولدخولها تحت الحكم الأسبانى فى عهد فيليب الثانى ملك أسبانيا (١٥٥٦ - ١٥٩٨) وحين ظهرت قوة (هولندا) البحرية أثناء كفاحها مع أسبانيا فى طلب الأستقلال استولت هذه القوة على معظم مستعمرات البرتغال فى الشرق ، ثم ظهرت أنجلترا وفرنسا وبدأ تنافسهما فى سبيل الفتح والأستعمار يأخذ نفس المظهر الذى استمر من قبل بين أسبانيا والبرتغال .

وكان من نتائج الكشوف الجغرافية أن تحولت التجارة من البحر المتوسط الى المحيطات الكبرى فضعف بذلك شأن كل من مصر وسوريا والبندقية وجنوة وتقوى مركز أسبانيا والبرتغال وغيرها من الأمم الغربية وتنافست الأمم الغربية من أجل الأستعمار ووقعت الحروب بينها ، وقد حاول البابا أن يمنع حدوث تلك الخلافات فقرر سنة

١٤٩٣ أن يرسم خطا وهميا يفصل بين ممتلكات البرتغاليين والاسبانيين ويبدأ هذا الخط من القطب الشمالى الى القطب الجنوبى ويمر على بعد مائة فرسخ الى الغرب من (جزر الرأس الأخضر) ، فيكون كل ما اكتشف شرقية للبرتغال ، وكل ما اكتشف غربية للأسبان ، وقد هاجم المؤرخون هذا القرار البابوى ووصفوه بأنه اعتداء وقح على حرية البشر ، وأن فيه احتكار للبرتغاليين والأسبانيين للأقاليم المكتشفة .

وكانت الكشوف الجغرافية فى مقدمة العوامل التى أدت الى نمو الأطماع الأستعمارية بين الدول الأوربية وقد ساقت هذه الأطماع كثيرا من الدول الأوربية الى الحروب ، وزاد اهتمام الدول بأنشاء الأساطيل الحربية والبحرية ، وظهرت نظريات جديدة تنادى بسيطرة الرجل الأبيض وتقر التفرقة العنصرية وتبيح الأستيلاء على أملاك الشعوب غير الأوربية وتسخيرها .

وصاحب عملية الكشوف اتساع مجال البحوث التاريخية والجغرافية ، وبعد ان كانت مقصورة على العالم القديم المعروف امتدت بحيث أ صبحت تشمل البلاد التى كشفت كما أضيفت معلومات جديدة الى علوم النبات والحيوان والبحار والجيولوجيا وغيرها من العلوم .

ونشطت حركة التبشير بالدين المسيحى بين السكان الأصليين فى المكسيك وأمريكا الشمالية والجنوبية ، وكان دعاة المسيحية

يرافقون المستكشفين في رحلاتهم وازدادت الارساليات الدينية الكاثوليكية لكل من البرتغال وأسبانيا فى مستعمرات العالم الجديد . وقد أصابوا نجاحا كبيرا فى هذا المجال .

ومما يجدر بالذكر أن الكشوف الجغرافية كانت نقمة على أصحاب البلاد الأصليين فلم يلبثوا أن قضت عليهم الحروب والأوبئة ، ففي جزيرة سان دومنيك كان يسكن نحو مليون نسمه حين وصول الاسبان اليهم الا أنه لم يبق منهم أحد تقريبا في أواخر القرن السادس عشر ، ورافق أعمال الأستكشاف الاتجار بسكان أفريقيا السود ، فقد نقلهم الاوربيون الي البلاد المكتشفه لأستخدامهم في زراعة الارض محل السكان الاصليين الذين انقرضوا ، وراجت تجارة الرقيق رواجا عظيما في المزارع الجديده الواسعه ، وهكذا انتقل من أفريقيا ملايين البشر الي أمريكا ليعملوا في زرع الارض وهم يؤلفون الاغلبيه لسكان أمريكا الوسطى والجنوبيه ، ويوجد من هؤلاء الولايات المتحدة نحو ٢٥ مليون زنجي حلوا محل سكان تلك البلاد الأصليين الذين انقرضوا ولم يبق منهم الا العدد القليل ، وفي أمريكا الوسطى والجنوبية أختلط الزنوج بالمستعمرين من الاسبان والبرتغال فكونوا عنصرا هاما من الأهالي في تلك القاره .

عوامل ساعدت على انتهاء النهضه في ايطاليا :

أحدثت النهضه تغييرات عميقة في المجتمع الأوربي وبخاصة في ايطاليا ، فقد برز دور النساء في مجتمع النهضه وهو مجتمع أصبحت السمة الظاهرة فيه تقديس الجمال والتمتع بملذات الحياة ونعيمها واحلال الذوق الرفيع والاحساس المرهف محل التقشف والزهد والافكار المحزنة ، وسمى مركز المرأه في المجتمع الى درجة لم تبلغها من قبل وتعدد نشاطها اذ اشتغلت بدراسة الفلسفه و الدراسات القديمة والموسيقى والرقص والغناء والعناية بالأزياء واقامة الحفلات الصاخبة .

وشهد المجتمع في ايطاليا بوجه خاص تدهورا في القيم الخلقية وحرية لا تعرف الحدود في المسائل الجنسية والأستهانة بالاداب العامه وخروجا على التقاليد والأخلاق غير مسبوق ، وتمثلت مظاهر هذا الانحلال الخلقي في الأغاني والقصص التي تقوم على الأثارة الجنسية المكشوفة وعجز الشبان والرجال على السيطرة على شهواتهم ونزواتهم التي ازدادت اشتعالا عندما وجدت استجابة فورية جامحة من الجنس الآخر ، وكان ضعف الوازع الديني من ناحية ، وارتفاع شأن المال من ناحية أخرى في مقدمة العوامل التي أدت الى انتشار الفساد والمنكوات وتدهور المعايير الخلقية وانحلال المجتمع الذي أصيب بما يمكن أن يسمى : (الحمى الجنسية) أو (حمى الجنس) ، وقد عبر مارتن لوثر عن انتشار هذه الآثام في ايطاليا تعبيرا مهذبا جاء فيه : " أن كل من يذهب

الى روما يشعر بأن عقيدته الدينيه تترنح تحت الضربات التي تصيبه من جراء ما يرى هناك " .

وكان المجتمع الايطالي مليئا بالتناقضات ، فهناك علماء وأساتذة أجلاء وهناك فنانون بلغوا الذروة في روعة الانتاج الفني بشتى صوره وأشكاله ، وهناك جماهير أطلقت العنان لشهواتها واتخذت من المرأة أداة للمتعة العاطفية حينا والمتعة الجنسية أحيانا ، وهناك محترفوا اجرام قاموا بعمليات سفك للدماء وسطو ونهب ، وهناك مجموعة من البابوات انغمسوا في الملذات وحياة المجون بجانب اهتمامهم بشئون الحكم في الأقاليم البابوية ، وكان لهذا التراخي الخلقي الشديد الذي تعددت صوره وأشكاله في كافة المجالات والقطاعات رد فعل ضد النهضه ، تمثل في قلة من الناس تمسكت بالفضيلة وانتصرت لمبادئ الدين وقاوموا المنكرات وكان يمثل هذا الفريق المتمسك بأهداف الفضيلة (سافونا رولا) الذي دعا الى ضرورة الرجوع الى تعاليم المسيحية الحقة ونادى بالتمسك بأهداف الفضيلة كوسيلة لانقاذ البلاد من الأنهيار الخلقي الذي أصاب المجتمع الايطالي ، وقرر أن الاستخفاف بالدين والتنكر للكنيسة هما السبب في الكوارث التي نزلت بالبلاد واجتمع حوله طائفة من الشبان بث فيهم دعوته وكون منهم فرقا عسكرية منظمة وعهد اليهم بمراقبة الآداب العامة في شوارع فلورنسا ، ونظرا لأنه أحرق الكتب المخالفة للمسيحية في ميادين فلورنسا فقد

نعت البعض حركته بأنها رجعية وأنها تمثل السلوك المسيحي المضاد لتيار النهضه ، وقام بحملة عنيفة على البابا اسكندر الثالث واتهمه البابا بالكفر وتم اعدامه في أحد ميادين فلورنسا عام ١٤٩٨م .

وأخيرا تعرضت النهضه في ايطاليا لعاملين تضافرا في القضاء عليها في نهاية الأمر ، أما العامل الأول : فكان ما يعرف في تاريخ أوربا الحديث باسم : "الحروب الايطالية " التي كانت مظهرا من مظاهر التنافس الدولي بين فرنسا وأسبانيا وكانت شبه الجزيرة الايطالية هى ميدان هذه الحروب في معظم أدوارها واستمرت ما يقرب من خمس وستين سنة (١٤٩٤ - ١٥٥٩ م) وكان استيلاء قوات الدولة الرومانية المقدسة على روما في سنة ١٥٢٧ م ايذانا بانهيار النهضه الايطالية وانطفاء شعلتها ونهاية عصرها.

أما العامل الآخر فكان الحركة الدينية الثورية التي تزعمها مارتين لوثر في ألمانيا وكانت تستهدف التحرر من السيطرة المحكمة التي كانت تمارسها الكنيسة الكاثوليكية في روما على أفراد العالم المسيحي الكاثوليكي ، وقد نقم البابوات بطبيعة الحال على هذه الحركة واعتبروها نتيجة من نتائج حركة احياء العلوم والآداب والفنون القديمة ، ومن ثم نشطوا في محاربة الحركة الانسانية محاربة لا هوادة فيها ، واستعانوا في هذا الصدد ببعض ملوك أسبانيا الكاثوليك المسرفين في تعصبهم للمذهب الكاثوليكي .

الفصل الثالث



الاصلاح الديني :

كانت الكنيسة فى العصور الوسطى صاحبة الكلمة العليا فى جميع الشئون الدينية والاجتماعية فى أوربا ، واستفحلت هذه السيطرة ، وفرضت الكنيسة كثيرا من القيود على حرية البحث والتفكير ، وعندما فكر حكام ألمانيا فى التخلص من هذه السيطرة التى تفرضها كنيسة روما عليهم وتجبى من وراء ذلك أموالا طائلة ، عند ذلك أتخذت النهضة فى ألمانيا مظهرا دينيا تجلى فى حركة الأصلاح الدينى التى قامت بها على يد (مارتن لوثر) .

وقد بدأت حركة الأصلاح الدينى فى فجرها ، مع بداية حركة النهضة العلمية والفلسفية ، فقد تناول فيها العلماء نقد جميع الأنظمة والاراء العلمية القائمة حينئذ وأنظمة الكنيسة حتى أوائل القرن السادس عشر يهتمون بظواهر الدين دون لبه ويعنى الناس باقتناء مخلفات القديسين وبالحج الى مدافنهم وبتعذيب أجسادهم ، وبتلاوة الأدعية اللآتينية التى لا يفهمون لها معنى ، ويحرضون على طاعة القسس طاعة عمياء ، بينما كان أكثر هؤلاء يعيشون عيشة البذخ والترف والفساد ، فلما أقبلت تباشير النهضة الفكرية تشجع بعض العلماء وأخذوا ينتقدون الحالة ، ويتمنون اصلاحها .

وبرز فى طليعة هؤلاء المفكرين (ارزمس) الهولندى (١٤٦٧ – ١٥٣٦ م) ويقال عنه أنه هو الذى أرهف السيف الذى أنتضاه

فيما بعد (مارتن لوثر) ، فقد أنتقد الكنيسة وأظهر مساوئها ومهد السبيل للثورة التى اندلعت على المذهب الكاثوليكى أيام مارتن لوثر ، كما كان منهم (توماس مور) الأنجليزى ، و(بطرس بيلارد) الفرنسى وغيرهم ، وبفضل المطابع الحديثة (أول مطبعة فى ١٤٤٥) انصرف هؤلاء وأمثالهم من المفكرين ولا سيما أبناء شمال أوربا منهم الى دراسة مبادىء الفلسفة والديانات الأولى بلغاتها الاصلية وهى العبرية واليونانية فوقفوا على حقائق الدين وقارنوا ذلك بما وصلت اليه الكنيسة من التأخر ووجدوا أن الأمر يحتاج الى اصلاح عاجل ، وكان لاطلاع المفكرين على نصوص الكتاب المقدس فى نسخه ولغته الأصلية نتائج خطيرة أخرى تتعلق بالعقائد الدينية المنتشرة بين الناس يومئذ ، وكانت هذه العقائد تستمد جذورها من الكتاب المقدس ومن التقاليد والتفاسير الدينية مع مقررات الباباوات والمجامع ، وحين بدأ المفكرون بقراءة الآناجيل بلغاتها الأصلية ذهبوا الى أن الواجب المسيحى يقضى على أن يكتفى بما جاء فيها دون التقيد بالمصادر الدينية الأخرى احتراما لتلك الكنيسة المقدسة وتعظيما لها ، أضف الى ذلك قول البعض بأن التفاسير والتعليقات المنتشرة والمنسوبة الى الباباوات ورجال الدين لم تكن إلا من أعمال رجال مخلوقين ، لذلك يكون من الجائز لكل مسيحى أن يفسر هو ايضا ، ما يقرأه فى الكتاب المقدس وأن يحاول

فهمه ، وهذه هى النظرية التى دافع عنها مارتن لوثر والـــتى أدت الى تصدع الوحدة المسيحية .

حركة مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) :

ولد مارتن لوثر سنة ١٤٨٣ فى مدينة (ايشلبن) مـــن مقاطعـــة سكسونيا بألمانيا ، وكان أبوه حطابا ثم أشتغل عـــاملا فى التعديـــن ، وأرسل ولده الى مدرسة المدينة الصغيرة ، وبعد أن قضى طفولته وصباه فى حياة كلها تعاسة وفقر وبؤس أتيح له حين بلغ أشـــده أن يلتحـــق بجامعة ارفورت بمعاونة سيدة غنية رأت فيه ذكـــاء ونجابـــة فمنحتـــه أموالا كافية ليواصل تعليمه حيث درس الديـــن والقـــانون والآداب ، وكان أبوه يرغب كثيرا أن يكون ابنه من رجال القانون الا أن لوثـــر لم يحقق هذه الرغبة ، ودخل ديرا من أديرة القديس (أوجسطين) ســـنة ١٥٠٥ لما خالجه من شكوك فى ايمانه حيث جد فى العبادة من صيـــام وتعذيب جسد ، ولما أشرف على القنوط من الرحمة الالهيـــة نصحـــه رئيس الدير أن يثابر على عبادته ويدرس تراجم الحواريـــين وســـائر القديسين ، فاطمأن قلبه وهدأ روعه الاأنه بدأ يرى رجـــال الكنيســـة المعاصرين له تختلف حياتهم الخاصة والعامة عما كان عليه حياة أولئـــك الحواريين ، وفى سنة ١٥٠٨ التحق بجامعة وتنبرج ليستكمل دراسته فى اللاهوت ، وكانت هذه الجامعة تحت اشراف الطائفة الدينية التى ينتمى اليها وهى طائفة القديس اوجسطين ، وهذه الجامعة أصبحت فيما بعـد

مركز الأشعاع الفكرى فى ألمانيا للتعاليم اللاثرية والمعهد العلمى الأول لهذه الدراسات فى أعلى مستوياتها ومصدر الأدب اللوثرى مما أضفى على هذه الجامعة المغمورة شهرة واسعة فى جميع أنحاء اوربا ، وتوافد عليها طلاب العلم من جميع أنحاء ألمانيا وغيرها يدرسون التعاليم الجديدة بلغة ألمانية سهلة فى متناول ومفهوم كل فرد .

وفى سنة ١٥١١ ذهب لوثر الى روما فى مهمة دينية فرأى بعينيه ما كان عليه البابا وحاشيته من أبهة العيش وجمال القصور التى كانوا يسكنونها ، وانغماسهم فى حياة البذخ والملذات ، وشاهد انصرافهم عن أداء واجباتهم الدينية فشق عليه ذلك وعاد الى وطنه وقلبه مفعم بالسخط على رجال الكنيسة .

وبعد بضع سنوات بينما كان لوثر يدرس الالهيات فى جامعة وتنبرج اذ بخلاف شديد ينشب بينه وبين رجال البابا بسبب بيع ,,صكوك الغفران ,, وهى التى نشأت عن فكرة دينية خاطئة روج لها رجال الكنيسة ،مؤداها أن الانسان اذا ارتكب خطيئة ثم ندم على ارتكابها وتاب منها ثم اعترف بها أمام القسيس ، فان مثل هذا لايدخل الجنة مباشرة بل يظل فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر فى الأعراف يلقى فيها نوعا من العذاب حتى يتطهر تماما من الذنوب التى جنتها يداه ، ونشأت فكرة صكوك الغفران فى بادئ أمرها عبارة عن اعفاء من البابا للمذنب من العذاب الذى يلاقيه فى الأعراف ، غير أنه توسع فيها

فيما بعد على أنها تعفى الناس من عقاب الكنيسة وعقاب الآخرة معـــا ،وغالوا فى مزاياها حتى زعموا أنها تغفر ما تقدم وما تأخر من الذنـــوب ،وأخذ بابوات روما يرسلون مندوبين عنهم الى مختلف الأقاليم فى أوربا الغربية لبيع صكوك الغفران ، وأقبل الناس على شرائها كل حســـب مقدرته المالية وجنى رجال الدين منها أموالا طائلة ،وتوسعوا فى بيعـــها وزعموا أن أثرها يمتد الى الموتى ، وهكذا راجت صكـــوك الغفـــران رواجاعظيما .

وفى سنة ١٥١٧ م أرسل البابا الراهـــب (حنـــا تـــتزل) الى سكسونيا ليبيع فيها صكوك الغفران ، فهاجت عواطف لوثر واعتـــبر ذلك البيع مخالفا للديانة ومشجعا على اقتراف الذنوب والاجـــرام ، وكتب بوجوب تحريم ذلك بياناضافيا ذكرفيه ٩٥ حجة ضـــد تلـــك الصكوك وعلقها على باب الكنيسة ودعى للمناقشة كل من يريد مـــن رجال الدين ، فاشتهر أمر المنشور وترجم الى الألمانية ، ووزعت آلاف النسخ منه فى طول البلاد وعرضها ، ولم يكتف لوثر بمهاجمة الصكـــوك والمطالبة بوقف بيعها حالا بل تناول فى منشوره العقيـــدة النصرانيـــة برمتها فقال : ان الانجيل يجب أن يكون وحده مصد ر العقائد ، أمـــا تعذيب الجسم والصيام فانهما لايمتان الى السلام الأبدى بأية صلـــة ، وأنه يجب ألايكون فىالديانة سوى أسرار ثلاثة هى : ١-المعمودية ٢- تناول القربان ٣-التوبة .

وحينما ذاعت هذه المبادئ عن لوثر غضب البابا عليه وأمـــر أن يؤتى به ليحاكم على كفره فى روما .

ورفض حاكم سكسونيا هذا الطلب ورفض أن يحاكم أحد رعايـله فى روما ، وحاول البابا أن يقنعه بأنه مخطئ فى مهاجمة الكنيسة ، كمـــا حاول اغراءه على أن يتعهد بعدم العودة الى ترديد ارائه ، وأجاب لوثر بأنه على استعداد لمناظرة أعظم رجال الكنيسة ،فأرسل اليه البابا أحـــد رهبان الكنيسة الكاثوليكية واختيرت مدينة ليبزج مقرا للمناظرة الـــتى أقيمي فى يوليو١٥١٩ م ، وصرح لوثر في هذه المناظرة بأن صكـــوك الغفران و البابوية كلها بدع مستحدثه لم تكن معروفه علـــى عـــهود الرسل الاولين وأفحم لوثر مناظرة ، وعلى اثر ذلك حرمه البابا مـــن الكنيسه وأرسل اليه منشورا بابويا بهذا الحرمان في سنة ١٥٢٠ ، فلـم يكن من لوثر الا أن جمع طلاب الجامعة ومن اليهم من طوائف الشباب الالماني ، وأمام هذا الجمع الحاشد أحرق لوثر قرار الحرمان البـــابوي الصادر ضده ، كما أحرق بهذه المناسبة مجموعات كاملة من المراســيم البابوية في مجلدات عديدة ، في وسط جو من الســخط علـــى البابـــا وكنيسة روما ، وبهذا الاجراء بلغ التحدي مداه ، وانقلبت حركة لوثر الى حركة قومية تقف في وجه كنيسة اجنبية هي كنيسة روما ، وبهـــذا أصبح لوثر زعيما وطنيا كبيرا .

وطلب البابا من الأمبراطور (شارل الخامس) امبراطور الدولة الرومانية المقدسة تنفيذ قرار الحرمان لأن لوثر يقيم في اقليم سكسونيا التابع لأراضي هذه الدولة ، ودعا الأمبراطور لوثر لكي يحضر المجلس الأمبراطوري المنعقد في (ورمس) في ١٧ من ابريل ١٥٢١ ومنحه أمانا شخصيا يتيح له السفر للمجلس ثم العوده الى بلده دون القبض عليه ، وذهب لوثر الى المجمع وحوكم أمامه لمخالفته قوانين الكنيسة فدافع عن آرائه وأدلى ببراهين على صحتها من الوجة الدينية ، وانفض المجلس بعد أن أصدر حكمه بطرد لوثر من الكنيسة وهدر دمه وتحريم قراءة مناشيره وكتبه .

وبعد انقضاء فترة الأمان طلب الأمبراطور من حكام المقاطعات الألمانية القاء القبض على لوثر وتسليمه الى السلطات الأمبراطورية ، وبينما كان لوثر مهددا بالموت أضفى عليه حاكم سكسونيا - (فريدريك) حماية وأرسل فرسانه الذين استحضروا لوثر ونقلوه الى قصر وتنبرج حيث اختفى به نحو عام ترجم خلاله الأنجيل الى اللغة الألمانية . فكان لنسخة الأنجيل المترجمة هذه شأن كبير وأقبل عليها الشعب اقبالا منقطع النظير ، وقد قرأها الشعب بأسلوبها البسيط وفهم محتوياتها ، واعتبر أسلوب هذه النسخة فيما بعد نموذجا للغة الألمانية الحديثة ، وقد ظل حاكم سكسونيا يحمي لوثر حتى عام ١٥٢٥ حيث توفي أمير سكسونيا .

وكثر انصار لوثر وكل من له غرض دنيوي الى جانب معتقداتـــه الدينية ، فالأمراء الألمانيون كانوا يرون في الثـــورة اللوثريـــة امكـــان الأستيلاء على أملاك الكنيسة الغنية ، وتوقع الفرسان في تلك الحركـــة امكان توسيع نفوذهم وتقوية سيطرتهم ، أما الفلاحون فقد طمعـــوا في أن يخلصوا أنفسهم من متاعب الأقطاع وأنظمته الجائرة.

ثورة الفلاحين :

كانت تعاليم لوثر من أكبر الأساليب التي أشعلت نـــار حــرب الفلاحين في عام ١٥٢٥ ، ذلك بأن لوثر كان يدعــوا الى الأصـــلاح الديني وظن الفلاح الألماني الذي نزلت به المصائب المادية أن الأصـــلاح الديني ينطوي على أصلاح اجتماعي بلا شك ،ولذلك ثار على مـــن كانوا يظلمونه ويستبدون به ، وحين خرج لوثر من مخبئه كان انصـــاره منتشرين في جميع الأنحاء فلم يعد بالامكان تنفيذ حكم الاعدام الـــذي أصدره المجلس الأمبراطوري في (ورمس) وكان الأمبراطور مشتبكا في حرب مع فرنسا فلم يكن باستطاعته القيام بعمـــل حاســم لوقـــف الأضطرابات التي أخذت تنتشر في أنحاء ألمانيا ، وأنتشرت الفوضى بين أفراد الشعب وهاجم هؤلاء الكنائس وكسروا ما فيها مـــن صـــور وتماثيل وأغاروا على الأديرة فاحتلوها بعد أن طردوا منها الرهبـــان و الرهبات ، فذعر لوثر من هذا العنف و نصح أتباعه بالاعتدال ، ولكن الهياج ظل قائما .

وهاجم الفرسان حصون الأســـاقفة والأمـــراء فـــاتحد هـــؤلاء ودافعواعن كيانهم وصدوا المهاجمين الفرسان وقضوا عليهم ، ولم يقتصر الأمر على أبناء الطبقتين الممتازتين بل تناول الفلاحين الذين رأ وهـــا فرصة سانحة للتحرر من قيود الاقطاع الغا شمة فا نقضـــو ا علـــى ظالميهم ونهبوا أموالهم ، وخشى (لوثر) فتنة الفلاحين الذين يؤ لفـــون

سواد الشعب فحض الأمرء على اخضاعهم بالقوة وأصدر بيانا يحث فيه الطبقات الحاكمة أن تضرب على أيدى الفلاحين الثائرين وألا تأخذهم بهم رأفة ، فلبى الأمراء ا لدعوة و نكلوا بالفلاحين وأعملوا فيهم السيف و النار الى أن أعادوهم الى بؤسهم وشقائهم ، وبهذ ا العمل فقدت الحركة (الوثرية) شعبيتها العريضة لدى جماهير الفلاحين وهم السواد الأعظم من الشعب كما فقدت الفرصة كى تكون حركة قومية بالمعنى المعروف وتهاوى مركز لوثر كزعيم شعبى واعتمد فى حركتة على الأمراء وسكان المدن من الطبقة الوسطى .

وبعد أن نجح الأمراء فى القضاء على ثورة الفلاحين انقضوا على أ ملا ك الكنيسة فى اماراتهم فصادروها . وحينما عقد الصلح بين فرنسا والمانيا جمع الأمبراطور المجمع الألمانى فى مدينة (سبير) سنة ١٥٢٩ م حيث تقرر عدم التعرض لمعتنقى المذهب (الوثرى)فى الأماكن التى انتشر فيها ذلك المذهب ، على أن يحال دون ا نتشلوه فى الأماكن الأخرى ، فاحتج على الفقرة الأخيرة بعض الأمراء وأربع عشرة مدينة وأعلنوا اعتناقهم مذهب لوثر الجديد واعتبارا من هذا التاريخ أصبح يدعى ا نتصار لوثر البروتستانت أى المحتجين .

ورأى شارل الخامس ازاء تلك الاضطرابات أن من الواجب عليه الاسراع في وضع حد لتلك الاختلافات التى طال أمدها فجمع المجمع الألمانى فى سنة ١٥٣٠ م فى مدينة (أوجزبرج) وطلب من

أعضائه البت فى موضوع النزاع الدينى الذى اشتد كثيرا بين أبناء الديانة المسيحية ، ومع أن رغبة الامبراطور فى القضاء على الاختلافات الدينية لم تتحقق تماما الا أنه كان لانعقاد هذا المجمع نتيجة خطيرة هى أن اللوثريين تمكنوا بواسطة مندوبين عنهم أن يشرحوا فى المجمع عقيدهم الجديدة شرحا وافيا وبينوا فيه مبادئهم ، وقد توخوا فى شرحهم الاعتدال والحيطة ليبرهنوا على أن الفرق بين مذهبهم والكاثوليكية تافه ، وقد عرف هذا الشرح فى التاريخ باعتراف (أوجزبرج) .

الحرب بين الامبراطور والأمراء البروتستانت :

تبين الأمراء البروتستانت أن الامبراطور تميز تميزا صارخا لثوليك فى كثير من قراراته التى يصدرها ، فوحدت صفوفها وكونت حلفا عسكريا للدفاع عن كيالها سمى بحلف (شمالكلد) فى فبراير ١٥٣١ م وشمالكلد مدينة تقع فى مقاطعة هس الألمانية وبرهنت الوقائع على أن الشعب بات منقسما الى قسمين متحاربين ، ويرى البعض أن هذا الحلف كان هزيلا لم يقو على البقاء طويلا أمام المنافسة العنيفة بين الأمراء الالمان الذين أشتركوا فى عضويته ، وحاول الأمبراطور بعد أن عقد صلحا مع فرنسا أن يستميل بعض الأمراء البروتستانت ليقضى على حلفهم ، واستمال اليه الأمير (موريس) أحد أمراء سكسونيا بعد أن وعده بتعيينه منتخبا لسكسونيا ، ثم أنقض

الأمبراطور على سائر الأمـــراء البروتســـتانت وقـــهرهم فى موقعـــة (موهلبرج سنة١٥٤٧) وأسر معظمهم ، وكـــان للأمـــير موريـــس وجيشه دخل كبير فى نجاح الجهة المعاديـــة للبروتســـتانت فكافـــأه الامبراطور بأن منحه امارة سكسونيا ، ولم يكد موريس ينال غرضـــه حتى قلب للأمبراطور ظهر المجن وعاد الى الحلف البروتستانتى الـــذى قوى بأتفاقه مع ملك فرنسا هنرى الثانى ، وقد جاز مارتن لوثر الى ربه فى ليلة ١٨ فبراير ١٥٤٦ قبل أن تشهد عيناه مآسى هـــذه الحـــرب الأهلية .

ولم تزل الحرب أن اشتعلت بين الفريقين وكاد شارل الخامس يقـــع اسيرا فى معركة (اينسبروك) سنة ١٥٥٢ ، وبعد ثلاث ســنوات رأى أن يتفق مع خصومه الأمراء البروتستانت ، وأن يضع حدا للحـــروب التى أنهكت البلاد وخربتها وعقد معهم صلح (أوجزبـــرج) ســـنة ١٥٥٥ اعترف فيه بحق الأمراء فى أن يختاروا المذهب الذى يريدونـــه ، كما أعترف لهم بحق امتلاك أراضى الكنيسة التى سبق لهم أن صادروها الرهبان بشرط الا يقوم أي أمير فيما بعد بـــالأعتداء علـــى أراضـــي الكنيسة . ومما هو جدير بالذكر أن صلح أوجزبرج لم يمنـــح الفـــرد الحرية الدينية بل منحها للأمير عملا بالمثل القائل بأن الناس على ديـــن ملوكهم .

وأخيرا فانه على الرغم من أن حركة مارتن لوثر الأصلاحية قد حطمت الوحدة الدينية التي كان يعيش في ظلها الظليل دول أوربا الغربية وأنه دفع بألمانيا وأوربا الى حروب دينية ضارية أريقت فيها الدماء ، على الرغم من ذلك الا أن حركته بعثت في الأمة الألمانية روحا جديدة ، وأنشأ ألمانيا الحرة وأسهم في خلق حضارة أوربية جديدة .

وخلاصة القول فان عصر النهضة في أوربا كان يفيض حيوية وشجاعة وعلما ، واحتقارا للتقاليد الوروثة ، وكرا هية لكل سلطة تقيد العقل و الروح وخاصة سلطة الكنيسة التي حكمت على أتباعها في أوربا أن يصبوا تفكيرهم في قوالب خاصة صنعتها الكنيسة لهم زمنا طويلا ، بيد أن أعلام النهضة تمردوا على ذلك وبدأوا يفرون في حرية تامة فأبدعوا أيما ابداع .

أصداء حركة لوثر :

لم يقتصر أثر لوثر على ألمانيا وحدها وانما تعداها الى غيرها من أنحاء أوربا ، وأخذت حركته تتغلغل في كل مكان ، ومضى صدى صوته يجلجل في ربوع أوربا بصيحات التحدي ، وتساءل الناس عما اذا كان المسيحيون قد ظلوا يسيرون في طريق الخطأ لأكثر من ألف عام ، وعما اذا كانت البابوية خداعا ودجلا ، والقداسة التي يحيط بها رجال الدين أنفسهم

سرابا ، والطقوس والاحتفالات والنظام التي تداخلت في الحيـــاة الأوربية العادية لا لزوم لها ان لم تكن ضارة .

وكانت سويسرا أسرع البقاع استجابة لحركـة الأصـلاح الديني و ترددت فيها أصداء حركة لوثر ، وظهر مصلح قدير في مدينة (زيوريخ) السويسرية يدعى (ألريخ زونجلـــي) (١٤٨٤ — ١٥٣١) وتختلف نشأته عن نشأة لوثر (الذي واجـه في صباه الفقر والشقاء فقد ولد زونجلي في أسرة ميسورة الحال وكان والـــده عمدة المقاطعة وتلقى تعليمه في مدارس وجامعـــات (بـــرن)و (فينا) و (بال) ونبغ في الخطابة وعمل قسيسا في مقتبل حياته) ، وسرعان ما قاد حركة اصلاح دينى فى سويسرا وأعلـــن في ســـنة ١٥١٨رفضه لصكوك الغفران ووجوب الأكتفاء بالكتاب المقـــدس دون الالتفات الى أوامر المجامع والبابوات فلقيت دعوته رواجـــا في زيوريخ ومن جاورهم من أهل المـــدن السويســـرية الاخـــرى فانضمت الى حركته مقاطعة برن سنة ١٥٢٨ ومقاطعة بال في ســـنة ١٥٢٩ ولم تمضي سنوات قلائل حتى كانت ســـت مقاطعـــات سويسرية وبعض المدن القليلة في جنوب ألمانيا قد تبعت حركته وانفصلـــت عن كنيسة روما ، وانقســـمت سويســـرا الى فريقـــين يقتتلان ودفع زونجلي حياته ثمنـــا لحركته الأصلاحية في معركة كـــابل (١١ أكتوبر ١٥٣١) .

وفقدت (زيوريخ) زعامة الحركة الأصلاحية بموت زونجلي وانتقلت الزعامة الى (برن) التي اهتمت بنشر المذهب الجديد في غربي سويسرا ، وسرعان ما انتقلت الحركة الى مدينة (جنيف) وهي مدينة سويسرية كان تعداد سكانها لا يزيد على ١٣ ألف نسمة ولكن قبض لها أن تكون عاصمة البروتستانتية الغربية ، وعلى رأس المدن التي احتمت بها الأقليات المضطهدة من معتنقي هذه العقيدة لعدة قرون ، ففي سنة **١٥٣٦** استطاعت جنيف أن تصبح مركزا للبروتستانت على أثر القرار الذي اتخذه أهلها بجعل البروتستانتية مذهبا رسميا لجنيف ، وأصبحت بعد ذلك ملجأ للمضطهدين في أوربا ، وكان على رأس هؤلاء الفارين اليها مصلح فرنسي هو يوحنا كلفن .

يوحنا كلفن (١٥٠٩ - ١٥٦٤) :

ولد يوحنا كلفن في مقاطعة بيكاردي الفرنسية سنة ١٥٠٩ وكان أبوه متوسط الحال يخدم في مكتب أسقف (نوايون) وقد أحب أن يعلم ابنه ليكون من رجال الدين فأدخله جامعة أورليان وبورج حيث اطلع على آراء لوثر واعتنقها ، وفي سنة **١٥٣٣** أعلن ملك فرنسا (فرنسوا الأول) عزمه على مطاردة الذين يدعون الى الأصلاح الديني ، فخاف كلفن على نفسه والتجأ الى مدينة بازل السويسرية حيث ألف كتابا دون فيه آراءه في اصلاح الكنيسة

وجعله هدية الى فرنسوا الأول بعنـــوان : " رسالـــــة مقدمـــة الى فرنسوا الأول " .

وقد تضمن هذا الكتاب معظم آرائه الأصلاحية التي نادى بهـا ، فقد دافع فيــــه عن مبدأ اعتبار الكتاب المقدس كمصــــدر وحيـــد للعقيدة الدينية وذكر أن الأنســـــان لا يخلصه من العقاب بســـبب ذنوبه الا الأيمان الصحيح ، وبذلك أيد لوثر في مبادئــــه وزاد عليـها بأن قال : "على المؤمنين أن يخضعوا للقضاء والقدر ، فالله تعالى خلـــق الأنسان وخلق معه ايمانه وقدر أعماله من يوم مولده فـــلا ســـبيل الى تغييرها " ، وقد حرم كلفـــن سلسلة المراتب الكنسية واستبدل بهــــا خطباء ينتخبهم المصلون لتلاوة آيات الأنجيـــــل والقيــــام بواجـــب الوعظ ،كماحرم اقامة المذابح ووضع صور ورسوم المصلوب فــــــي المعابد .

وحين سمع أهل جنيف كلفن استدعوه الى مدينتهم فلبى كلفـــــن دعوتهم وجـــاء يعظهم ويصلح من عقائدهم وكان يومئذ في السادســة والعشرين من عمره ، وغدت جنيف كعبة يؤمها الطلاب والمريـــدون من كافة أنحاء أوربا يستمعون الى كلفن وكأنهـــم يستمعون الى نــــبي نزل عليه الوحي من عند الله ، ويتلقون عنه مبادئه ، ثم هبوا سراعـــــا الى بلادهم لينشروا هذه المبادئ بين مواطنيهم . وكان كلفن في تعاليمه صارما خشنـــا لا يلين ، ورأى أن ينشر تعاليمه بين الناس ويصلح مـــا

فسد من أخلاقهم و مشاربهم وعاداهم ففرض على الأهالي في جنيف حكما صارما فيه قسوة وشدة لم يتحملها هؤلاء سوى عامين وطردوه من مدينتهم الا أهم عادوا فأستدعوه سنة ١٥٤١ فعاد اليهم كسيد مطاع ونشر حكمه الناس مرة أخرى ، فكان جبار على نفسه وقاسيا على رعيته وقد فرض مراقبة شديدة على حياة الأهالي الخاصة في بيوهم ومتاجرهم وملابسهم وما الى ذلك من الشئون الخاصة للناس ، وعاقب من يستخدم اللاتينية في صلاته وكل من يضحك أثناء الوعظ ، وكان يحكم باعدام كل من خالفه في أوامره وتعاليمه ، وقطع رأس رجل قال عنه بأنه منافق ، واستدرج مفكرا أسبانيا الى مدينة جنيف وأمر باحراقه لأنه ألف كتابا أنكر فيه ألوهية المسيح .

وكان كلفن يمقت الحرية الدينية كما يمقتها خصومه الكاثوليك وكان يقول بوجوب قطع رأس كل من كفر وخرج على الديانة وكل من أسف وترحم على أولئك الكفرة " لأن الله يريد أن ينس الأنسان المخلوق كل مظهر من مظاهر الأنسانية حينما يجب أن يجاهد ذلك الأنسان في سبيل العظمة الألهية " هذا ما كان يقوله كلفن حين يعلل قسوته وغدره بخصومه ومظالمه ، وبين اللوثرية والكلفنية فوارق شديدة ، ولكن أهم هذه الفوارق أن حركة لوثر قد أوجدت لكل دولة دينا خاصا ، في حين أن كلفن كان يسعى

لأنشاء دولة دينية ، ولقد أقام بالفعل في جنيف حكومة دينية أرغمت كل سكانها على أن يكونوا أعضاء في الكنيسة ، وأخضعت كل السلطات المدنية للرئيس الديني ، وبذلك كان لهذه السلطة التي أقامها كلفن في جنيف كلمة نافذة في الأمور الدنيوية لم يطمع أي بابا أن تكون له كلمة أعلى منها .

وهكذا أصبحت جنيف تحت ادارة كلفن مركزا هاما قصده طلاب اصلاح الكنيسة الكاثوليكية والمضطهدون فى الممالك المختلفة ولا سيما فى فرنسا واسكتلندا وانجلترا والأراضى المنخفضة فاذا ما عاد هؤلاء الى بلادهم حملوا معهم تعاليم كلفن القاسية وقد أدى ذلك الى مناوأة الحكومات التى كانت تخشى انتشار ذلك المذهب وهو مذهب الأستبسال والديمقراطية الدينية الذى سرعان ما أذكى نار الحروب فى أوربا ودفع المتعصبين من أنصاره الى هجر أوطانهم والسفر بعيدا الى ما وراء المحيطات لانشاء مستعمرات فى شمال أمريكا وجنوب أفريقيا .

حركة الأصلاح الكاثوليكى :

أحرزت الديانة البروتستانتية الجديدة انتشارا واسعا فى جميع أرجاء أوربا فى خلال عشرين سنة ، فان حوالى ثلاثة أرباع ألمانيا قد دانت لهم ونبذت الكاثوليكية ، واستقلت انجلترا عن كنيسة روما واعتنقت الدانمرك والنرويج والسويد الديانة الجديدة ، كما

تسربت البروتستانتية الى فرنسا وهولندا ، ووجدت أنصارا كثيرين من بولنـــــدا وبوهيميا ، حتى فى ايطاليا نفسها معقل البابوية الكاثوليكيـة أصبح هناك من يؤيـــــــد البروتستانت .

وحينما شاهد البابا ومن حوله من رجال الكنيسة الكاثوليكيـــــة اقبال الناس علـــى اعتناق مذاهب الخارجين على كنيستهم رأوا أنـــــه أصبح من الواجب عليهم القيام ببعض الأصلاحات لأستئصال الأخطار التي أحدقت بهم وبكنيستهم ، وكان هذا الأصلاح الذي تنادى بـــه رجال الكنيسة هو رد فعل لحركة الأصلاح الديني التي قام بها مارتـــن لوثر وغيره من المصلحين ، ولذلك يطلق علـــــى حركـــة الأصـــلاح الكاثوليكي عبـــــارة " الأصلاح الديني المضاد " أو " الثورة الدينيـــة المضادة في القرن السادس عشر " ويطلق عليها في المراجع الأنجليزيـــة " الأنتعاش الروماني الكاثوليكي " .

وقد قام دعاة الأصلاح المضاد من رجال الديــــن الكـــاثوليكي بأعمال ثلاثة كـــــان لها بعض التأثير في وقف التيار البروتســـتانتي في مختلف البلدان الأوربية .

أما العمل الأول : فهو أنهم عقدوا مجلسا في مدينة (ترنت) فيما بين سنتي (١٥٤٥ـــ ١٥٦٣) وشرحوا فيه المذهب الكاثوليكي ومـــيزوه عما سواه وقرروا سلطته الواسعـــة ودمغوا عقائد لوثر وأمثاله بأنهــــا

ضوب من ضروب الزيغ والكفر يجب محاربته وأن على رجال الدين أن يتخلقوا بصفات الصلاح و التقوى .

وكان العمل الثاني : هو اعادة تنظيم محاكم التفتيش التي طالما استعانت بها الكنيسة في العصور الوسطى للقضاء على المخالفين لها ، وكانت هذه المحاكم تابعة للبابا وتتألف هيآتها من الكهنة المعروفين بتعصبهم الشديد ، وكانت مهمتها التجسس على كل من تحدثه نفسه بالخروج على الكنيسة ومحاكمته سرا وتعذيبه بمختلف الطرق القاسية ثم اعدامه حرقا أو سجنه أبديا ومصادرة أملاكه وقد كان لهذه المحاكم شأن كبير في ايطاليا وأسبانيا حيث عززها (فيليب الثاني) وقدم لها ما تحتاجه من مساعدات فعاله ، و في الأراضي المنخفضة أتت محاكم التفتيش بأفظع الأعمال وأقساها فثار الأهالي على الحكم الأسباني وحاربوه حتى نالو استقلال بلادهم ، وذهب رجال الكنيسة الكاثوليكية الى أن حركة الخوارج الذين خرجوا عليهم كانت منبعثة كلها بسبب انتشار الكتب الفلسفية والعلمية بين الناس بفضل الطباعة الحديثة فقرروا أن يضعوا حدا لتلك الدعايات التي اعتبروها مضلله ونظموا فهرسا ذكروا فيه أسماء الكتب التي يباح للمسيحي قراءتها ، وكانت كتب دينية كتبها رهبان كان أكثرهم أعضاء في دواوين التفتيش .

وشهدت أسبانيا مظاهر مسرفة في القسوة والظلم واهدار لآدمية الأنسان بسبب تطبيق هذا النظام على غير المسيحين الكاثوليك وخاصة من الطوائف اليهودية والمسلمة فبعد سقوط آخر معقل للمسلمين في أسبانيا (غرناطة) في سنة ١٤٩٢ ، لقي المسلمون أشنع ضروب الأضطهاد والتعذيب والسجن بغية تحويلهم قسرا الى المسيحية ، وصدرت الأوامر باحالة المسلمين الى محاكم التفتيش ، ولم تجد الحرية الدينية في أسبانيا من يدافع عنها ، ومارست هذه المحاكم نشاطها بكل همة ولقيت معاونة فعالة من ملوك أسبانيا ووقف الشعب الأسباني في مجموعة الى جانب محاكم التفتيش .

ومن الأعمال التي قام بها رجال البابا انشاء الجمعية اليسوعية ، وقد وضع أساسها (اجناس ليولا) الأسباني الذي بدأ حياته جنديا في جيش الأمبراطور شارل الخامس ، ثم جرح في معركة في سنة ١٥٢١ وأصابه عرج لازمه طوال حياته و في أثناء نقاهته البطيئة المؤلمة اتجه بتفكيره الى دراسة سير القديسين فاعجب بهم وبأعمالهم وعول على الأقتداء بهم في سبيل الدفاع عن الكنيسة ، وقرر أن يصبح جنديا للمسيح وهجر أسرته وعاش على الخبز والماء محاسبا نفسه حسابا عسيرا بضع مرات في كل يوم وأخذ نفسه بنظام قاس من الصلوات وقمع مطالب الجسد ليروض نفسه على الزهد، رأى أن النجاح لا يكتب له الا اذا تعلم تعليما عاليا فذهب الى باريس

وتعلم في جامعتها اللاتينية الحكمة وتعمق في شئون الديانة الكاثوليكية ، ثم أنشأ جمعية اليسوعيين في سنة ١٥٣٤ على أن تكون غايتها التبشير بالدين المسيحي بين أهل المذاهب والديانات الأخرى ومحاربة الخوارج على الكنيسة الكاثوليكية ، فقد اجتمع ليولا مع سبعة من رفاقه الطلاب في كنيسة القديسة مريم على ربى مونتمارتر في باريس حيث أقسموا على التزام العفة والفقر وعاهدوا أنفسهم على أن يقضوا حياتهم في أورشليم مكرسين جهودهم لأعمال اعتبرها أقدس الأعمال وهي رعاية المسيحيين وتنصير المسلمين غير أن الحرب التي وقعت بين البندقية وتركيا عرقلت المشروع الذي كان ليولا ورفاقه قد تعاهدوا عليه : وهو تكريس حياتهم للتبشير في فلسطين ، ووجدوا في ايطاليا ميدانا كبيرا فقد أقسموا على الطاعة ورسموا قساوسة وسموا أنفسهم جماعة المسيح وفي ٢٧ سبتمبر ١٥٤٠ . حصلوا من البابا بولس الثالث على مرسوم بتكوين فيالق العسكرية الكنسية " وهو المرسوم الذي أرسى القواعد التي قام عليها نظام اليسوعيين ، وأعفى اليسوعيون من الضرائب وكانوا لا يعترفون للأمراء بأية رياسة كما أعفوا من الخضوع لقضاء رجال الدين الا من طائفتهم ، أما تنظيمهم فكان عسكريا أوتوقراطيا ، اذ كان يرأسهم قائد (جنرال) منتخب مدى الحياة ، يتبع البابا في كل الأمور ، وكانت مهمة اليسوعي أن يعظ الناس ويصغي الى اعترافهم

ويعلمهـــم أن " الكنيسة لو قالت عن شئ ما انه أسود – ولو كـــان يبدو أبيض – فما عليهم الا أن يقرروا في الحال أنه أسود " مثل هـــذه الأقوال ترينا روح الخضوع التام والتسليم المطلق الذين خلعـــا علـــى نظام اليسوعيين مقوماته الخاصة به .

وقد رأى ليولا وسائر زملائه في جمعية اليسوعيين أن أقوى سلاح للتبشير هـــــو انشاء المدارس لبث المبـــادئ النصرانيـــة في نفـــوس الطلاب الصغار فأنشأوا المئات والألوف من هذه المدارس في جميع أنحاء العالم ، وجعلوا لها أنظمة وبرامج غاية في الدقه والأحكام وكانت لهـــم اليد الطولى في نشر النصرانية في آسيا وأمريكا وأفريقيـــا وفي محاربـــة الطوائف البروتستنتية في بلادهم المختلفة ، وما تزال هذه الجمعية دائبة فى نشاطها الى الان ومن أبرز سماتها التعصب الدينى الذى كـــان ولا يزال من مبادئ اليسوعيين الرئيسية .

الفصل الرابع



الامبراطورية العثمانية وعلاقتها بأوربا:

فى عهد انحطاط الخلافة العباسية زحف على العراق كثـــيرا مـــن الأتراك الذيـــن اعتنقوا الديانة الاسلامية ، وكان اخر هؤلاء الأتـــراك الزاحفين من قارة أسيا الـــى الغرب قبيلة تدعى (قـــاى خـــان) قصدت بلاد الخلافة الاسلامية ومنها انتقلت الـــى أسيا الصغرى تحت قيادة زعيمها (أرطغرل) وهناك انضمت الى جيش السلطـــان علاء الدين السلجوقى صاحب مملكة الروم السلاجقة .

غير أنه ليس لدينا تاريخ محدد لدخول العثمانين في آسيا الصغرى و تكويـــن دولتهم بها ، فكل هذا التاريخ الأول لم ليس معروفا على وجه التحديد و الثقـــه فليس هناك تاريخ مكتوب بأيديـــهم قبـــل سقوط القسطنطينية ، فقد كبر العثمانيـــون وأثبتوا كيانهم سياسيـا ، وعندما بدأوا يلعبون دورهم في الأحداث التاريخية بدأ الناس في تدويـن تاريخهم ومن ثم ظلت الفترة الأولى من تكوينهم غامضة .

وتروي الحوليات العثمانية القديمة أن تلك القبيلة التركيـــة في أثناء ترحالها في وهاد الأناضول بزعامة كبيرهم (ارطغرل) قد أسـدت خدمة عظيمة لعلاء الدين الأول سلطان دولة الروم السلاجقة ، فقـــد حدث في سنة ١٢٣٢ م أن شاهدت تلك القبيلـــة جيشين يقتتـــلان أحدهما من المغول والآخر من السلاجقة ، فأنضمت قبيلة (قاي خان) الى الجيش الذي كاد ينهزم وكان انضمامها اليه ســـببا في انتصـــاره ،

وبعد المعركة كانت المفاجأة سارة للقبيلة حين علمت أنها تدخلت لنصرة بني جلدتها وهم الأتراك السلاجقة أو الروم السلاجقة الذين كانوا يحاربون فرقة مغولية من جيش (الخان أو كطاي) ابن جنكيز خان وتقديرا لتدخل القبيلة كافأها علاء الدين السلجوقي بقطعة من الأرض على تخوم أملاك الدولة الرومانية الشرقية قرب مدينة (بروسه) و هذه المقاطعة تسمى (اسكي شهر) فكانت هذه المقاطعة مهدا للدولة العثمانية ، وفيها ولد عثمان بن أرطغول الذي تنسب اليه الدولة العثمانية .

وتدلنا هذه الرواية العثمانية على الطابع الحربي العنيف الذي اتسم به أفراد تلك القبيلة ، فقد خاضوا الحرب لغير مصلحة لهم ، وجدير بالذكر أن بعض المؤرخين يعتبرون هذه القصة من قبيل الأساطير التاريخية ، بينما يعتبرها البعض الآخر أنها حقيقية لا مراء فيها ، وعلى أي حال فقد نشأت الدولة العثمانية كأمارة صغيرة في هذه المقاطعة ثم نمت واتسعت بالتدريج على حساب الأمبراطورية البيزنطية في الأناضول حتى أصبحت امبراطورية مترامية الأطراف وغدت من أكبر الدول الأسلامية التي شهدها التاريخ .

وعلى عهد الأمير عثمان كر المغول مرة أخرى على آسيا الصغرى وانقضوا على جيش السلاجقة فأبادوه ثم قضوا على الدولة السلجوقية ، واستقل عثمان بما كان تحت يده من الأملاك وأنشأ

الدولة التي أصبحت تدعي باسمه سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) وفي غضون ذلك تحدد الوضع الديني والعسكري والسياسي للأتراك العثمانين ، فقد اعتنق هذا الأمير الدين الأسلامي وتبعه أفراد قبيلته ، وكانت عقيدهم الدينية غير واضحة تماما ، ويحتمل أنهم كانوا في حالة تحول من الوثنية أو من عقائد أخرى الى الأسلام ، ومهما يكن من أمر فان صلاقم الوثيقة بدولة الروم السلاجقة في الأناضول وهي دولة اسلامية كان من أهم العوامل التي ساعدت على اعتناقهم الدين الأسلامي في سرعة وسهولة ، وعلى ذلك فقد تحدد الأسلام عقيدة دينية رسمية للأتراك العثمانيين من عهد الأمير عثمان ، وسار عثمان في حكمه على هدى الأسلام ، وكان متحمسا للأسلام الذي كان له أثر كبير في مستقبل العثمانيين لا يقل عن الأثر الذي تركه الأسلام في مستقبل عرب الجزيرة العربية قبل العثمانيين بسبعة قرون عندما بعث محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فقد هيأ الأسلام للأتراك وحدة العقيدة وعبأهم بشعور ديني جارف جعلهم متحمسين لنصرة الأسلام وللجهاد الديني في سبيل نشره في بقاع العالم وخاصة أوربا .

وكان العثمانيون يتمتعون بجانب تحمسهم للأسلام بروح عسكرية قوية بحيث أصبحت سمة بارزة في تاريخ الأتراك العثمانيين ، وقد استمدوا هذه الروح العسكريةمن بيئتهم الأصلية في سهول

آسيا ، ثم عمل السلاطين تعميقها في نفوسهم فلازمتهم طوال تاريخهم الطويل الحافل بالأنتصارات عبر القرون .

ودولة بني عثمان ولدت وترعرت في معهد الجهاد الديني والغزو ، فقد وجهت همتها ضد دولة الروم وكان هذا سر اجتماع كلمة الغزاة الأولين على طاعة الأمراء الأوائل من بني عثمان ، كما كان هذا الجهاد الديني سر تقدم السلاطين من بني عثمان من نصر الى نصر ، وكان موضع فخر أولئك السلاطين أنهم وضعوا للأسلام راية في بلاد ام يسبقهم اليها جيش اسلامي من قبل في البلقان ثم في سهول المجر الى أسوار فيينا.

وواصل الأتراك توسيع نطاق حكمهم واتجهوا غربا على حساب دولة الروم الشرقية الهرمة (الأمبراطورية البيزنطية) وبما أن سياسة الفتح والتوسع هذه كانت تحتاج الى جيش دائم لا قبل لهم به نظرا لقلة عدد قبيلتهم فقد رأى قادتهم في عهد السلطان الثاني (أورخان) أن ينظموا جيشا قويا فأنشأوا فرق الأنكشارية ومعناها الجيش الجديد) ، وجعلوا أفرادها من الشبان الأسرى من المسيحيين يجمعونهم ويفصلونهم عن كل ما يذكرهم بأوطانهم الأولى فينشأون على حب الدين الأسلامي والتعلق بالدولة العثمانية الفتية ولا يعرفون سوى السلطان أبا لهم والحروب دينا وسلوكا وهكذا نشأت طائفة من أقوى الطوائف العسكرية ، ويعد ظهورها من

أهم العوامــــل التي مكنت العثمانيين من بسط سلطانهم العظيــــم في أوربا والشرق ، ولقد استمر جيش الأنكشارية عون السلطان وقوتــه القاهرة مدة ثلاثة قرون وصل فيها بعض الأفــراد منــهم الى أرقــى المناصب في الدولة العثمانية .

وقد اجتاز العثمانيون مضيق الدردنيل سنة ١٣٥٥ م ثم استولوا على مدينــة (أدرنة) التى جعلوها عاصمة لهم وفتحوا مــن بعدهــا كثيرا من المدن الأوربية ومــدوا سلطانهم الى شبه جزيرة البلقــان وكانت تابعة للدولة البيزنطية فلم يبقى للدولة البيزنطية سوى بعــض الأملاك أهمها عاصمتها القسطنطينية وما جاورهــا ، ونجــت هــذه العاصمة مؤقتا باغارة تيمورلنك التتري على أملاك العثمانيين في آســيا الصغرى ، وبانتصاره انتصارا باهرا على ســلطانهم بــايزيد الأول في موقعة أنقرة الشهيرة في سنة ٨٠٤ هــ(١٤٠٢ م) ظهر أن الدولة التي كانت قد امتدت حدودها فى جبال طوروس الى نهرالدانوب بــاتت على شفا الخراب والدمار بضربة واحدة ، الا أن السلطان محمدشــلبى ابن يزيد الأول (١٤١٣ ــ ١٤٢١ م) تمكن من انقاذ الدولة بعــد انسحاب التتار وأزال آثار هزيمة معركة أنقرة وعمل على تنظيم الدولة ومهد الطريق أمام خلفائه لمتابعة التوسع فى أوربــا واســتطاع ابنــه السلطان مراد الثانى (١٤٢١ ــ ١٤٥١ م) أن ينقذ الدولةمن غــارة أوربية قادها بطل الأفلاق (هنيادى)بانتصاره عليه فى موقعة (فارنــا)

سنة ١٤٤٤ م وبهذا الانتصار اطمأن العثمانيون على حدودهم الشمالية في البلقان ، وأخذوا يستعدون للاجهاز على الدولة البيزنطية نهائيا .

وحينما تولى الحكم السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ — ١٤٨١م) قاد جيشه المدرب والمجهز بأقوى عدة الحرب المعروفة في عصره ، وزحف على عاصمة البيزنطيين فافتتحها في سنة ١٤٥٣ م وبذلك قضى العثمانيون على دولة الروم الشرقية قضاء نهائيا ، ويعد فتح القسطنطينية من أهم الحوادث التاريخية ، ويعتبره كثير من المؤرخين بداية العصور الحديثة ، ولقد جعل العثمانيون من فتحها مهرجانا اسلاميا كبيرا حيث لم ينسوا في غمرة نصرهم جهود الرواد الأوائل الذين حاولوا فتحها في القرن الأول الهجري وأخذوا في البحث عن قبر أبي أيوب الانصاري الذي أستشهد أمام أسوارها في حملة من تلك الحملات الأولى في صدر الأسلام ، ثم شيدوا عليه مسجدا من أعظم المساجد الاسلامية في تركيا .

وأصبحت الدولة العثمانية في أوائل القرن السادس عشر هي العنصر المسيطر في الأناضول والبلقن وأستطاعت بذلك أن تحقق في تلك الأجزاء الوحدة والأستقرار اللذين عجزت عن تحقيقهما تلك الشعوب المتصارعة المتنافسة ، وعندئذ وصلت الدولة العثمانية الى نقطة هامة في تاريخها ، هل تبقى دولة أناضولية بلقانية ؟ أو تستمر في

التوسع فى أوربا ؟ أو تتجه نحو العالم الأسلامى شرقا وجنوبا ؟ وقـف السلطان سليم العثمـانى (١٥١٢ ــ ١٥٢٠ م) ذلـك الموقـف وأضطرته الظروف أن يتبع الطريق الأخير ، وفى زمن السلطان سـليم فتحت الجيوش العثمانية بقيادة غالبية البلاد العربية نعد أن كسرت قوة المماليك الشراكسة فى الشام سنة ١٥١٦ م ومصر سـنة ١٥١٧م ، وقبض على الخليفة المتوكل على الله آخر الخلفاء العباسيين بالقـاهرة ونقله الى استانبول عاصمة ملكه حيث أشيع أنه تنازل لسـليم عـن منصب الخلافة الأسلامية في سنة ١٥١٨ غير أن الثابت أن العثمـانيين لم يهتموا في هذه الآونة بهذا المنصب ولم يعبأوا بلقب كان قـد فقـد مكانته منذ أزمان طويلة .

وحكم الدولة العثمانية بعد سليم ابنه السلطان سليمان المشـرع (١٥٢٠ - ١٥٦٦ م) وفي أيامه بلغت الدولة أسـمى درجـات القوة والعظمة وأصبحت كأنها سيدة البر والبحر ، يرتعش لمـجرد ذكر اسـمها أشهر ملوك أوربا ، وقد ظل سليمان طوال حكمـه في حروب متصله مع الأوربيين وخاصة البنادقة والأمبراطور شـارلكان (١٥١٩ - ١٥٥٦) امبراطور ألمانيا . وفي أيامه تم فتح قلعة بلجـراد وبهذا الظفر فتحت أبواب هنغاريا وأواسط أوربا في وجـه الجيـوش العثمانية القوية .

وفي عصر السلطان سليمان المشرع اشتد النـــزاع بين فرانســـوا الأول ملك فرنسا والأمبراطور شارلكان (شارل الخـــامس) ووقـــع فرنسوا الأول أسيرا في قبضة شارلكان وتدخل الســـــلطان ســـليمان لنجدة فرنسوا وكان على علاقات طيبة معه ، وانقض عـــلى أواســـط أوربا وتمكن من تمزيق جيش المجريين شر ممزق وفتح بودابست بعد قتل ملك المجر في معركة (مهاج) ثم حاصر مدينة فيينا ، فكان هذا النصـــر العثماني دخل كبير في سيرالحركات الحربية في صـــالح فرنســـوا الأول واضطر شارلكان الى عقد الصلح مع فرنسوا الأول في مدينة (كامبريه سنة ١٥٢٩ م) بسبب ضغط العثمانيين ومحاصرتهم لمدينة فيينـــا . وفي الوقت الذي كانت الجيوش العثمانية تهاجم قلب أوربا كانت الســـفن الحربية العثمانية تحت قيادة خير الدين بارباروسا تتغلب على أســـطول شارلكان وتطارده في مياه الجزائر وتســـتولي علـــى مدينةمســـينارب بمدافعها ميناء (نيس) التابع حينئذ لأسبانيا .

ويعتبر السلطان سليمان المشرع من أشهر ملوك بني عثمـــان ، فقد بلغت الدولة في عهده أقصى مابلغته من القوة والسيطرة وبلغـــت حدودها غربا الحد الفاصل بين هنغاريا والنمسا والمغرب الأقصـــى ، وشرقا بلاد ايران وجنوبا مدينة عدن والسودان والصحراء الكـــبرى بأفريقيا ، وقد تحالف مع فرانسوا الأول ضـــد خصمـــه الامـــبراطور شارلكان وجنت فرنسا من هذا التحالف ثمرات طيبة اذ اســـترجعت

بفضله مكانتها الحربية ، ونالت فرنسا من الدولة العثمانية امتيــــازات سياسية وقانونية كانت لها نتائج خطيرة في سائر أنحاء الدولة العثمانية .

الامتيازات الأجنبية وخطرها :

لقد كان للتحالف الفرنسي العثماني على عهد ســـليمان نتـــائج خطيرة ، ففي سنة ١٥٢٩ أرسل فرانســـوا الأول بعثـــة الى البـــلاط العثماني وتمكنت البعثة من عقد معاهدة صداقة بين الدولتين العثمانيـــة والفرنسية كان الغرض منها تهديد شارلكان وتوثيق العلاقات التجاريـــة بين فرنسا والدولة العثمانية . وكان سليمان مخلصا للمعاهدة بدليل أنــه هاجم الأمبراطور عدة مرات كان آخرها سنة ١٥٦٦ م وهي الحملـــة التي توفي فيها بعيد عن عاصمته .

وجنت فرنسا ثمرات طيبة من هذا الحلف (الذي أغضب الـــرأي العام في أوربا لوقوعه بين مملكة نصرانية وأخرى مسلمة) فاســـترجعت فرنسا مكانتها الحربية من جهة وتمكنت من أخذ امتيازات تجارية لهـــا دون سائر البلاد الأوربية بالاتجار مع الموانئ العثمانيـــة ، وقـــد ظـــل الفرنسيون يتمتعون بهذا التفضيل زمنا طويـــلا ، ولم تقتصـــر هـــذه الأمتيازات على الناحية التجارية بل تعدتها الى نواح أخرى حيوية وهي منح فرنسا حماية الاماكن المقدسة في القدس وبيت لحم وحمايـــة جميـــع رعايا السلطان الكاثوليك ، وقد تأيدت وثبتـــت هـــذه الحقـــوق في معاهدات أخرى عقدت فيما بعد وأهمها معاهدة سنة ١٧٤٠ التي فيها

نص صريح على وجوب امتناع الدولة العثمانية من فرض أية ضريبة على رعايا فرنسا المقيمين في البلاد العثمانية وعلى محاكمة أولئك الرعايا أمام المحاكم العثمانية وترك ذلك للقنصليات الفرنسية ، وهذه الامتيازات منحت أيام عظمة الدولة العثمانية وسطوتها فلم يكن لها تلك النتائج الخطيرة التي ظهرت فيما بعد فقيدت سلطة الدولة وأطلقت يد الاجانب في بلادها أيام ضعف الدولة وانحلالها ، وحينما مرضت الدولة منحت تلك الامتيازات الى سائر الدول الكبرى وبذلك مكنتها من أن تكون لها مكانة قوية في الدولة العثمانية نفسها تستخدمها في كثير من الظروف لالحاق الضرر بها وبث روح التمرد بين العناصر المسيحية التي كانت خاضعة للحكم العثماني ، وظل هذا الوضع الشاذ الذي كان يهدد كيان الدولة قائما حتى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ وبدأت البلاد التي كانت تابعة للعثمانين تتخلص من شرور هذه الامتيازات التي عانت منها زمنا طويلا .

الصراع الدولي في أوربا بين فرنسا وأسبانيا :

كانت فرنسا وأسبانيا قرب نهاية القرن الخامس عشر في طليعة الدول اللاتينية والكاثوليكية في الغرب ، تربطهما روابط الجنس والدين والتراث المشترك من اللغة والآداب الرومانسية ، كما أنهما كانتا قد بلغتا مستوى عاما من الثقافة يفوق كثيرا ذلك المستوى السائد في شرق أوربا ، وان يكن أدنى من مستوى الثقافة الايطالية في عصر النهضة بشكل واضح ، وكان الأتراك يعتبرون الاعداء الألداء لهذه الحضارة اللاتينية المسيحية ، ولما كان الاتراك يسيطرون على شرق البحر المتوسط ويهددون شواطئ ايطاليا وأسبانيا ،فقد كان من المحتمل أن يتكون ضدهم تحالف أوربي لمجابهتهم وصدهم ، ويكون ذلك هو الشغل الشاغل للدبلوماسية الغربية ، ولكن ذلك لم يحدث ، فبدلا من اتحاد الدول الأوربية ضد الدولة العثمانية ، اشتبكت مع بعضها البعض في معارك عنيفة ، وكانت شبه الجزيرة الايطالية ميدانا لهذا الصراع خلال مراحله الأولى ، وبعد ذلك تطور هذا الصراع الى قتال شمل أجزاء عديدة من القارة الأوربية ، واستطال أمد هذا الصراع أكثر من ستين عاما (١٤٩٤ –١٥٥٩ م) .

وكانت ايطاليا مفتتة الى كيانات سياسية متناحرة ، ودويلات صغيرة ومدن متحاسدة متباغضة ، وقامت فيها كما سبق أن ذكرنا حكومات استبدادية تنتحل لنفسها اسم الجمهوريات ، وكان أهلها

على جانب كبير من الذكاء وحب الفنون والآداب ، وكانت هذه الخصومات المحلية يقوم بها جند مرتزقة ، وكان في ايطاليا في عهد النهضة خمس دول قوية هي :

فلورنسا ، والبندقية ، وروما ، ونابلي ، وميلان .

وكانت أسبانيا وفرنسا تتطلعان الى بسط نفوذهما في ايطاليا ، وقد بلغت كلتاهما في آواخر القرن الخامس عشر مبلغا عظيما من التقدم الحضاري ، وكانت كل منهما تمثل الدولة الملكية المتوحدة ذات الحكومة المركزية القوية .

فمنذ توحدت مملكتا قشتالة وأورغونة بزواج تم سنة ١٤٦٩ م وهي تخطوا قدما الى الأمام حتى أصبحت دولة عظمى ، فقد اقترن ولي عهد (مملكة أرجونة) المدعو (فردناند) بالملكة (ايزابيلا) حاكمة (قشتالة) ، وبعد عشر سنوات من ذلك الزواج لبس كل منهما تاج مملكته ووحدا جهودهما لأجل القضاء على آخر امارة اسلامية في الأندلس وهي امارة (غرناطة) ، وبسقوط غرناطة تم القضاء على الحكم الأسلامى نهائيا فى الأندلس وذاع صيت الملكين الظافرين و أقبل النصارى عليهما اقبالا منقطع النظير ، واستغل الملكان تلك المكانة ووحدا أقاليم أسبانيا المتناحرة وتمكنا من انشاء حكومة مركزية قوية ، واستخدم فردناند وزوجته مختلف الوسائل فى تثبيت دعائم السلطة المركزية وكان أفظع هذه الوسائل انشاء محاكم التفتيش

للقضاء على الخارجين على الكنيسة ، وبما أن سكان البلاد المكتسحة كانوا من العرب وأكثرهم مسلمون فانهما أمرا بانشاء هذه المحاكم والاكثار منها في جميع المدن الأسبانية وعين لها أعضاء متعصبون عرفوا بالقسوة والتوحش وعدم الفهم لابسط المبادئ الانسانية والشفقة والرحمة ، وكانت الغاية من انشاء هذه المحكم هي القضاء النهائى على العرب واليهود باستخدام الحديد والنار ، فلقد كانت ضحايا هذه الدواوين (المحاكم) تذبح ذبح النعاج تارة وتحرق تارة أخرى ، وكلن الملك يأمر بمصادرة أموال وأملاك أولئك المساكين لحساب حكومته وقد بلغ التعصب المسيحي مداه في أسبانيا لدرجة جعلت الحكم الأسباني في كل مكان مرادفا للتعصب المقيت واضطهاد العقائد المخالفة.

وقد بدأت الحرب الايطالية في عهد شارل الثامن ملك فرنسا في الفترة من سنة١٤٨٣ م حتى سنة ١٤٩٨ م فقد تجهز هذا الملك بجيش عظيم في سنة ١٤٩٤ م واجتاح به ايطاليا ودخل روما ، وسيطر على نابلي في فبراير سنة ١٤٩٥ م وغدت فرنسا سيدة الموقف بعد هذه الحرب الخاطفة وعاد الجيش الفرسي الى بلاده في سنة ١٤٩٥ مكللا بالنصر ومحملا بالغنائم وتوفي شارل الثامن في سنة ١٤٩٨م

لويس الثانى عشر : و تولى الحكم من بعده ابن عمه لويس الثاني عشر ، واجتذبت فكرة المجد الايطالي ابن عم شارل الثامن

ووريثه على العرش الذى تولى فى الفترة من سـنة ١٤٩٨حتى سـنة ١٥١٥ م ، وتكررت نفس القصة السابقة حيث زحف لويس الثـاني عشر على ايطاليا وانتصر انتصارات سهلة أعقبتها ارتباكات خطـيرة ، ثم هزائم في ايطاليا بل غزو فرنسا ذاتها في نهاية الامر ، فقـد هزمـت جيوشه في (نوفارا) سنة ١٥١٣ م .

وتكون ضده اتحاد في أوربا يسمى التحالف المقدس جرده مـن فتوحه في ايطاليا وتم طرده من ايطاليا ، وكان على رأس هذا التحـالف انجلترا واسبانيا ، ورجع ليجد الانجليز قد احتلوا جزءا من بلاده فرنسا ، فقد استولوا على (توريني).

وكان لويس الثانى عشر يعرف بسياسة داخلية تتسـم بالطـابع الأنسانى ، ولذلك أطلق عليه الشعب الفرنسى لقب والـد الشـعب ولكنه أنتهج نفس السياسة الخارجية التوسعية فى ايطاليا الـتى تبناهـا سلفه شارل الثامن ، وقد صادفت حملاته الحربية نجاحا فى أول الأمـر ثم ما لبث أن فشل هذا النجاح المبكر على غرار ما حدث فى عهد شـلول الثامن . لكنه حدث تقارب بينه وبين البابا أسكندر السادس تحـول الى اتفاق بينهما على تبادل المصالح ، على أن يبارك البابا خطوة فرنسـا العسكرية فى احتلال اقليم (لمباردى) بل ويجيز هـذا الأحتـلال فى مقابل أن تعطى فرنسا ابنه اقليما يحكمه ، كما نجح لويس الثانى عشـر

فى عقد اتفاق مع كل من أنجلترا وأسبانيا لتقف على الحياد أثناء صراعه فى ايطاليا .

وتمكن لويس الثانى عشر فى آخر حياته من عقد صلح مع ملك أنجلترا (هنري الثامن) فى أغسطس ١٥١٤ م وتقرر فى هذا الصلح أن يتزوج لويس الثانى عشر الأميره مارى الأخت الصغرى لملك أنجلترا لتصبح ملكة على فرنسا ، وكان هذا الزواج سياسيا من أجل المصالح السياسية ، فقد أغفلت فيه عدت اعتبارات أهمها : الفارق الصلوخ فى السن ، اذ كانت العروس قد بلغت سبعة عشر ربيعا بينما كان الزوج فى العقد السادس من عمره وكان أرملا توفيت عنه زوجته الثانية وشائت الأقدار الا ينعم بزواجه الجديد أكثر من ثلاثة أشهر اذ قضى نحبه فى اليوم الأول من شهر يناير سنة ١٥١٥ م .

وبوفاته ينتهى الدور الأول فى الحروب الأيطالية ويمكن تحديد نتائجه على النحو الآتى :

أولا : أخفقت فرنسا فى سياسة التوسع الاقليمى فى ايطاليا ، فهى لم تفشل فى بسط سيطرتها على ايطاليا فحسب ، بل خرجت هى نفسها من شبه الجزيرة الايطالية .

ثانيا : نالت اسبانيا أقاليم ذات مواقع استراتيجية هى نـــابولى واقتسمت ميلان مع السويسريين ، كما أنها استولت على نافار الواقعة على حدودها الشمالية .

ثالثا : امتلكت البابوية اقليم رومانا **Romagne** ، ولم تلبث أن حققت نصرا سياسيا حين عادت أسرة ميدتشى مـــرة أخـــرى الى الحكم فى فلورنسا وكان البابا ليو العاشر ينتمى الى هذه الأسرة ، فظفر بالسيطرة على فلورنسا التى قطعت علاقاتها مع فرنسا .

الدور الثانى : من الصراع الدولى بين فرنســا وأســبانيا (١٥١٥ — ١٥٥٩ م) .

وقد استطال هذا الدور أربعة وأربعين عاما ، ولهذا يمكن تقسيمه الى أربع فترات حتى يمكن تتبع أحداثها .

الفترة الأولى : وتبدأ بارتقاء فرانسوا الأول عرش فرنسا ســـنة ١٥١٥ م الى أنتخاب شارل الأول ملك اسبانيا امـــبراطورا للدولـــة الرومانية المقدسة باسم شارل الخامس سنة ١٥١٩ م .

الفترة الثانية :وتبدأ من ارتقاء شارل الخامس عرش الامبراطورية المقدسة سنة ١٥١٩ م الى تتويجه فى مدينة بولونا **Bologne** فى شمال ايطاليا سنة ١٥٣٠ م . ويأخذ الصراع منذ هذه الفترة مظهر النضـــال

بين فرنسا وبين أسرة هابسبرج ممثلة فى امبراطور الدولـــــة الرومانيـــة المقدسة .

الفترة الثالثة :تشمل الصراع بين أسرتى فالوا وهابسبرج خـلال السنوات الأخيرة من حكم فرانسوا الأول (١٥٣٠ ــ ١٥٤٧ م) .

الفترة الرابعة : وتبدأ من ارتقاء هنرى الثانى عرش فرنسا سنة ١٥٤٧ م الى توقيع معاهدة كانوا كمبرسيس سنة ١٥٥٩ م .

الفترة الأولى :

تولى فرانسوا الأول عرش فرنسا فى سنة ١٥١٥ م بعد وفـــاة الملك الراحل لويس الثانى عشر ، وكان الملك الجديد من أسرة فـــالوا وكان شابا يافعا فى العشرين من عمره مندفعا تواقا الى ابراز مواهبـه فى الميادين الحربية ، واستهوته شبه الجزيرة الايطالية طوال سنوات حكمـه وأتخذها ميدانا عسكريا يحقق فيه أطماعه ويصول ويجول فيه على غرار سلفيه شارل الثامن ولويس الثانى عشر ، وتذرع بحقوق له موروثـة فى دوقية ميلان . ولم يجد له فى هذه الغامرة الايطالية من حليـــف ســوى جمهورية البندقية . بينما تحالفت ضده الأمبراطورية الرومانية المقدســـة وأسبانيا والبابوية . ولكن يلاحظ أن كل من الأمبراطور والملك والبابـا كان طاعنا فى السن ولم يلبث أن تلقفهم الموت الواحد بعد الآخـــــر . حيث مات فرديناند الكاثوليكى ملك أسبانيا فى يناير ســـنة ١٥١٦ م

وتوفى الأمبراطور مكسميليان الأول فى يناير ١٥١٩ م ولحق بهما البابا ليوالعاشر فى ديسمبر ١٥٢١ م.

واستخدم هؤلاء الحلفاء الجنود السويسريين المرتزقة الذين يرابطون فى ميلان ويشكلون خطرا داهما على الفرنسيين ، وقد حشد فرانسوا الأول جيشا جرارا كان قوامه أربعين ألف جندى يؤيدهم سلاح مدفعية رهيب .

وأوقع فرانسوا الأول هزيمة منكرة بالحلفاء على مقربة من (ميلان) فى سبتمبر ١٥١٥ م واستولى على ميلان وازداد نفوذ الملكية الفرنسية بحيث أصبح هذا النفوذ ينسحب على رجال الدين ايضا كما ينص على ذلك اتفاق (بولونا) Bologne ويعتبر اتفاق بولونا اساس العلاقة بين الملكية والكنيسة فى فرنسا من ناحية ؛ وبين البابوية من ناحية أخرى طوال ثلاثة قرون منذ مستهل القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر عندما قامت الثورة الفرنسية .

المنافسة بين فرانسوا الأول وملك أسبانيا :

بعد وفاة امبراطور الدولة الرومانية المقدسة مكسميليان الأول فى سنة ١٥١٩ م وكان المانيا ، رشح فرانسوا الأول ملك فرنسا نفسه لمنصب امبراطور الدولة الرومانية القدسة ونافسه فى هذا الترشيح شارل الأول ملك أسبانيا ، ولما كان شارل أقوى وأغنى ملك فى أوربا فقد تم أنتخابه امبراطورا للدولة الرومانية المقدسة وأطلق على نفسه

منذ أنتخابه (شارل الخامس) وبذلك ورثت أسبانيا أملاك الأمبراطورية الرومانية المقدسة فى ألمانيا ، وغدا ملك أسبانيا يحكم أكثر من نصف أوربا الغربية عدا الممتلكات الشاسعة فى العالم الجديد وغدا قوة رهيبة تهدد فرنسا ، لأن أملاك أسبانيا أصبحت تحيط بفرنسا من كل جانب ، وأصبح نشوب الحرب بينهما أمرا لا مفر منه وكانت أسبانيا تتمتع بميزة السبق فى البحر فلها أسطول بحرى كبير ، ولها قوة حربية قوية من المشاه ، وبدأت خزائنها تمتلىء بثروة الفتوحات الجغرافية فى العالم الجديد .

وقد تحالفت أسبانيا فى عصر شارل الخامس مع البابا وميلان والبندقية والسويسريين للحيلولة دون سيطرة فرنسا على ايطاليا ، ولكن فرانسوا الأول ظل متمسكا بمشروعاته الايطالية ، وقد توفرت كل العوامل لوقوع الحرب بين فرنسا وشارل الخامس ، وقد وقعت فعلا سنة ١٥٢٠ م ، وظلت نيرانها مستعرة تسعة وعشرين سنة ، ولم تنته الا فى أيام ولدى مضرميها وهما (فيليب الثانى) ملك أسبانيا ، (هنرى الثانى) ملك فرنسا ، وكانت هذه الحروب تقع فى شمال فرنسا وفى ايطاليا وكان كل من الملكين المتحاربين يبذل جهده ليدبر حليفا له يساعده على خصمه ، وهكذا أشتركت فيها من الدول : انجلترا والسويد والدولة العثمانية فى عصر سليمان المشرع والبابا والامارات الألمانية البروتستنتية والجمهوريات الايطالية .

نخلص من هذا العرض السريع للموقف الدولى فى أوربا عقب معاهدة مدريد أن هذا الموقف كان يموج بشتى التيارات السياسية والعسكرية المتضاربة ، وأنه على الرغم من الأنتصار الساحق الذى أحرزه الأمبراطور فى معركة بافى سنة ١٥٢٥ م واملاء شروطه فى معاهدة مدريد سنة ١٥٢٦ م فان المصاعب تزاحمت حوله من يمين ويسار ، وكان فى مقدمتها أن حلفاء الأمس الذين كانوا يقفون الى جانب الأمبراطور أصبحوا خصومه وكونوا حلف كونياك المقدس سنة ١٥٢٦ م وقوامه فرنسا وانجلترا والبابا والبندقية وفلورنسا وميلان وسائر الولايات الايطالية . وغدا تجدد الصدام المسلح أمرا وشيكا .

فى هذا الوقت الدقيق واجه البابا كلمنت السابع موقفين حرجين . وكانت حياة هذا البابا حافلة بمثل هذه المواقف . كانت فى ايطاليا أسرة كبيرة تسمى كولونا **colonna** قوية الشكيمة أشتهرت بأنها أنجبت عددا من البابوات والكرادلة والقواد العسكريين ، واستطاع الأمبراطور أن يستميلها اليه . وبأيعاز منه قامت بهجوم على الممتلكات البابوية ، وأذن لها الامبراطور فى أن تستخدم الأراضى التابعة لمملكة نابولى قواعد لهذا الهجوم . وأراد البابا مهادنتهم وعقد معهم صلحا واطمأن الى جانبهم ، ولكنهم كانوا يبيتون له الغدر ، فاذا بهم على حين غفلة وبدون أدنى سبب يقومون بهجوم غادر على روما زلزل مركزه وأصاب المدينة بخسائر جسيمة ، واضطر البابا الى عقد هدنة مع

الامبراطور فى مارس ١٥٢٧ م ، وبذلك خرج البابا على حلف كـــان هو أول الداعين له ونعنى به حلف كونياك المقدس .

ومما هو جدير بالذكر أن البابا حدث له اضطراب شديد فى هـــذه الأيام العصيبة انعكس على تصرفاته ، فتأرجح موقفـــه بـــين فرنســـا وأسبانيا تأرجحا معيبا ولم يثبت على قرار . فبعد أن تحالف مع فرنســـا فى حلف كونياك عاد الى الأمباطور فى مارس ١٥٢٧ م ، ولكنه مـــا لبث أن انقلب عليه وانضم فى ٢٥ ابريل ١٥٢٧ م الى ملك فرنســـا وعقد معه معاهدة اتفقا فيها على غزو اسبانيا ذاتها ، وبعد مضى ثلاثـــة عشر يوما كان البابا أسيرا فى يد جنود الامبراطور .

نتائج الحرب الفرنسية الأسبانية :

ونتيجة لهذه الحروب الطاحنة التى نتج عنها زحف أسبانيا علـــى ايطاليا يصاحبها تعصب كاثوليكى مقيت ، نتيجة لذلك طغى الحكـــم الاسبانى الصارم المتعصب على ايطاليا وأفل نجم النهضـــة الايطاليـــة ، واختفى الخيال الأيطالى الرحب وراء غيوم من الطغيان الاسبانى وتحكم رجال الدين من الكاثوليك .

وهناك نتيجة أخرى صاحبت هذه الحروب وهى أنهـــا عجلـــت بانتشار النهضة الايطالية لدى شعوب أوربا الغربية والشمالية ، ففـــى خلال القرن الخامس عشر كان يأتى الى ايطاليا طلاب العلم من انجلترا وألمانيا وفرنسا للدراسة فى جامعاتها ، ثم يعودون الى بلادهم مزوديـــن

بأكداس من المعارف الطبية والأدبية القديمة ، وعلى فرض أن شـــارل
الثامن ومن تبعه من الفرنسيين لم يعبروا الألب على الأطلاق ، فقد كان
لابد أن يأتى الوقت للنهضة الايطالية لتؤثر فى حياة الشعوب الشـمالية
ولكن الحروب تسرع الخطى بعجلة التاريخ ، فالعمليات الـتى تسـير
بطيئة وتدريجية فى الأحوال الأخرى ت٣٩٢*١صبح حينئذ فى ظروف
الحروب سريعة تتدفق حيوية ، فكل حرب رحلة أستكشافية ، وكـل
أتصال دبلوماسى كشف لطبيعة الاجانب البشرية ، وكذلـك كـان
الشأن فى الحروب الايطالية ، فقد عجلت — ان لم تكن قد سـببت —
بانتشار النهضة الايطالية لدى شمال وغرب أوربا .

الفصل الخامس

أوربا في القرن السابع عشر

يمتاز القرن السابع عشر بظهور الروح الوطنية ، واختفاء الانقسامات الدينية التى أوجدها حركة الأصلاح الديني في القرن السادس عشر ، وكانت فرنسا على رأس الدول التي ظهرت فيها الروح الوطنية الحديثة وحاولت في هذا القرن الوصول إلى حدودها الطبيعية ، كما ظهر في هذا القرن مبدأ المحافظة على التوازن الدولي في أوربا للحد من نفوذ أسبانيا التي حاولت فرض نفوذها وسلطانها في أوربا .

وظهرت الى الوجود دول قوية مسلحة وأصبحت تحاول المشاركة في صنع حوادث التاريخ الأوربي في القرن السابع عشروذلك مثل : السويد ،وانجلترا وهولندا وفرنسا والدانمارك وروسيا .

وشاهد القرن السابع عشر لذلك كثيرا من الصراعات العسكريةبين الدول المتنافسة ذات المصالح المختلفة ، وكانت حرب الثلاثين عاما التي شملت الفترة من عام ١٦١٨ حتى عام ١٦٤٨ م صورة معبرة عن هذه الصراعات الأوربية في هذا القرن .وبدأت هذه الحروب في دورها الأول في ألمانيا بين البروتستانت والكاثوليك ، وعرف هذا الدور بالدور البوهيمي لأنه دار في بوهيميا وهي مملكة ألمانية مستقلة واستمرت من١٦١٨ حتى ١٦٢٣م وانتصرفيها

الكاثوليك على البروتستانت .واستعادت أسرة الهابسبورج سيطرتها على بوهيميا .

ودخلت الدانمرك الحرب في دورها الثاني (١٦٢٥ـــ ١٦٢٩م) مع البرتستانت ومساعدة الهولنديين والإنجليز .ودخلت السويد بقيادة ملكها جوستاف أدلف البروتستانتي في دورها الثالث من ١٦٣٠ـــ ١٦٣٥م وهزمت السويد في نهايتها وقويت شأفة الكاثوليك تحت زعامة الامبراطور .

ولما علمت فرنسابهزيمة السويد دخلت الحرب سنة ١٦٣٥م وبدخول فرنسا الحرب انتهى العامل الديني لأن فرنسا كاثوليكية تحارب الى جانب البروتستانت لأنها كانت تريد القضاء على سيطرة أسرة الهابسبرج في أوربا لخدمة مصالحها السياسية ودارت رحى هذه الحرب في الأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا)التي كانت تابعة لأسبانيا حليفة الامبراطور واستمرت حتى ١٦٤٨م وتحولت الى حرب دولية فوق أرض ألمانيا وانتصرت فيها فرنسا ، وفي نهايتها عقد صلح وستفالياسنة ١٦٤٨م الذي كسبت فيه فرنسا والسويد بعض الأراضي وخرجت فرنسا من هذه الحرب متفوقة برا وبحرا في أوربا كما قويت السويد ، وضعف جانب أسبانيا ، واستمرت آثارهذا الصلح حتى الثورة الفرنسية .

وبدأ التنافس الإستعماري بين الدول الأوربية يظهر على أشده ، وكان الأسبان والبرتغال قد سبقوا الدول الأوربية في مجال الأستعمار وأصبحت لهم كثير من الممتلكات في الأمريكتين وفي الشرق الأقصى والمحيط الهندي وأفريقيا والخليج العربي .

وكان من نتيجة ما حققه الأسبان من تقدم في مجال الاستعمار في أمريكا الشمالية أن اعتقد البرتغاليون أن الأسبان وصلوا الى الهند بالسير غربا ، وكان البرتغاليون حريصون على الوصول إلى الهند قبلهم ، وزاد الموقف حرجا أن البابا كان قد منح البرتغال تفويضا باستعمار جميع البلدان الواقعة في طريق الهند من الشرق ، وكادت تقع الحرب بينهما وحاول البابا أن يمنع الحرب بينهما فأصدر مرسوما في غاية الغرابة في سنة ١٤٩٣م تقرر بمقتضاه رسم خط وهمي للفصل بين ممتلكات البرتغاليين والأسبان ويبدأ هذا الخط من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي ويمر على بعد مائة فرسخ إلى الغرب من جزر الرأس الأخضر، فيكون كل ماكتشف شرقه للبرتغال وما اكتشف غربه للأسبان .

وقدهاجم المؤرخون الأوربيون قرار البابا ووصفوه بأنه اعتداء على حرية البشر وأن فيه احتكار البرتغال والأسبان للأقاليم المفتوحة أو التي ستفتح في المستقبل ، وسدالطريق أمام الدول الأخرى الطموحة إلى الإستعمار مثل انجلترا وفرنسا وهولندا .

واستعمر الأسبان معظم أقاليم أمريكا الجنوبية ما عدا البرازيل التي اقتنصها البرتغاليون ، ومن ثم وصفت كل منأمريكا الوسطى والجنوبية باسم أمريكا اللاتينية لتركز الأسبان والبرتغال فيهم وهم من أصل لاتيني ، وذلك بعكس أمريكا الشمالية التي وصفت بأنها أمريكا السكسونية بسبب انتشار الأستعمار الانجليزي فيها .

واستعمر الأسبان الجزر الواقعة بين اليابان وأندونيسيا وأطلقوا عليها اسم ملكهم فيليب ، فأصبحت تعرف بالفيلبين ، وقبل ذلك كانت تعرف باسم (إنديوس **indios**) .

وجنت أسبانيا ثراء طائلا من دم غيرها وعلى حساب شقاء السكان الأصليين للبلاد المفتوحة الأمر الذي جعل الأسبان يعتقدون أنهم مركزالعالم .وتسبب هذا الثراء في حقد الدول الأوربية الأخرى .

القرصنة الأستعمارية :

سمع الأوربيون بقوافل أسبانيا البحرية المحملة بالمعادن الثمينة في طريقها بالمحيط الأطلسي إلى أسبانيا فتعرضوا لها وقاموا بالسطو عليها في المحيط الأطلسي وكان هؤلاء اللصوص من الهولنديين والإنجليز والفرنسيين وغيرهم من القراصنةالأوربيين ، وهكذا كان الأوربيون أول من احترف القرصنة البحرية ، ولكنهم ألصقوها بغيرهم من المسلمين الذين كانوا يدافعون عن أنفسهم أمام الزحف الاستعماري من المغاربة وأهل الخليج العربي .

وتحولت هذه القرصنة الأوربية إلى منافسة إستعمارية لأسبانيا والبرتغال على يد الهولنديين والانجليز والفرنسيين وغيرهم .وكان لانتشار البروتستانتية في أوربا أثر واضح في مجال الإستعمار ، فإنه أبطل فيما يتعلق بالأمم البروتستانتية منحة البابا للبرتغال وأسبانيا باحتكار استعمار العالم وبدأت انجلترا وهولندا تتحدى احتكار أسبانيا والبرتغال ، وقامت حرب مريرة بين الإنجليز وهولندا من ناحية والأسبان من ناحية أخرى واستطاع الإنجليز تحطيم الأسطول الأسباني المعروف بالأرمادا أي الذي لا يهزم سنة ١٥٨٨م .

وبعد هزيمة (الأرمادا) وتشتيت شملها صار في امكان دول أوربا البحرية اقتحام المياه الهندية ، وفي غضون ذلك انتقل مركز تجارة التوابل من لشبونة إلى موني الأراضي المنخفضة أثناء ذلك القرن وإلى انجلترا بعد ذلك وورث الهولنديون والإنجليز كثيرا من المستعمرات البرتغالية والأسبانية في العالم .

الهجرة الأوربية :

وترتب على الإنقلاب الصناعي في أوربا فيما بعد وجودفائض من السكان في انجلترا وبعض الدول الاوربية فدفعوا بهذا الفائض الى مستعمراتهم في خارج أوربا ونالت مستعمرة جنوب أفريقيا قدرا كبيرا من الهجرة الانجليزية واستراليا وأمريكا الشمالية وافريقيا .

التقدم الدستوري في أوربا
في القرن السابع عشر

بدأ التقدم الدستوري في انجلترا شيئا فشيئا فقد كان ملوك انجلـــترا في البداية يحكمون حكما مطلقا طبقا لنظرية الحق الألهي المقدس للملـــوك لكن اضطر الملك يوحنا في عام ١٢١٥م تحت ضغط الأشراف ورجال الدين أن يصدر العهد الأعظم (magna carta) وهو ينص على :

عدم القبض على أحد أو سجنه الا بقرار من محكمة قانونيـــة ، ولاتفرض ضريبة الا بموافقة المجلس الأعظم وهو من الأشراف ورجـال الدين ، وعدم تتدخل الملك في شئون الكنيسة .

وأدت هذه الخطوة الى مشاركة الأشراف للملـــك وكذلـك رجال الكنيسة في بعض سلطاته التشريعية ومراقبة أعماله ، وحـــدث تطور آخر حيث أصبحت كل مدينة من المـــدن الانجليزيـــة تشـارك بمندوبين عنها في المجلس الأعظم وبذلك أتسعت رقعة التمثيل في هـــذا المجلس .

وفي القرن الرابع عشر حدث تطور آخـــر إذ إنقســـم المجلـس الأعظم الى مجلسين ١- مجلس يمثل الأشراف ورجال الديـــن هـــو (مجلس اللوردات) ٢-ومجلس يمثل المدن والمقاطعات وهو (مجلـــس

العموم) وتغير اسم المجلسين فأصبح يطلق عليه اسم(البرلمان)، وكان هذا البرلمان يشارك الملك سلطاته التشريعية .

وأثناء حركة النهضة الأوربيةانشغل الشعب البريطاني بالفتوح وقد مر كفاح الشعب الانجليزي في هذه الفترة بالمراحل التالية :

أولا: فترة حكم جميس الأول ١٦٠٣-١٦٢٥م وكان هذا الملك يتمسك بحق الملوك الألهي في الحكم وهو الحق الذي يقوم على أساس أن أشخاص الملوك مقدسة وعارض أي محاولة تهدف للحد من حقوق الملوك في الحكم والسيطرة وكان هذا الملك كاثوليكي على الرغم من أن غالبية الشعب البريطاني كان قد اعتنق المذهب البروتستانتي ودخل جميس الأول في نزاع مع البرلمان الى أن تولى ابنه شارل الأول الحكم سنة ١٦٢٥ وورث شارل المشاكل عن ابيه وموقفه من المسألة الدستورية وكان كأبيه يتمسك بالحق المقدس للملوك في الحكم فسار في خصومة ضد رجال الدين وضد البرلمان واتجه مجلس العموم البريطاني الى اتخاذ سياسة معاكسة لسياسته في اثناء حربه مع أسبانيا واعترض الملك على حق البرلمان في مناقشة الضرائب الجمركية على أساس أن هذه الأموال آتية من الخارج .

ولما رفض البرلمان هذا التغيير لجأ الملك الى حله واستمر يحكم البلاد حكما مطلقا من عام ١٦٢٩-١٦٤٠م وبدأ يزج بخصومه في غياهب السجون مما أثار الشعب ضده وأصبحت الجماهير تترقب

الفرصة للثورة ، لكنه اضطر لدعوة البرلمان للانعقاد لاقرار الاعتمادات المالية التي كان الملك بحاجة اليها لكن البرلمان لم يكتفي باقرار الضرائب المطلوبة بل أثار المشكلات التي كان يشكو منها الشعب وطالب بحقوقه فحل الملك البرلمان بعد ثلاثة أسابيع من انعقاده.

لكنه اضطر الى عقد البرلمان من جديد وأصدر هذا البرلمان عدة قرارات جعلت مطالب النواب وسلطتهم مكان سلطة الملك ومن هذه المطالب : ١- أنه لايجوز حل المجلس الا بارادة النواب .

٢- تم الغاء الضرائب غير القانونية كضريبة السفن .

٣- الغاء الهيئات التي ساندت الملك وقدم للمحاكمة بعض رجاله فحكم بالاعدام على رئيس الوزراء وبذلك أصبح الخطر يقترب من الملك فقام يتحدى البرلمان ودبر مؤامرة بالقبض على زعمائه الذين جاهروا بمعارضتهم للملك لكن هذه المؤامرة تم اكتشافها ولم ينجح في القضاء على زعماء البرلمان وقامت ثورة في لندن ضد تصرفات الملك وخشي الملك على نفسه ففر الى الشمال حيث تجمع حوله انصاره وأدى هذا الى اندلاع حرب أهليه في انجلترا استمرت من عام ١٦٤٢-١٦٤٩م .

وفر الملك الى اسكتلندا لكن الاكتلنديين سلموه الى الثوار وقدم للمحاكمة أمام محاكمة عليا شكلها مجلس العموم واتهم بالخيانة واعدم في ٣٠يناير عام ١٦٤٩م .

وقرر البرلمان الغاء الملكية واقامة الجمهورية مكانها في ١٩ مايو ١٦٤٩م واستمرت هذه الجمهورية من ١٦٤٩-١٦٨٥م بزعامة كروموبل الذي برز في قيادة الثوار ضد الملك ولم يلبث كروموبل أن توفي سنة ١٦٥٨م وعلى الرغم من أن ابنه ريتشارد تولى مكانه الا أنه اعتزل الحكم سنة ١٦٥٩م وقرر البرلمان عودة الملكية بقيادة شارل الثاني (١٦٦٠-١٦٨٥م) .

وكان شارل الثاني محبوبا من الانجليز وقد استفاد من فترة النفي ولم تكن عودة الملكية على حساب المكاسب البرلمانية التي كسبها الشعب الانجليزي في نزاعه مع شارل الأول فلم يحاول الملك أن يناقش حق البرلمان في مراقبة الضرائب واقرارها ، وقد كان البرلمان الذي انتخب في عام ١٦٦١م ملكيا اكثر من الملك فقد أصدر تشريعا ينص على تحريم حمل السلاح ضد الملك واعتبر الحرب الأهلية السابقة تمردا.

وفي عهد شارل الثاني تقرر مبدأ مسئولية الوزارة أمام البرلمان وأن الوزارة التي لاتنال ثقة البرلمان تسقط وتحل محلها وزارة أخرى من حزب الأغلبية ، وظهرت في انجلترا احزاب ١-حزب المحافظين ومعظم أنصاره من كبار الملاك . ٢- حزب الأحرار ومعظم أنصاره من التجار والطبقة المتوسطة ، وصار هذان الحزبان عصب النظام البرلماني الانجليزي حتى أواخر القرن التاسع عشر عندما بدأ حزب العمال في الظهور .

اعلان الحقوق :

بعد وفاة شارل الثاني تولى اخوه جيمس الثاني (١٦٨٥- ١٦٨٨م) وكان جيمس كاثوليكيا ملأ المناصب من أنصاره الكاثوليك وألغى ما صدر من قوانين ضدها واقترح حزب الأحرار اقصاء الملك واستدعاء وليم أورنج لشغل منصب الملك وهرب جيمس الثاني الى فرنسا فاعلن البرلمان الانجليزي اعلان الحقوق في سنة ١٦٨٩م وينص على ١- يستمد الملك حقه في العرش من ارادة الشعب ٢- لايحق للملك اهمال قانون وافق عليه البرلمان ٣- يحرم على الكاثوليك اعتلاء العرش .

وهكذا تعتبر بريطانيا رائدة في مجال التقدم الديمقراطى ويعتبر برلمانها اعرق البرلمانات في العالم ويتكون من مجلسين مجلس اللوردات وهو وراثي ومجلس العموم وهو منتخب .

تأثير النظام الدستورى الانجليزى في أوربا :

زار انجلترا قبيل الثورة الفرنسية كثير من المفكرين الفرنسيين فاعجبوا بنظام حكومتها وامتدحوه في كل كتاباتهم حتى أصبح قبلة أنظار الكثيرين ومطمح آمالهم ، وكان يساعد على انتشار هذه الافكار ما كانت عليه انجلترا من الرخاء والتقدم المادى بالقياس الى حالة فرنسا السيئة .

وظهرت في فرنسا طائفة من الكتاب الذين قوضوا الدعائم التى كان يقوم عليها النظام القديم ، فوصفوا مساوئه وما يسببه من الآلام للشعب الفرنسى وذهبوا إلا أنه لا سبيل الى تحسين الحالة إلا بإعادة الحق الطبيعى للأمة في الحرية وإعطائها نصيبها من الإشراف على أعمال الحكومة وبذلك أناروا للناس سبيل الخلاص ، وكان أكبر هؤلاء الكتاب أثرا ثلاثة كتاب هم :

(فولتير) (١٦٩٤-١٧٧٨م) الذى تناول الملكية في فرنسا بالسخرية والتهكم ونادى بالإصلاحات الدستورية مثل انجلترا .

(مونتسكيو) (١٦٨٩-١٧٥٥م) صاحب كتاب (روح القوانين) الذى جمع فيه تاريخ أنظمة الحكومات وأنواعها ومساوئ كل منها ومحاسنه وتحدث فيه عن نظريته الشهيرة في وجوب فصل السلطات الثلاث التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية بعضها عن بعض انفصالا تاما لضمان الحرية والعدالة .

(جان جاك روسو) (١٧١٢-١٧٧٨م) صاحب كتاب (العقد الاجتماعى) تحدث فيه عن نشأة الحكومة وأوضح أن الانسان خلق حراً ومساوياً لغيره في الحقوق ، ولضمان الحرية والمساواة أقام الناس الحكومات لتعمل بإرادهم وتستمد السلطة منهم فإذا أساءت الحكومة استعمال سلطتها حق للشعب سلب هذه السلطة منها ، ويعد روسو

أعظم الكتاب أثرا في تحريك القلوب لما أمتازت به كتابته من قوة العواطف وسلاسة العبارة ومتانة الحجة .

وكان لهؤلاء الكتاب الثلاثة تأثير قوى في فرنسا ، وانتشرت أفكارهم انتشاراً عظيماً وتداولتها ألسنة الناس وأقلام الكتاب حتى عمت جميع الطبقات ، ويمكن القول بأن هذه الأفكار هى التى حركت الثورة الفرنسية التى قامت سنة ١٧٨٩م في فرنسا وهى الثورة التى سنتحدث عنها فيما بعد .

القسم الثاني

أوربا في القرن (١٩)



الفصل السادس

تمهيد : أوربا في القرن (١٩) :

يبدأ تاريخ القرن التاسع عشر فى أوربا عادة بالثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م ، وينتهى بالحرب السبعينية التى وقعت بين المانيا وفرنسا سنة ١٨٧٠ م ، ويرجع السبب في اختيار الثورة الفرنسية داية لتاريخ هذا القرن ،الى أن الثورة الفرنسية كانت أبرز حدث وقع في أوربا في التاريخ الحديث ،وكانت له آثارا قوية في جميع أنحاء القارة الأوربية، فقد قضت هذه الثورة على كثير من المفاسد والمظالم التي كانت سائدة من قبل سواء كانت سياسية أواجتماعية أواقتصادية ،واستحدثت كثيرا من المبادئ والأفكار الجديدة تطلعت اليها كثير من الشعوب الأوربية ، وأضحى تاريخ أورا في القرن التاسع عشر حافلا بحركات التحرير والحركات القومية من ناحية ،واقامة نظم ديموقراطية برزت فيها الطبقة المتوسطة(البرجوازية) التي حرمت من قبل من المشاركة في الحكم من ناحية أخرى .

والسبب في اختيار الحرب السبعينية نهاية لتاريخ هذا القرن يرجع الى أن النتائج التي أسفرت عنها هذه الحرب قد قلبت موازين القوى في أوربا ،وبرزت ألمانيا منذ ذلك التاريخ الى الساحة الأوربية والعالمية دولة عملاقة يخشاها العالم ويعمل حسابها حتى الحرب العالمية الثانية هذا من ناحية ،ومن ناحية اخرى فان استيلاء ألمانيا على اقليمي الالزاس واللورين ترك جرحا داميا في جسم الدولة الفرنسية ظلت تتحفز من أجله للنيل من ألمانيا وشكل تاريخ الصراع في أوربا كما

ألقي بظلاله على تاريخها زمنا طويلا حتى الحرب العالمية الثانية ،ومن ثم كانت هذه الفترة الزمنية الأخيرة التي تقع بين عامي ١٨٧٠، ١٩٤٥ تشكل فترة لها صفاتسا ومميزاتها الأخرى٠

الثورة الفرنسية:

على الرغم من أن الثورة الفرنسية نشبت في فرنسا عام ١٧٨٩م على عهد لويس السادس عشر الا أن جذورها ترجع الى ما قبل ذلك التاريخ في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وكان من ابرز اسباب قيام الثورة الفرنسية في العهد الأخير من الملكية٠

تولى (لويس السادس عشر) الحكم سنة ١٧٧٤وتوقع الشعب على يديه خيرا كثيرا لأن الملكية في عهد سلفه لويس الخامس عشر كانت قد هوت الى الحضيض بسبب بذخ البلاط الملكي وفقدان المستعمرات ونظام الضرائب ،ووقع عبئها على كاهل الطبقة الثالثة وكانت أهم الضرائب التي تدفعها:

١.ضريبة الرأس ٠

٢.ضريبة الدخل ١/٢٠ ٠

٣.العشور١/١٠ من المحصول للكنيسة٠

٤.ضريبة الأرض٠

ضريبة الملح: حيث كانت لكل فرد يزيد عمره على سبع سنوات يرغم على شراء كمية معينة من الملح الذي كانت تحتكره الحكومة حتى ولو

ام يكن محتاجا الى هذه الكمية ،الى غير ذلك من انواع الاستغلال التي كان يتحملها افراد الطبقة الثالثة تبعا لذلك .

ومن الناحية السياسية: فقد كانت السلطة كلها مركزه في يد الملك ومستشاريه الخصوصيين، وكان الملك يحكم طبقا لنظرية الحق المقدس للملوك The Divine Right of Kings ، التي كانت تعتبر الملوك مسئولين عن أعمالهم أمام الله فحسب ومن ثم كانت كلمته قانونا وطاعته واجبه مما دفع ملكا كلويس الرابع عشر أن يقول (أنا الدولة) ، اما مجلس طبقات الامة وهو الهيئة النيابية الفرنسية الوحيدة فانها لم تدع الى الانعقاد منذ عام ١٦١٤م ،ولذلك لم يكن هناك أى اثر للطبقة العاملة في الحكومة وكانت لا تستطيع أن تعارض هذا النظام ،وكل من يرفع رأسه كان يقع تحت طائلة الخطابات المبصومة Sealed Ltters وهي خطابات كان يختمها الملك على بياض دون ان يوضع عليها اسم الشخص المعتقل وتوزع هذه الخطابات على النبلاء ويشتريها ذوو الحظوة ويضعون عليها اسماء أعدائهم الذين يزج بهم في غياهب السجون دون محاكمة .

اما من الناحية الاجتماعية فقد كان المجتمع الفرنسي مكونا من ثلاث طبقات :

١. طبقة الاشراف .

٢. طبقة رجال الدين (الاكليروس) .

٣. طبقة العامة وهي الطبقة العاملة .

ويتمتع الاشراف ورجال الدين بامتيازات كبيرة ولم يكن لديهم اعباء مقابل هذه الامتيازات الا الحياة في بذخ واسراف ،وأما الطبقة الثالثة فلم تكن لها امتيازات وانما وقعت على كاهلها كل الاعباء. وكان هناك فئة من رجال الدين الفقراء لم ينعموا بما كان ينعم به رجال الدين الاغنياء من ثراء ،وكانوا يشتركون مع الطبقة الثالثة في البؤس والشقاء مما جعلهم يتعاطفون مع الطبقة الثالثة ويشتركون معها في الثورة. وهناك فئة من الطبقة الثالثة كانت على حظ من الثراء نظرا لاشتغالها بالزراعة والتجارة والمهن الأخرى ،كالطب والمحاماة ،وعلى الرغم من انهم كانوا في سعة من العيش ولايعانون الضائقة الاقتصادية التي كان يعانيها العامة الا انهم كانوا غير راضين عن الوضع القائم بسبب حرمانهم وعدم تمتعهم بحرية نقد مساوئ الحكومة او الحرية الدينية لذلك لا نعجب اذا كان معظم قادة الثورة من هذه الفئة التي كان لديها من الثقافة السياسية التي استمدتها من كتابات فلاسفة القرن الثامن عشر.

قام فلاسفة القرن الثامن عشر بدور بارز في نهضة الأفكار في فرنسا ونجحوا في لفت انظار الشعب الفرنسي الى البؤس الذي كان يعانيه ،ومن هؤلاء الفلاسفة والكتاب (فولتير: ١٦٩٤-١٧٧٨م) وهو الذي وجه النقد المرير الى النظم القائمة وخاصة الكنيسة في سخرية لاذعة وتهكم قاس ،وهاجم ادعاءات الكنيسة وهاجم الحكومة وسخر من كل من يصدقها.

ومنهم أيضا(كونتسيكو: ١٦٨٩-١٧٧٥م) وكان علـــى رأس الباحثين السياسيين وخاصة في المسائل الدستورية ،وقد وضع كتابــه روح القوانين Spirit of Low ،وقد ناقش فيه اشكال الحكومات وكـــان يعتقد ان الحكومة الانجليزية هي الحكومة النموذجية ولذلك نـــراه في كتابه يعتقد ان الدستور الانجليزي ببرلمانه وملكه الدستوري وقضائــه المستقل هو احسن الدساتير ويجب أن يطبق في فرنسا ،وكان معجبـــا كل الاعجاب بنظرية فصل السلطات الثلاث :التنفيذية والتشـــريعية والقضائية ،وكان تأثير مونتسيكو على قادة الثورة الفرنسية عظيما •

ومنهم أيضا(روسو: ١٧١٢-١٧٧٨م) كان جان جاك روســو من أوائل المفكرين الاجتماعيين وقد لخص افكاره عن الحكومة وهاجم الاستبداد والطيغان الذي كان سائدا في فرنسا في عهده وهو القـــائل "لقد ولد الانسان حرا ولكنه مكبل بالأغلال في كل مكان " وكـــان يعتقد ان من حق الشعب ان يغير الحكومة لأن الحكومة مدينة بوجودها للشعب ،وهو صاحب نظرية سيادة الشعب وان ارادة الأمة يجـــب ان تكون فوق كل ارادة •

كان لكتابة هؤلاء المفكرين وغيرهم اثر بـــالغ في تغيـــير افكـــار الشعب ،ومن بدأت هذه الأفكار الجديدة في صنع الثورة •

محاولة الاصلاح :

كان لويس السادس عشر يشعر بخطورة الأزمة المالية التي يعانيها الحكومة ،وفكر جديا في معالجتها ،وحـــاول أن يقتصـــد في نفقاتـــه

الشخصية وأن يضغط المصروفات الخاصة بالبلاط الملكي ولكن كــــان هذا علاجا وقتيا ولم يقضي على الأزمة ،اما العلاج الحقيقـــي فكـــان يكمن في تغيير النظم المالية التي تسير عليها الحكومة تغييرا جذريا،وكان هذا التغيير يتطلب أولا وقبل كل شئ التغلب على معارضة الأشراف ورجال الدين ، وكانت محاولة التغلب على معارضتهم هـــى الســـبب المباشر الذى جعل الملك يدعو مجلس طبقات الأمة الى الاجتماع فـــى عام ١٧٨٩ م .

ونستعرض فيما يلى الوسائل التى أشار بها الوزراء الذين تولـــوا شئون المالية الفرنسية لعلاج الأزمة ، وأول ما يستحق الذكر منهم هو الوزير (ترجو) وكان يشرف على الشئون المالية والحكم فى بعـــض الأقاليم واتخذ تفكيره فى الأصلاح وجهتين .

١. اصلاح المساوىء المالية بضبط الحسابات .

٢. الغاء الاعفاءات الضريبية التى يتمتع بها أصحاب الامتيازات مـــن الأشراف ورجال الدين والحد من نفوذهم ، واقامة نظـــام عـــادل للضرائب يسهم فيه الأغنياء والقادرون ، وتحرير التجارة الفرنسية من القيود العتيقة التى كانت تحـــول دون مرورالتجـــارة داخـــل المقاطعات الفرنسية . وهذه هى الناحية الايجابية للأقتصاد الحقيقى .

والرجل الثانى هو (نكر) وهو اجنبى سويسرى كان يتمتع بحب الجماهير خلال الأدوار الأولى للثورة حتى سنة ١٧٩٠ م ولم يتعـــرض تفكيره للأصلاح واستغل مهارته المصرفية وعلاقاته المالية فعقد قروضا

للحكومة بفائدة قليلة وبشروط طيبة ولم يذهب الى أبعد من ذلـــك الا في أمر واحد نراه الآن طبيعيا وكان من قبل مفكرا وهو نشر كشف بميزانية الحكومة على الشعب .

وبعد ذلك جاء الوزير (كالون) وزادت في عصره الأرتباكـــات المالية نظرا للتدخل الحربى الفرنسى فى الحرب الأمريكيـــة ، وظـــل كالون في منصبه من سنة ١٧٨٣ م حتى سنة ١٧٨٧ م ، واكتسب محبة دوائر القصر الملكى لأنه لم يحاول أن يتعرض للنفقات الملكية بأى تخفيض واعتقد بأن الحالة قد ساءت وأنه لا فائدة من الأصلاح فـــأخذ يعقد القروض الجديدة بفائدة كبيرة وطريقته فى الأقـــتراض كـــانت مشاهدة في مصر فى القرن التاسع عشر وهى سياسة الأنفاق من أجل الاقتراض . وكان يعتقد أنه حين تقع أنظار القوم على مظاهر البـــذخ والأسراف يعتقدون أن الحالة منتشعة فيقدمون على اقراض الحكومـــة وقد عرض (كالون) على مجلس الاعيان اقتراحا بفـــرض الضرائـــب على الطوائف المعفاه منها فرفض المجلس اقتراحه وانتهى الأمر بسقوطه سنة ١٧٨٧ م .

ولى المالية بعد (كالون) رجل من رجال الدين هو (الكاردينـــال دى برين) واعتقد أن السبيل الوحيد لانقاذ الموقف هو فرض ضرائب على جميع طوائف الشعب ووضع قانونا لهذا الغرض ولكن طبقا لنظام الحكم فى فرنسا كان لابد لكل قانون يصدر أن يوافق عليـــه برلمـــان باريس وهو هيئة قانونية بحته ومحكمة استئناف وفـــى الوقـــت نفســـه

اكتسب حق الموافقة على القوانين وقد رفض البرلمان اقـــرار القـــانون وقام صراع بين الملك من جهة اخرى أدى الى ان وجه الملك الدعـــوة لاجتماع (مجلس طبقات الأمة) واستقبلت الجماهير اعلان انعقاد هذا المجلس بفرح زائد .

وقبل أن نتحدث عن اجتماع هذا المجلس نشير اشارة ســـريعة الى نشأة هذه الهيئة وسلطاتها ، تقوم هذه الهيئة على نظام الطبقات ولذلك فان هذه الترجمة (مجلس طبقات الأمة) هى أدق من غيرها . وكانت مجالس طبقات الأمة جزء من النظام الأقطاعى الذى كان يغلب علـــى الممالك الاوربية والنظام الأقطاعى يقسم الأمة الى طبقات وكان الملوك يجمعون هؤلاء الممثلين للتحدث معهم . وفى الغالب كان الملك يجمعهم ليطلب منهم اعانات مالية فى صورة تبرعات وتطورات هذه المجـــالس فى أوربا من مجالس طبقات الى مجالس تمثل الأمة وتمكنت من توسيع اختصاصاتها واصبحت هيئات تشرف على أعمال السلطة التنفيذيـــة كما حدث فى انجلترا على الأخص اذ تحولت الى برلمـــان واكتســـبت حقوقا كثيرة على عكس مجلس الطبقات فى الأمم الأوربية الاخـــرى مثلا فرنسا واسبانيا والمانيا .

والخلاصة أن فرنسا بقيت فيها مجالس الطبقات وقد تعطلت مـــن سنة ١٦١٤ م ولم تجتمع الا فى ستة ١٧٨٩ م ولما اجتمعت فى هذه السنة كانت فرنسا قد قطعت شوطا بعيدا فـــى الحضـــارة والنضـــج السياسى والفكرى بحيث اصبحت هذه الهيئة بنظامها القديم لا تشـــبع

رغبات الأمة فغالبية الأمة الفرنسية سنة ١٧٨٩ م أرادت أن تكـــون كتلة وطنية واحدة وأن تقضى على نظام الطبقات وتريد أن يكون لها مجلس يمثلها تمثيلا حقيقيا وان يكون لهذا المجلـــس طـــابع الأســـتقرار والأستمرار بحيث لا تقتصر دعوته عند الملمات او تبعا لأهواء الملـــك فالشعب الفرنسى اراد أن تصبح هذه الهيئة عنصرا ثانتا هاما فى الحياة السياسية ولهذا نجد انه منذ الجلسة الأولى التى عقدها مجلس طبقـــات الأمة فى ٥ مايو ١٧٨٩ تجلت رغبة ممثلى العامة فى تطوير هذا النظام العتيق البالى الى برلمان أو جمعية وطنية تمثل الأمـــة الفرنســـية تمثيـــلا صحيحا فيجتمع فيها مندوبوا الاشراف والكنيسة والعامة فـــى قاعـــة واحدة وهذه أول أزمة من أزمات الثورة الفرنسية . وســـنرى أن أول انتصارا حرزته الثورة كان تطوير مجلس طبقات الامـــة الى (جمعيـــة وطنية) تمثل الأمة الفرنسية .

اجتماع الجمعية العمومية ١٧٨٩ م :

حاول الملك جهده تحسين حال الشعب وانقاص الديـــن العـــام وكان احد وزرائه وهو (ترجو)قد وضع مشروعا للأصلاح يعتمـــد على الغاء الاعفاءات الضريبية التي يتمتع بها الاشراف ورجال الدين ولكنه فشل كما سبق القول لان طبقتي الاشراف ورجال الدين رفضا ان يتحملا أي جزء من الأعباء العامة وأخيرا اضطر الملك الى استدعاء الجمعية العمومية وكانت هذه الجمعية عبارة عن مجلس يمثـــل ثـــلاث طبقات: طبقة الاشراف وطبقة الاكليروس وطبقة العامة وكانت هذه

الطبقة تسمى دائما الطبقة الثالثة ولم تكن قد استدعت منذ عام١٦١٤
وكان العرف الجاري في ذلك الوقت يقضي بأن تجتمع كل طبقة على حده كهيئة مستقلة ويعطي مجموعها صوتا واحدا وكـــان الاشـــراف والاكليروس يستطيعون ان يضموا صوتيهما فيخفتان بذلك صـــوت الشعب ويحبطان كل مشروع من مشاريعه واستطاع الاشراف ومـــن يتصلون بالبلاط أن يحملوا الملك على ارســال كبــير امنائــه لفــض الاجتماع وحمل الطبقات الثلاث على الاجتماع كل على حده ولكن (ميرابو) خطيب الثورة استطاع ان يثــير روح الشــورة في المجلــس واحتدم النقاش اذ ذاك ، وقررت الطبقة الثالثة ان تواصل اجتماعهــا دون الطبقتين الاخريين وبحركة ثورية عنيفة اعلنوا انهم هم الممثلـــون الفعليون للشعب وانهم يستطيعون بسهولة ان يستغنوا عـــن طبقـــتي الاشراف والاكليروس ما داموا يمثلون ٩٦في المائة من مجموع الشعب
ولقد اطلقوا على أنفسهم اسم (الجمعية الوطنية) وسرعان ما انضم الى هذا المجلس التشريعي الجديد جماعة كبيرة من نـــواب الاشـــراف والاكليروس .

سقوط الباستيل (١٤ يوليو ١٧٨٩م) :

كان الباستيل حصنا منيعا في باريس وكان يـــذج فيـــه بـــالمجرمين السياسيين وكم من مئات الأبرياء كان يقذف بهم الى حفرة مظلمة لا لذنب جنوه سوى ان رجالا من المتصلين بالبلاط لا يرغب في وجودهم وكان الناس وبحق ينظرون الى ذلك الحصن او السجن كرمز للظلـــم

والطغيان ،واستطاع الرعاع الثائرون في باريس ان يقتحموا احد مخازن الاسلحة العامة ويستولوا على ما بها من سلاح واذا بمظاهرة هائلة مسلحة من رجال ونساء تضرب حصارا حول الباستيل ،وقتل الثوار الحامية التي كانت تطلق عليهم النار من الباستيل واطلقوا سراح المسجونين وبين مظاهر الاستيشار وفرحة الانتصار وقف الثوار على ذلك الحصن فدكوه دكا وتركوه قاعا صفصفا (لقد رحب الاحرار في انحاء العالم الاوربي بهذا الحادث واعتبروه فاتحة عصر جديد للحرية ويعتبروه الفرنسيين عيدا من أعيادهم الهامة لا يزالون يحتفلون به الى اليوم) وبذلك صارت للثورة السيطرة على باريس فأقاموا في مبنى البلدية حكومة محلية وعينوا احد قواد الثورة وهو (لافاييت) قائدا للحرس الوطني وامتدت الثورة الى الاقاليم وهجمت الجماهير على قلاع الاقطاعيين .

ولقد كانت القوات العسكرية التي تحت تصرف الملك كافية ومخلصة بحيث كان في استطاعته استخدامها لاخماد ثورة باريس ولكنه لم يفعل ،واضطر لقبول ما حدث ،وانتصر العامة على الملك مما شجعهم للحصول على المزيد ،وحضر الملك بنفسه الى باريس ليعلن رضاه عما حدث ،وحضر صلاة الشكر التي اقيمت في هذه المناسبة .

وعلى اثر سقوط الباستيل قررت (حقوق الانسان) وأصيب الاستبداد بضربة قضت عليه والغي نظام الاقطاع وشعر افراد الشعب

اذ ذاك ان لهم قوة هائلة ولقد استعملوا قوتهم هذه في ما أتى بعد ذلك من الحوادث .

اعلان حقوق الأنسان :

تم اعلان هذه الوثيقة يوم ٢٦ اغسطس ١٧٨٩ وهي من أشهر الوثائق في تاريخ اوربا وقد صادف اعلانها ارتياحا وحماسا من جميع اصقاع القارة واليك بعض ما تضمنته من مبادئ:

١. المساواة في جميع الحقوق لأن الناس ولدوا متساوون .
٢. ليس القانون الا معبرا عن الرأي العام ولكل فرد من الشعب ان يشترك شخصيا أو بواسطة ممثليه في وضعه ويجب ان يكون القانون واحدا للجميع .
٣. لا يجوز ان يتهم أي شخص أو يقبض عليه أو يحبس الا في الظروف التي يقرها القانون .
٤. يجب أن تصان حقوق الانسان الطبيعية وهي الحرية والملكية والأمن ومقاومة الظلم . والحرية تتمثل في ان يسمح للشخص بأن يفعل كل ما لا يضر بالآخرين .
٥. الشعب مصدر جميع السلطات ولا يصح لشخص أو هيئة مباشرة سلطة ليس مصدرها الشعب .
٦. لا يضطهد أي فرد بسبب مبادئه أو آرائه الدينية اذا كان التصريح بها لا يعكر النظام العام والذي يقره القانون .

٧.لا يجوز حرمان احد من ملكه الا اذا اقتضت ذلك المصلحة العامـــة وعلى شريطة ان يعرض عن ملكه .

اعمال الجمعية الوطنية وهروب الملك :

اقامت الجمعية الوطنية حدا فـــاصلا بـــين المـــاضي والحـــاضر ووضعت نظاما جديدا مؤسسا على تعاليم "روسو" وغيره من الفلاسفة وفي ٤أغسطس١٧٨٩الغيت جميع القاب الاشـــــراف وامتيـــازاتهم ، وصودرت املاك الكنيسة وهكذا انهار كيان فرنسا الاجتماعي بقرار واحد أصدرته الجمعية ثم وضعت الجمعية بعد ذلك دستورا جديـــــدا نصت فيه على ان حكومة فرنسا ملكية مقيدة وبمقتضاه وضعت معظم السلطة في يد (جمعية تشريعية) ذات مجلس واحد ثم الغي بعد ذلـــك نظام المقاطعات القديم وقسمت فرنسا الى عدة مقاطعـــات جديـــدة اطلقت عليها اسماء بعض الانهار او الجبال التي تقع فيها .

وبينما كانت (الجمعية الوطنية) تقوم بما سبق ايضاحـــــه ،كـــان الفلاحون في المدن والقرى يقتلون الاشراف ويحرقون قصورهم ولقـــد استطاع عدد كبير من الاشراف ان يفلت الى خـــــارج الحـــدود وأن يطلب النجدة من ملوك اوربا (خاصة الدول المجاورة) ضد مواطنيهم وكان يتاخم فرنسا من الشرق ثلاث قوى عظيمة هي النمسا وروسيا وبروسيا وكانت هذه القوى الثلاث مشغولة بتقسيم بولندا فلم يكـــن بطبيعة الحال لديها وقت تصرفه للنظر في الشئون الفرنســـية ولكـــن حكام أوربا المستبدين ذعروا لثورة الشعب في فرنسا لأنهـــم كـــانوا

يخشون ان يحتذي شعوبهم بالشعب الفرنسي فتثور ولم يكـــن الوقـــت مناسبا لاعلان الحرب ضد الثوار ما دام ملك فرنسا اسيرا في ايـــــدي رعاع باريس الهائجي الشعور ، ففي ٥أكتوبـــــر ســــنة١٧٨٩حدثت مسيرة النساء الى (فرساي) وعلى اثرها انتقل الملك واسرته الى قصره بباريس وأصبح اسيرا لدى الثوار منذ تلك اللحظة .

فرار الملك :

وكانت المؤامرات تدبر لفرار الملك وفعلا تم الهروب ولو أن الملك والملكة كانا اسرعا فى الذهاب الى اصدقائهما الذين كانوا ينتظرونهما بالعربات والخيول لكانا افلتا ولكنهما ضيعا كثيرا مـــن الوقـــت فـــى احدى القرى لدرجة مكنت احدى الفلاحات من القبض عليهمـــا ولم يكن بينهما وبين الحدود الا القليل ثم بعد ذلـــك اعيـــد الى بـــاريس وشددت المراقبة على الملك واعتبر كثير من الناس أن محاولته الهـــروب ليس معناها الا تنازله عن العرش بينما كان عدد آخر كبير ينظر اليـــه كخائن لوطنه وامام هذا المأزق الحرج اضطر الملك أن يقســـم يمـــين الأخلاص للدستور الجديد ذلك الدستور الذى سلب منه كل امتيـــاز كان له . وهو الدستور الذى وضع فى سبتمبر سنة ١٧٩١ م .

دستور عام ١٧٩١ (دستور العام الأول) :

تأثرت الجمعية التأسيسية فى وضع الدستور بنظرية مونتسكيو فى (فصل السلطات) (فالسلطة التنفيذية) على رأسها الملك الذى صار

يتمتع بقيادة القوات المسلحة وتعيين كبار الضباط وله حـــق اعـــلان الحرب وابرام معاهدات الصلح ويتمتع بحق (الفيتو) لفترة معينة هى دورة الأنعقاد البرلمانية .

اما (السلطة التشريعية) فقد عهد بها الى مجلس واحد (الجمعية التشريعية) مكون من ٧٤٥ عضوا ورفضت الجمعية تكوين مجلس ثان حتى لا يكون ملاذا للارستقراطية القديمـــة او مهـــدا لارســـتقراطية جديدة بعد الغاء الأمتيازات الأقطاعية وقد قصر حق الأنتخاب وكذا الترشيح على من يدفع قدرا معينا من الضرائب وذلك مما يتناقض مـــع حقوق الأنسان وخاصة حق المساواة .

و (السلطة القضائية) اصبحت مستقلة عن الهيئة التنفيذية فحرم على هذه الهيئة تعيين القضاه او عزلهـــم ، وكـــان القضـــاه يعينـــون بالانتخاب العام ولا شك فى خطأ هذا الأتجاه لأن وظـــائف القضـــاه يشترط فيها ثقافة معينة وتجارب خاصة ونزاهة وليس لدى الجماهـــير المقدرة على اختيار الاصلح فى هذه النواحى .

الادارة المحلية فى ظل دستور العام الأول :

كانت فرنسا قبل الثورة تنقسم اداريا الى عدة مقاطعات تاريخية ترتبط بتاريخ فرنسا القومى لأنها كانت فى الأصل اقطاعات الاشراف القدماء قبل ان تئول الى الملكية ثم جاء دستور ١٧٩١م فألغى هـــذه المقاطعات وقسم فرنسا الى ثلاثين اقليما اطلق على كل منها اسماء من اسماء المظاهر الطبيعية السائدة في الأقاليم حتى لا تستثير في الناس ايـــة

عاطفة اقليمية قد تقف في سبيل الوحدة القومية التي صممت الثـــورة على تحقيقها والتي برزت فيما بعد في شعار (جمهورية واحدة لا تتجزأ)

وبعد ان انتهت الجمعية الوطنية (التأسيسية)من وضع الدســـتور وقبله الملك حلت نفسها فطويت بذلك صفحة الهيئة الـــتي اطـــاحت بالنظام القديم ،واجريت انتخابات عامة في طول البلاد وعرضها طبقا للدستور لانتخاب اعضاء البرلمان الذي اطلق عليه في دستور ١٧٩١ اسم (الجمعية التشريعية) •

الجمعية التشريعية :

اجتمعت لأول مرة في اكتوبر ١٧٩١ ولكن لم تتحقق الآمال التي عقدها الشعب على الدستور الجديد ،فالتقدم الدستوري القائم علـــى تعاون الملك مع الجمعية في ظل الدستور لم يتم بل حدث النقيض تماما اذ سقطت الملكية وعطل الدستور ودخلت فرنســـا في دور سياســـي عنيف مصحوب بما يمكن اجماله في عبارة واحدة هي (عصر الارهاب) بكل ما تحمل هذه الجملة من معاني وهكذا وقعت احـــداث ادت الى التطور الجذري وكان من اسبابه :

١.دسائس اعداء الثورة في داخل فرنسا وعلى الاخص دسائس رجال الدين الناقمين على التشريع الخاص بالكنيسة •

٢.دسائس المهاجرين وهو اسم يطلق على الاشراف الذيـــن آثـــروا الهجرة من فرنسا حتى تنقشع السحب الموجودة وتعود الحالة الى ما الفوه •

٣.قيام الحرب بين فرنسا والدول الخارجية •

٤.وجود ازمة عدم ثقة بين الملك والجمعية التشريعية •

اما الأحزاب التي كانت ممثلة في الجمعية التشريعية فكانت :

١.المحافظون او اليمينيون (الملكيون) وكانوا اكبر الاحزاب الا أن الاحزاب الأخرى ما لبثت ان تفوقت عليهم •

٢.اليساريون وانقسموا الى قسمين :

جماعة (الجيروند)وسميت كذلك لأن معظم زعمائها كانوا من اقليم الجيروند وكان معظمهم من الشبان المتحمسين الذين اوتوا قوة البيان •

اليعاقبة وسموا كذلك لأنتمائهم لى نوادي السياسة المعروفة بهذا الاسم وكان نفوذ هذه الجماعة في باريس ذاتها ،وخارج الجمعية اقوى منه في داخلها •

وأول ما يلاحظ على تشكيل الجمعية التشريعية انه لم يكن فيها احد من اعضاء الجمعية الوطنية والسبب في ذلك يرجع الى أن أعضاء الجمعية الوطنية قد اتخذوا قرارا قبل حل جمعيتهم يقضي بعدم دخولهم الانتخابات العامة حتى يعطوا الفرصة لانتخاب شخصيات اخرى ولكن الحصانة السياسية كانت تقضي بأن يشترك بعض أعضاء الجمعية الوطنية في الجمعية التشريعية للاستفادة من تجاربهم وحتى تضم الجمعية التشريعية العنصرين القديم والجديد ولكن حرمت من كفاءات الاعضاء القدامى •

وكان اغلب اعضاء الجمعية التشريعية من الملكيين المعتدلين الذين لا يريدون نظاما جمهوريا ومن الغريب ان ظهرت فكـــرة الحزبيـــة في جلوس الاعضاء من أول الأمر على الرغم من ان النظام الحزبي كـــان مستهجنا في الثورة الفرنسية لأن الأمة كانت تعتبر كتلة واحدة مـــن الناحية النظرية ولكن من الناحية العملية غلبت طبيعة الانسان وانقسم النواب احزابا حسب ميولهم السياسية وظهر هذا الاختلاف في كيفية جلوسهم فالمعتدلون في الرأي يجلسون الى اليمين ويطلق عليهم حـــزب اليمين ،وقد اتخذوا ناديا لهم كان اصله دير للرهبان وكان يجتمع فيـــه انصار النظام الملكي ،وحزب اليسار ويطلق عليهم (الراديكـــاليين) كانوا أيضا ملكيين انما يغلب عليهم الشك في امكان التعاون مع الملكية بعد حادث هروب الملك وكانوا اقل اعتدالا مـــن حـــزب اليمـــين ، وسرعان ما انقسم حزب اليسار الى قسمين :

الجيروند : وكانوا يرون في النظام الجمهوري المثل الأعلـــى في حكـــم الشعب وقد قبلوا النظام الملكي في أول الأمر على مضـــض وكـــانوا يستمدون قوتهم من نفوذهم وسيطرتهم على الاقاليم وقد اصبحـــوا فيما بعد ممثلي الطبقة الوسطى في فرنسا .

القسم الثاني : من حزب اليسار فكان (اليعاقبة)وكان لهـــم نفـــوذ خطير في باريس ،وقد برز من هذا الفريق :(روبسبير)و(مارا)و(دانتو)

كانت ازمة عدم الثقة بين الملك والجمعية التشريعية بعد حـــادث هروب الملك من الاسباب التي ساعدت على تطور الأمور في البـــلاد

فكان كل عمل يقدم عليه الملك يفسر تفسيرا سيئا جدا ومن امثلة ذلك ان الجمعية التشريعية قد اصدرت قانونا باعدام المهاجرين الذين لا يعودون الى فرنسا قبل يناير ١٧٩٢ ولكن الملك رفض التصديق على هذا القانون فاتهموه بكراهية الشعب وتأييده للاشراف اعداء الثورة ،كما رفض الملك التصديق على قانون اصدرته الجمعية بمعاقبة رجال الدين الذين يرفضون اداء اليمين (للقانون الكنسي) الجديد الذي قضى على كثير من امتيازاتهم وفي الواقع لقد رفضت اغلبية رجال الدين ان تقسم يمين الولاء في ظل النظام الجديد وتعرضوا للاضطهاد الشديد واطلق عليهم اسم المنحرفين .

أما المهاجرين فقد بدأت هجرتهم منذ أيام الجمعية الوطنية فهاجر كثير من الاشراف وعلى رأسهم شقيقا الملك (الكونت دارتوا) والكونت (دي بروفانس) ،وقد اختار المهاجرون لاقامتهم المدن الواقعة على حدود (الراين)على مقربة من الاراضي الفرنسية وهناك اعلنوا عداءهم للجمعية الوطنية واعلنوا بطلان القرارات التي يوقعها الملك تأسيسا على الاكراه الواقع عليه،وأخذوا يتحدون علنا أعمال الحكومة الفرنسية وعملوا على ايقاع فرنسا بهزيمة عسكرية وبتغير النظام الجديد الذي قام في فرنسا ويعود النظام القديم ،ومن ثم يستطيعون العودة الى بلادهم ويسترجعون امتيازاتهم ونفوذهم .

واذا انتقلنا الى مسألة الحرب بين فرنسا والدول الاوربية نجد انه من الخطأ ان نقول ان فرنسا كانت هي الدولة المعتدى عليها فمن

الثابت ان قيام المبادئ الجديدة في فرنسا لم يــؤدي الى قيــام الــدول الاوربية ضدها • حقيقة ان الموقف الدولي في اوربا كان ينذر باخطــار شتى ،ولكن لم تكن هناك رغبة بين دول اوربا للدخول في حرب ضد فرنسا وخاصة بعد ان اعلنت فرنسا في دستورها ســنة١٧٩١م انهــا تكره الحرب وانها لا تقدم عليها الا للدفاع عن نفسها ففرنسا مسئولة عن قيام الحرب ،وسنرى أن بعض الاحزاب الفرنسية كانت مســئولة عن نشوب الحرب لأنها هي التي رغبت في الحرب ووجدت في قيامها فرصة ذهبية لاسقاط الملكية واقامة النظام الجمهوري•

والأمبراطورية النمساوية لم (تكن متحمسة اول الأمر لاعــلان الحرب على فرنسا)على الرغم من صلة المصاهرة التي بين الأســرتين الملكيتين في فرنسا والنمسا ،ولكن سرعان ما تقابل امبراطور النمســا (ليوبولد الثاني) مع ملك بروسيا (فردريك وليم) في ٢٧اغســطس ١٧٩١في قلعة (يلنتز) على مقربة من (درسدن) على نهر الالــب واتفقا على اصدار (تصريح بلنتز)قررا فيه ان اعادة النظام الى فرنسا امر يهم جميع الدول الاوربية وانهما على استعداد للتدخل اذا تعاونت معهما الدول الاوربية الاخرى لتأييد مركز ملك فرنسا وملكتها ، وقد اعتبر الفرنسيون هذا التصريح تهديدا موجها الى الثورة وانه تحالف بين ملوك اوربا للتدخل في الشئون الداخلية في فرنسا •

اما انجلترا فلم تكن لديها رغبة في تجديد العداوة التقليدية بينهما وبين فرنسا وهي العداوة التي تمثلت في الحروب الطويلة التي اشتبكت

فيها الدولتان في القرن الثامن عشر بل على العكس نجد بعض اعـــلام
المفكرين الانجليز يظهرون اعجابهم بما حدث في فرنسا وكـــان مـــن
الممكن استمرار جهاد الانجليز لولا اعتداء فرنسا على بلجيكا .

الفصل السابع



التحالف الاوربي الأول ضد فرنسا :

كانت الوزارة القائمة وقتئذ في الحكم هي (وزارة الجيروند)ومن ابرز اعضائها (رولاند) وقد ظهرت زوجته (مدام رولاند)على مسرح السياسة وكانت ترى في قيام الحرب فرصة لا تعوض لالغاء النظام الملكي في فرنسا ،ولو سلك القابضون على الحكم في فرنسا مسلك الاعتدال وعدم التشديد في معاقبة المهاجرين ومصادرة املاكهم لكان تجنب قيام التحالف الاوربي ضد فرنسا امرا ممكنا ولكن كان المتطرفون في المعسكرين الملكي والجمهوري يرغبون في الحرب ويعملون لها ويختلقون الأسباب لاثارتها ،فالمتطرفون الثوريون يرون في الحرب فرصة ذهبية لاسقاط الملكية في فرنسا واقامة الجمهورية والمتطرفون من الرجعيين كانوا يرون في الحرب وسيلة للقضاء على الثورة الفرنسية ،وعلى ذلك كانت الحرب فرصة للمتطرفين من الجانبين وقد ارغبوا الملك على قطع المفاوضات مع النمسا وساعد على ذلك وفاة الامبراطور (ليوبولد الثاني)في أول مارس١٧٩٢وخلفه (فرانسيس الثاني)في أول مارس١٧٩٢وفي ٢٠ابريل١٧٩٢ارغموا الملك ايضا على الذهاب الى الجمعية التشريعية حيث اعلن الحرب على النمسا .

وبذلك دخلت الثورة الفرنسية في غمار حروب اوربية طاحنة مالبثت ان اتسعت رقعتها باشتراك كثير من الدول الاوربية ضدها وبذلك تكون التحالف الدولي الاول ضد الثورة سنة١٧٩٢وكان

مكونا من انجلترا والنمسا وهولندا وبروسيا واسبانيا والبرتغال والولايات البابوية وسردينيا ونابولي .

وقد اصيبت القوات الفرنسية اول الامر بهزائم متتالية وتوغلت الجيوش النمساوية والبروسية داخل الاراضي الفرنسية ،وكان من اسباب هزيمة فرنسا انه كان في الجيش الفرنسي ضباط غير موالين للثورة ثم اضطراب الحكومة في باريس .وقد نجم عن هذه الهزيمة ان اشتد ساعد الجمهوريين في فرنسا وقويت فكرة اسقاط الملكية عند الجماهير وزاد الاضطراب في باريس وقرر اهلها القيام بعمل حاسم ضد الملكية لأنهم توجسوا شرا من الملك واعتقدوا بوجود تفاهم بين الملك وبين الاعداء المتقدمين نحو العاصمة .

فتحركت في اغسطس ١٧٩٢ الجموع الثائرة نحو القصر الملكي واضطر الملك وعائلته الى مغادرة القصر والتجأ الى الجمعية وطلب حمايته من الأهالي فوجدت الجمعية نفسها مضطرة الى ايقاف الملك على الرغم من ان اغلبيتها ملكية وقررت عقد (مؤتمر وطني) يشترك الناس في انتخاب جميع اعضائه وهذه هي المرة الأولى التي يقرر فيها حق الانتخاب العام وأقامت (مجلسا تنفيذيا) يباشر الحكم بدلا من الملك وكان من أهم رجاله (دانتون)وكانت له اليد الطولى في حوادث اغسطس وعلى ذلك تعطل الدستور بعد هذه الحوادث ولكن لم يخلع الملك ولم تعلن الجمهورية وانما وضعت السلطة في يد مجلس تنفيذي .

وتجئ في اعقاب احداث اغسطس١٧٩٢احداث اخرى في سبتمبر وكانت مرتبطة بزحف الجيوش الاجنبية على باريس وتعــــرف هـــذه الاحداث بمذابح سبتمبر اذ قامت جماعات من اهالي باريس باعتقـــال عدد كبير من الأفراد المشتبه فيهم واعملوا فيهم القتل دون اية محاكمة وكان الاتهام الوحيد هو مجرد الاشتباه ولم يكن في الاستطاعة حصـــر عدد القتلى كما يعرف عما اذا كان دانتون له يد في هذه المذابـــح او كان بعيدا عنها ولكن الثابت ان هذه المذابح كانت نتيجـــة الخـــوف والذعر من الغزو الاجنبي •

الدور الثاني للثورة :

وهكذا نجد انه في اواخر سنة١٧١٩دخلت الثورة الفرنســـية ي (دور ثان)غير منظم انتقلت فيه السلطة الى المتطرفين من رجال الثورة وقد اجتمع (المؤتمر الوطني)في سبتمبر ١٧٩٢وكان عدد اعضائـــه (٧٥٠) عضوا ،وكان هذا المؤتمر يجمع في يديه الســـلطات التنفيذيـــة والتشريعية والقضائية أي ان فصل السلطات وكل المبادئ الجديدة التي تكلموا عنها قد اصبحت في ذمة التاريخ وتولى المؤتمر التشريع والقضاء والتنفيذ بحجة حكم الظروف وعلى الأخص حكم الحرب الخارجيـــة وقد قرر المؤتمر الغاء الملكية وقرر ان تؤرخ الحوادث من سقوط الملكية أي ببدأ ما يسمى العام الأول للجمهورية ويلاحظ ان قـــرار ســـقوط الملكية لم ينص فيه على قيام النظام الجمهوري وعلى ذلك فان النظـــام الجمهوري قام في فرنسا بطريقة غير مباشرة وفي آخر ســـنة١٧٩٢قرر

المؤتمر محاكمة الملك وبعد ان تمت المحاكمة قرر المؤتمر في١٧يناير١٧٩٣اعدامه ونفذ فيه الحكم في٢١يناير١٧٩٣في ميدان الجمهورية في باريس ٠

وابتدأ المؤتمر بعد اعدام الملك ينقسم على نفسه وتمثل هذا الانقسام في الاختلاف الشديد الذي ظهر سنة١٧٩٣بين (اليعاقبة) وبين (الجيروند) وكان الخلاف في جوهره يرجع الى ان (الجيروند) ابتدأوا يعتقدون ان سفك الدماء كاف جدا الى الحد وأنه يجب انتهاج سياسة الاعتدال وكان من رأيهم ان سكان باريس هم مصدر العنف ةالاضطراب أي ان سكان مدينة واحدة هي العاصمة يتمتعون بنفوذ زائد عن الحد ويتصرفون في مصير فرنسا كلها ٠ أما(اليعاقبة)فكانوا على النقيض من ذلك يرون ضرورة الاحتفاظ بسياية العنف والابقاء على نفوذ أهل باريس .وكانت نتيجة هذا الخلاف الشديد اعتقال زعماء الجيروند فقامت بعض الاقاليم الثائرة على باريس بثورات دفاعا عن زعماء الجيروند وأهم الثورات الاقليمية كانت في مدينة ليون وطولون واقليم بريتاني وعلى الاخص في الجزء المسمى فانديية وقد استطاع انصار الملكية في الاقاليم تحويل الثورات الاقليمية لصالح الفكرة الملكية مع انها قامت اصلا من اجل الجيروند وقد زاد الأمر تعقيدا في طولون ان اسطولا انجليزيا دخل الميناء واصبحت طولون خارجة عن نفوذ الحكومة الفرنسية .

الدستور الثاني ١٧٩٣:

وضع المؤتمر على الرغم من الاخطار الخارجية التي كانت تواجهها فرنسا دستورا جديدا لحكم البلاد وهذا هو الدستور الثاني من دساتير الثورة ،وقد وضع سنة١٧٩٣ ،واتسم هذا الدستور بالروح الديمقراطية فقرر حق الانتخاب العام وقرر ان السلطة التشريعية تتكون من مجلس واحد ينتخب لسنة واحدة حتى تكون الأمة مصدر السلطات ولم يكتب المؤتمر بذلك بل قرر ان يستفتي الأمة عند وضع بعض القوانين الهامة ،اما السلطة التنفيذية فكانت تتكون من (اربعة وعشرين عضوا) تأسيسا على ان فرنسا ذات نظام جمهوري وكانت الجمعية التشريعية تنتخبهم من كشف بعدد المنتخبين بمعنى ان كل اقليم ينتخب شخصا واحدا وتقدم الأسماء الى الجمعية فتنتخب من بينهم اربعة وعشرون عضوا ،وكان هذا الدستور متطرفا في الاخذ بفكرة الديموقراطية ويمكن الآن مقارنة الدستوريين اللذين وضعا الى ذلك الوقت على عهد الثورة وقد عرف الأول بدستور سنة١٧٩١ وعرف الثاني بدستور سنة١٧٩٣ .

١) الدستور الأول يعطي السلطة للطبقة المتوسطة بينما الدستور الثاني يعطيها للأمة كلها.

٢) لم يكن المؤتمر مستعدا لتنفيذ الدستور لسببين :

-أن فرنسا كانت في حالة حرب خارجية ،وفي الداخل كانت تهددها الثورات الاقليمية فلم يكن الوقت مناسبا لتطبيق مثل هذا الدستور الوايع اما دستور سنة١٧٩١فقد تعطل بسبب الازمات ،ودستور

١٧٩٣لانسطيع ان نقول انه تعطل لأنهم لم يشرعوا في تنفيذه بل بقي مكتوبا على الورق فقط .

والخلاصة ان الدستور الأول والدستور الثاني مؤجل تنفيذه .

واذا كان الدستور مؤجلا تنفيذه فأين كانت الحكومة المهيمنة على شئون فرنسا؟ كانت الحكومة الفرنسية محصورة في المؤتمر ،وكانت طريقة المؤتمر ان الأعضاء يشكلون لجانا مختلفة مهمتها النظر في مسائل معينة فتألفت عدة لجان اشهرها لجنة تسمى (لجنة السلام العالمي) أو (لجنة الانقاذ العام) وأصبحت هذه اللجنة تحكم فرنسا في المسائل الداخلية والخارجية والحربية وكانت هذه اللجنة تسيطر تماما على المؤتمر الوطني نفسه وعلى فرنسا كلها وترسل مندوبين لمراقبة الحالة في الاقاليم وهؤلاء المندوبين لهم سلطات واسعة يقبضون على من يخالفهم ويبعثون به الى باريس حيث يتم اعدامه وكانوا يباشرون هذه السلطة على جميع الافراد حتى على ضباط الجيش ورجال الاسطول الفرنسي ،وهكذا سيطرت لجنة الانقاذ العام على الحكم في فرنسا بواسطة ارسال المندوبين ويطلق في تاريخ الثورة الفرنسية على الفترة التي سيطرت فيها هذه اللجنة اسم :(عهد الأرهاب) لأنها لجأت في سبيل انقاذ الوطن الى العنف حتى ينكمش خصوم الثورة واعداء فرنسا ولا يجرؤ احد منهم على الكيد للثورة بحجة انه كان لابد ان الالتجاء الى وسائل العنف الشديد حتى تجتاز فرنسا مرحلة الخطر وبعد ذلك يتسع المجال للكلام في الحريات والدساتير وما يشبه ذلك .

وفي عهد (الارهاب) طرأ على المجتمع الفرنسي بعض التغيرات الاجتماعية والدينية نذكر منها :

١) عبادة جديدة تسمى عبادة العقل تقول ان الانسان يجب أن يعبد العقل وكان يدخل في الديانة الجديدة بعض مظاهر الفسق والمجون وكان الباعث لظهور هذه العبادة هو الروح العدائية لرجال الدين ، وساعد على هذه الكراهية موقف رجال الدين من قوانين الكنيسة التي وضعتها الجمعية التشريعية ولم تنتشر العبادة الجديدة في انحاء فرنسا ولكن اعتنقها فئة قليلة .

٢) كان من مظاهر روح الكراهية للكنيسة تغيير تقويم الكنيسة واتخاذ تقويم ثوري ظل معمولا به الى عهد امبراطورية نابليون الذي أعاد التقويم المسيحي الى ما كان عليه وقد قسموا السنة الى اثنى عشر شهرا والشهر ثلاثين يوما وجعلوا الايام الخمسة الاخيرة خارج الشهور ثم اتخذوا للشهور اسماء من مظاهر الطبيعة مثل شهر الثلج وشهر المطر وغير ذلك وتبدأ السنة من ٢١سبتمبر وهو اليوم الذي اعلنت فيه الجمهورية ،وجعلوا الاسبوع عشرة أيام واليوم العاشر اجازة .

دستور سنة ١٧٩٥:

وضع في عهد الثورة ثلاثة دساتير :

١ .الدستور الأول عام١٧٩١وهو دستور ملكي .

٢ .الدستور الثاني عام ١٧٩٣وهو دستور جمهوري متطرف .

٣ .الدستور الثالث عام ١٧٩٥وهو دستور جمهوري معتدل .

وضع المؤتمر دستورا جديدا سنة١٧٩٥جعلت كل السلطة فيه في يد ادارة مكونة من خمسة اعضاء وكانت الهيئة التشريعية بمقتضى هذا الدستور الجديد مكونة من مجلسين بينما كانت كل الهيئات التشريعية الماضية ذات مجلس واحد وحق التصويت الذي كان عام ١٧٩٣اصبح الآن محصورا في الطبقة التي تدفع قسطا خاصا من الضرائب وكان هذا التصرف وغيره من الدواعي التي أثارت غضب رعاع باريس ففي ٥أكتوبر سنة١٧٩٥تسلح جماعة الرعاع وساروا في طريقهم يريدون الاستيلاء على مكان (الجمعية) حيث ينعقد (المؤتمر) ولكن شابا صغيرا من ضباط المدفعية عرف كيف يقابل الرعاع الذين ولوا الأدبار امام طلقات مدافعه المصوبة وكان اسم ذلك الشاب بونابرت ٠

بونابرت :

ولد نابليون بونابرت سنة١٧٦٩في مدينة (اجاكسيو)عاصمة جزيرة (كورسيكا)بعد انتزاعها من ايطاليا وضمها الى فرنسا بعام واحد وبذلك اصبحت عائلة بونابرت من رعايا فرنسا ،وقد درس بونابرت العلوم العسكرية في (كلية بريين) العسكرية ثم في باريس وفي عام ١٧٨٥صار ضابطا في المدفعية وكان في ذلك الوقت متحمسا لآراء روسو ،وفي عام١٧٩٢عندما تحالف ثغر طولون مع انجلترا ضد حكومة الثورة كان بونابرت احد ضباط المدفعية التي ارسلت لتأديب المدينة .وقد اظهر براعة فائقة في الاستيلاء على المدينة وعلى الرغم من

أنه كان اذ ذاك في الرابعة والعشرين من عمره الا أن شـــهرته بـــدأت تذيع .وفي العام التالي عين بونابرت قائدا للمدفعية فاصبح له نفوذ كبير بين رجال الحكومة الممتازين ،وفي أكتوبر ١٧٩٥نجح في الدفاع عــــن المؤتمر الوطني وشتت شمل اعدائه بقوة مدفعيته ممـــا جعـــل الحكومـــة الجديدة تعهد اليه بقيادة جيشها ثم قائدا للحملة الايطالية .

الحملة الايطالية (١٧٩٦-١٧٩٧):

عهدت حكومة الادارة الى بونابرت بقيادة الحملة الايطاليـــــة .ولقـــد غضب القواد الاقدمون لتعيين هذا الشاب الصغير كبيرا عليهم غــــيرة منهم وحقدا غير أن هذه الحملة كان لها أثرها على بونابرت فقد اظهر جرأته وسرعته في اتخاذ القرارات وتنفيذ خطته المشهورة التي يكــــــون فيها الهجوم خير وسيلة للدفاع فقد عبر جبال الألب فواجـــــه جيشـــا مشتركا من النمساويين والسردينيين فعمل على فصلهما ثـــــم انفـــــرد بجيش سردينيا وهزمه في موقعة (موندوفي)وارغمت ســــــردينيا علـــى قبول الهدنة في٢٨ابريل سنة١٧٩٦وبمقتضاها انسحبت من الحــــــرب وتنازلت لفرنسا عن (نيس)و(سافوي) .

ثم عاجل بونابرت النمساويين فانتصر عليهم في شمــــال ايطاليـــا واستولى على ميلان حيث رحب الايطاليون به كمحرر جاء ينقذهـــــم من نير النمسا ،ووصل الى جبال الألب الشرقية في شمال شرق ايطاليا لكي يتوجه الى النمسا ذاتها وعندئذ عرضت النمسا الصلــــح وقبلـــه

بونابرت وعلى هذا عقد مع النمسا معاقدة (كاميو فورميو في١١٧كتوبر١٧٩٧)وفيها تقرر أن :

١.تتخلى النمسا عن الاراضي المنخفضة النمساوية (بلجيكا)لفرنسا.

٢.تتخلى النمسا عن لمبارديا حيث تقام جمهورية ما وراء الألب المستقلة اسما ولكنها تحت سيطرة فرنسا .

٣.تستولي فرنسا على جزيرة يونيان عند مدخل بحر الادرياتيك .

٤.سمح بونابرت بأن تضم اليها البندقية وممتلكاتها على بحر الادرياتيك

٥.وعدت النمسا بأن تتنازل لفرنسا عن اراضي واسعة على الضفة اليسرى للراين .

وهكذا تمخضت الحملة الايطالية عن خروج النمسا من التحالف الدولي الأول وصار شمال ايطاليا تحت سيطرة فرنسا التي احرزت بذلك كثيرا من المجد والشهرة .

الحرب ضد ايطاليا :

بعد (كامبورفورميو) لم يبقى لفرنسا من اعداء الا انجلترا الا أن سيطرة انجلترا البحرية جعلت من المستحيل ان تتمكن فرنسا ان تنزل بانجلترا ضربة ساحقة في الجزر البريطانية وعهدت حكومة الادارة الى بونابرت بالتفكير في حملة بديلة للحملة على الجزر البريطانية فاقترح ارسال حملة على مصر لقطع الطريق بين انجلترا واهم مستعمراتها في الهند بل واتخاذ مصر قاعدة للوصول الى الهند ذاتها وانتزاعها من انجلترا ،وهذه هي الحملة المصرية التي قادها بونابرت على مصر في

صيف ١٧٩٨،وفي مصر وصلته اخبار بأن تحالفا دوليا ثانيا قد تكـــون في اوربا ضد فرنسا في غيابه وأن الهزائم قد لحقت بالقوات الفرنسية مما جعله يعقد العزم على ترك الحملة في مصر والعودة الى فرنسا فقد صار يعتقد ان الفرصة سانحة لكي يتولى مقاليد الأمور في فرنسا .



الفصل الثامن

التحالف الدولي الثاني

نابليون يصبح القنصل الأول:

التحالف الثاني :اثناء غياب بونابرت لاقت حكومة الادارة مصاعب جمة فان انجلترا كونت تحالفا ثانيا من دول اوربا ضد فرنسا وكانت نتيجة ذلك ان هزم القواد الفرنسيون وضاعت ايطاليا وأصبحت الجمهورية نفسها في خطر من الغزو الاجنبي وكان رجال حكومة الادارة يواجهون مصاعب جمة في فرنسا نفسها من جراء مشاغبات الملكيين والجمهوريين المتطرفين .

فلما علم نابليون بذلك صمم على ان يقبض على الحكومة بنفسه فترك الجيش واسرع في العودة الى باريس وكان حب افراد الشعب له من الأمور التي سهلت عليه قلب حكومة الادارة ووضع دستورا جديدا عام١٧٩٩ . وقد وضعت السلطة التنفيذية في هذا الدستور في يد ثلاثة قناصل وكان نابليون بصفته القنصل الأول القابض الفعلي على زمام السلطة بأجمعها ولم يكن زميلاه القنصلان الآخران الا اداة لتنفيذ غرضه .

هزيمة التحالف الثاني:

لم تكد الشئون الداخلية تستقر في فرنسا حتى كان نابليون يستعد لكي يسترد الخسائر الحربية التي اصابت فرنسا اثناء غيابه واستطاع أن ينجح في قيادة جيش فوق جبال الألب وأخذ النمساويين

على غرة وكانت هزيمتهم في معركة (مارنجو "هزيمة شنعاء") وهكـــذا بضربة عنيفة اعاد نابليون ايطاليا لفرنسا ورحبت بعد ذلـــك النمســا بعقد الصلح بنفس الشروط التي وافقت عليها في معاهدة صلح اقيمت في (مينز)سنة١٨٠٢ وبمقتضى هذا الصلح استعادت فرنســا معظــم البلاد التي كانت قد فتحتها منذ بداية الحرب .

الحياد المسلح لدول الشمال :

ومما زاد جرح مركز بريطانيا بعد الانتصارات الفرنسية الاخـــيرة ان كونت دول البلطيق (بروسيا ،روسيا ،السويد ،الدانمرك)حلفـــا يعارض الحق الذي كانت تدعيه انجلترا لتفتيش سفن الـــدول المحـــايدة ،وكان ان اعلنت دول الشمال الحياد المسلح وقد واجهـــت انجلـــترا الموقف بمزيج من المرونة والشدة فقد خفقت من تطبيق حق التفتيـــش كما حطمت الاسطول الدانمركي في موقعــــة كوبنهـــاجن (ابريـــل ١٨٠١) وهكذا انتهى عام ١٨٠١وانجلترا منتصرة في بحري البلطيـــق والمتوسط ،واستولت على سيلان ،و(رأس الرجـــاء الصـــالح) مـــن الهولنديين (وترنداد) من الاسبان ومالطة من الفرنسيين ولكن فرنســا كانت لاتزال لها السيطرة والتفوق في القارة ،وكان الطرفان لا يمانعان في الوصول الى ســـلم واخـــيرا عقـــد بينهمـــا (صلـــح اميـــان) مارس١٨٠٢الذي نص على ان :

١) تعيد انجلترا (رأس الرجاء الصالح)الى الهولنديين ومالطة الى فرسان القديس يوحنا وتحتفظ بسيلان وترنداد .

٢) تخلي فرنسا وروما وجنوب ايطاليا .

كما شهد عام١٨٠٢موافقة الفرنسيين على ان يكــون بونـــابرت قنصلا مدى الحياة واتاح صلح اميان لبونابرت فرصة توجيه جهـــوده نحو الاصلاحات السلمية في فرنسا .

تجدد الحرب :

لم يكن (صلح اميان) الا هدنة مسلحة لجأ اليها الطرفان لالتقاط الانفاس ،استعدادا لاستئناف القتـــال ،لأن الصلـــح لم يضـــع حـــدا للمشاكل التي كانت بين الدولتين للأسباب الآتية :

١. ان المسألة التي كانت على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لانجلترا وهي احتلال فرنسا للأراضي المنخفضة النمساوية (بلجيكا)لم يرد ذكرها في صلح اميان .

٢. كل من الطرفين في شك من نوايا الطرف الآخر ،ولم تكن لدى أي منهما رغبة حقيقية في السلام .

٣. رفضت فرنسا ان توفر الحرية الكافية للتجارة الانجليزية .

٤. كانت فرنسا تعمل على مد نفوذها في الشرق الأدنى والهند وجزر الهند الغربية وما كانت انجلترا لتسمح بمنافسة فرنسا في هذه المناطق

٥. كانت (مالطة)هي السبب المباشر لاستئناف الحرب فقد رفضـــت انجلترا الانسحاب منها مالم ينسحب بونابرت من جنـــوب ايطاليـــا ورفض بونابرت ذلك قبل ان تنسحب انجلترا من مالطة ومما زاد من تصميم بونـــابرت علـــى التمســـك بموقفـــه اختيـــاره في عـــام

١٨٠٤ امبراطورا على فرنسا فسار يعتقد انه لا يمكن التنازل عـــن
شئ يسئ الى مركزه كامبراطور ٠
وهكذا استؤنف الصراع بين الدولتين وبدأت انجلـــترا تســـعى في
تأليف تحالف اوربي جديد ضد فرنسا ٠

التحالف الدولي الثالث (١٨٠٥) :

سحب بونابرت قواته من بولوني لحاجته اليها بعـــد ان تكتلــت الدول الاوربية ضده مرة اخرى وكونت التحالف الدولي الثالث وكان يتكون من (روسيا والنمسا وانجلترا) لوقف اطمـــاع الامــبراطور نابليون المتزايدة واعادة فرنسا الى حدودها القديمة ،الا أنه قبل مضـــي عام على تحطيم السفن الفرنسية في (الطرف الآخر)احـــرز نـــابليون انتصارا على القوات النمساوية في (اولم) ثم التقى بالجيوش النمساوية والروسية وسحقها في معركة "استلتز"التي تسمى معركـــة الأبـــاطرة الثلاثة (ديسمبر١٨٠٥) وانسحب قيصر الروسيا وتراجـــع بقواتـــه ودخل نابليون (فيينا) فاضطرت النمسا الى توقيع صلح (برســبرج) وبمقتضاه استولى نابليون على البندقية ودالماشيا والتبرول ،وقضى على الامبراطورية الرومانية المقدسة واقام بدلا منها اتحادا مـــن الولايـــات الالمانية الغربية اطلق عليه اسم اتحاد الراين Confederation Of Rhine

وبعد انسحاب النمسا من التحالف الدولي الثـــالث انضمــت بروسيا الى هذا التحالف لانها انزعجت من تكويـــن اتحـــاد الرايـــن واعتبرته منافسا لها في زعامة المانيا ،كما ان نابليون اقام في (هولندا) مملكة ولي عليها اخاه (لويس) الامر الذي اعتبرته بروسيا تهديدا لها. وقد انزل نابليون بجيوش بروسيا هزيمة ساحقة في معركة(بينا)(اكتوبر ١٨٠٦) وتساقطت القلاع البروسية الواحدة تلو الآخرى في ايـــدي القوات الفرنسية ،وعلى الرغم من ان نـــابليون دخـــل برلـــين الا ان

مسلك بروسيا ظل يقاوم مقاومة عنيفة في الشمال الشرقي معتمـــــدا على مساعدة روسيا ،ولكن القوات الروسية والبروسية هزمت هزيمـــة قاسية في معركة فريدلاند في بروسيا الشرقية (يونيو١٨٠٧) لدرجـــة ان الدولتين طلبتا الصلح .

معاهدة تلست (١٨٠٧) :

اتخذت هذه المعاهدة صورة تحالف بين القيصر ونـــابليون ،وفيهــا اعترفت روسيا بفتوحات نابليون في اوربا وفي مقابل ذلـــك حصلـــت روسيا على وعد باطلاق يدها في شرق اوربا وفنلندا وعلى نصيب من الامبراطورية العثمانية عندما يحين وقت تقسيمها كما وعـــد القيصـــر اسكندر بالانضمام الى نظام (الحصار القاري) الذي فرضه نابليون اذا لم تتنازل انجلترا عن حق التفتيش ،وهكذا نرى انه طبقا لمعاهدة تلست لم تخسر روسيا شيئا ،ولكن الخسارة وقعت على كاهل بروســـيا فقـــد انتزعت منها الاراضي الغربية (الى الغرب من نهر الب) واقيمت فيها مملكة (وستغاليا) ليجلس على عرشـــها (جـــيروم) الأخ الأصغـــر لنابليون وكان (لويس) بونابرت ملكا على هولندا واتخـــذ نـــابليون لنفسه ايضا لقب ملك ايطاليا ،كما تكونت من الاراضـــي البولنديـــة التابعة لبروسيا (دوقية وارسو) المستقلة واعطيت لملـــك سكســـونيا حليف نابليون .

الحصار القاري Continental System:

رفضت انجلترا وحدها ان تنحني امام عظمة نابليون طاغية أوربا الجديد ومادام نابليون لم يستطع ان يصل اليها بجنوده فانه صمم على أن يسحق تجارتها ومن برلين اصدر قرارا يحرم فيه على جميع ممالك اوربا ان لا تكون لها اية علاقة بانجلترا وبذلك كانت السفن الانجليزية او البضائع الانجليزية التي تدخل أي ثغر من ثغور القارة تصادر في الحال ولقد سبب هذا النظام اذى عظيما للعمال والصناع والبحارة في انجلترا كما ان كل سكان اوربا شعروا أيضا باذاه فلقد ارتفعت اثمان البضائع الواردة ارتفاعا فاحشا بحيث اصبح لا يستطيعون ان يحصل عليها الا الغني الكبير ولقد حطمت التجارة في كل مكان وروسيا التي كانت تحتاج بشكل خاص الى المصنوعات الانجليزية من أقمشة وغيرها شعرت بالمتاعب التي سببها لها النظام القاري وبدأت تتململ من محالفتها مع فرنسا .وفوق ذلك فان نابليون لم يكن في استطاعته ان يراقب بدقة جميع سواحل اوربا فان الانجليز كانوا يهربون البضائع بشكل شنيع وظلوا في السر يوردون كثيرا منها .

الحرب الايبيرية :

لقد كان للبرتغال تجارة رابحة مع انجلترا ،ولذلك فقد فتحت موانيها امام التجارة الانجليزية ولم تنضم الى الحصار القاري الذي فرضه نابليون على اوربا ولذلك اتفق نابليون مع (شارل الرابع) ملك اسبانيا على غزو البرتغال امر نابليون القوات الفرنسية بغزو اسبانيا فثار الاسبان على ملكهم وارغموه على التنازل عن العرض لابنه

(فرديناند السابع) ولكن نابليون دعا فرديـــاند لمقابلتـــه في بـــايون (١٨٠٨) وارغمه على التنازل عن العرش ،وعـــين نـــابليون اخـــاه (جوزيف) ملكا على اسبانيا ،وعين (مورا) زوج شقيقته ملكا علـــى نابولي ،وعندئذ اندلع لهيب الثورة في اسبانيا ،وكان يغذيهـــا رجـــال الدين الكاثوليك ،وأخذ الاسبان في مهاجمة الحاميـــات الفرنســـية في بلادهم ،وانزلوا الهزيمة بالفرنسيين في بايلن Baylen (١٨٠٨) فكانت اول هزيمة تلحق بالفرنسيين منذ تولي نابليون السلطة في فرنسا واخلى الفرنسيين مدريد وهرب جوزيف وبونابرت وكان نشوب الثورة فـــي (شبه جزيرة ايبريا) فرصة انتهزتها انجلترا للتدخل ،حيـــث صـــار في امكانها ان تتخذ من شبه جزيرة ايبريا قاعدة لعملياتها العسكرية ضد نابليون فارسلت جيشا الى اسبانيا بقيادة سير(ارثـــر ولـــزلي)(دوق ولنجتون) ،فانتصر على الفرنسيين الامر الـــذي دعـــا نـــابليون الى الذهاب بنفسه الى اسبانيا ليتولى قيادة القوات الفرنسية وعلى الرغـــم من أنه ارغم ولزلي على التقهقر واسترجع مدريد واعاد اخاه جوزيف الى العرش ، فان مشاغله في اوربا وخاصة ضـــد النمســـا في حـــوض الدانوب ثم ضد روسيا اضطرته الى ترك قيادة القوات الفرنســـية في اسبانيا الى القواد الفرنسيين الذين كانوا كثيرا ما يدب بينهم الخلاف ، مما اتاح للانجليز بقيادة ولزلي من احراز كثـــير مـــن الانتصـــارات في سلامنكا ١٨١٢ وفيتوريا ١٨١٣ ،ثم عبروا جبال البرانس في اعقـــاب القوات الفرنسية المتقهقرة واستولوا على (تولوز)في جنوب فرنسا ،

وهكذا كان الانجليز في عام١٨١٤يغزون فرنسا من الجنوب في الوقت الذي كان فيه بقية الحلفاء يغزونها من الشرق والشمال ،ولقد كانت الحروب في شبه جزيرة ايبيريا بمثابة السرطان الذي التهم قوى نابليون فقد استمرت نحو ستة اعوام وكلفته الكثير.

الحرب ضد النمسا (١٨٠٩) :

انتهزت النمسا فرصة الصعوبات التي كان يلاقيها الفرنسيون في اسبانيا لكي تنتقم من الهزائم التي حلت على ايدي نابليون الا أنه ترك ميدان الحرب في اسبانيا واسرع لمواجهة النمسا واستطاع ان ينزل بها هزيمة ساحقة في معركة(فاجرام) وارغمها علـــى طلــب الصلــح ،وعقدت بين الطرفين (معاهدة فينا) وبمقتضاها تنازلت النمسا لفرنسا عن ولايات (كروتيا ودالماشياوسلوفينيا)ووعدت بأن تدفع غرامـــة حربية وتقلل عدد جيشها وتنضم الى الحصار القاري .

وهكذا يمكن اعتبار عام١٨١٠هو العام الذي بلغت ازمة نابليون ذروتها ،وكان يأمل في القضاء على مشاكله مع انجلــترا ومتاعبــه في اسبانيا ،الا أن آماله لم تتحقق اذ لم تلبث ان زادت متاعبـــه فالحصـــار القاري اثار سخط الشعوب الاوربية عليه وفي عام١٨١٢جاءت بداية النهاية فقد نشبت الحرب بينه وبين روسيا .

الحملة على روسيا (١٨١٢) :

علاوة على المتاعب التي سببها الحصار القاري لحكومة القيصر فان ظروفا كثيرة غيرها حملت القيصر على الندم لاتفاقه مع نابليون فان نابليون لم يسمح بأن تضم تركيا لروسيا ،يضاف الى ذلك ان القيصر وجد ان نابليون لم يساعده في تحقيق اطماعه في الشرق .

وقد أدى حنق روسيا المتزايد على فرنسا الى اعلان الحرب سنة١٨١٢ وكانت كل دول أوربا الغربية في ذلك الوقت تحت تصرف نابليون التام فجهز جيشا يبلغ عدده نصف مليون جندي تقريبا وكان قد حشد ثلثه من فرنسا وحدها وفي شهر يونيو عبر نابليون بهذا الجيش الهائل نهر (السين) وزحف على روسيا فخاف القواد الروس من الاشتباك في حرب مباشرة مع هذا القائد ذي المكائد الحربية التي لا يمكن ان يهزم وتقهقرت زاحفة الى الشرق امام الغزاة بعد ان جردوا الاقاليم التي زحفوا عليها من المؤن التي فيها وعند (بروديتو) التي لا تبعد كثيرا من موسكو اراد القواد الروس أن يوقفوا تقدم نابليون وبعد معركة عنيفة هزموا وتقهقروا .

ودخل نابليون موسكو العاصمة دخول القائد الظافر وتوقع أن يملي بعد مدة قصيرة شروط الصلح على القيصر اسكندر ولكن سكان موسكو كانوا قد هجروا بيوتهم ولم يكد الجيش العظيم يستقر في المدينة المهجورة حتى كانت النيران تشتعل في جميع الاماكن واستمرت ثلاثة ايام اهلكت من المدينة تسعة اعشارها ولقد ارتكب نابليون اذ ذاك خطأ فاحشا وهو أنه انتظر بجنوده في المدينة المخربة خمسة أسابيع

يتوقع في اثنائها ان يدعوه القيصر الى الصلح ولم يبدأ بـالعودة الى ١٩
اكتوبر وكان الشتاء في ذلك الوقت قد بكر عن موعده بكثير وكـان
لزاما على الجيش الفرنسي ان يحتمل مرارة سقوط الثلوج والـبرد
القارس بينما اغتنم الجنود الروسيون الذين تعودوا على ذلـك الجـو
البارد هذه الفرصة وظلوا يناوئون جنود نابليون الجياع مـن جميـع
الجهات فانقلبت عودة نابليون الى هزيمة لا حد لها اذ خسر ٢٥٠ألف
جندي بين قتيل سيف أوبرد أ وجوع بينما وقع ١٣٠ألف أسير في يـد
الروس وعاد نابليون مجردا من جيشه الضخم ولم يبق معه الا القليل .
وأدرك نابليون ضرورة تواجده في باريس لكي يعيد بناء قواتـه الـتي
تصدعت خصوصا وقد تكون ضده التحالف الدولي الرابع فترك قواته
وأسرع بالعودة الى باريس .

التحالف الدولي الرابع (١٨١٣) :

انتهزت الدول الاوربية فرصة الضربات القاصمة التي نزلت بنابليون في روسيا فتكتلت ضده في (التحالف الدولي الرابع) الذي كان يتكون من انجلترا والنمسا وبروسيا وروسيا ثم انضمت اليهم السويد التي كان ملكها برنادوت أحد قواد نابليون قد رفض الالتزام بالنظام القاري كما وعده الحلفاء بضم النرويج اليه بعد انتزاعها من الدانمرك حليفة نابليون مكافأة له .

ولقد كانت بروسيا اهم دول هذا التحالف وتحملت العبء الأكبر في الحروب ضد نابليون بعد أن شملتها يقظة قومية وشهدت تطورات اساسية ونهضة في شتى النواحي حتى تحولت الى دولة حديثة ذات جيش قوي قادر على الاضطلاع بالحرب التي كانت بروسيا تعتبرها حرب تحرير وذلك بفضل بعض الشخصيات البروسية مثل(شارنهورست وسناين وهاردنبرج)وغيرهم ونشأت نهضة كبيرة في الجيش والتعليم .

وعلى الرغم من ان نابليون احرز بعض الانتصارات في معركة (درسدن) الا ان قوات اعدائه (البروسيين والروس والنمساويين والسويديين) تجمعت عليه وهزمته في معركة (ليبزج)او معركة الأمم (١٨١٣) ،وتراجعت القوات الفرنسية عبر المانيا وقوات الحلفاء تتعقبها وبذلك بدأ غزو فرنسا التي كان يغزوها من الجنوب ولنجتون الانجليزي .

نابليون يخلع نفسه :

كانت تراود نابليون فكرة مواصلة الحرب خارج باريس ،ولكن يبدو أن قواده قد سئموا القتال كما كانت فرنسا ذاتها تواجه اهـــوال الغزو بعد ان تبددت احلامها في الانتصار ،ونضب معينها من الرجال ، ولحق الخراب بتجارتها وتجاسر البعض (ثوريين وملكيين) على ترديد شعارات معادية للامبراطورية ،وأخـــيرا وقـــع نـــابليون في٦ابريـــل ١٨١٤وثيقة تنازله عن العرش وتنمي على أنه (نظـــرا لأن الـــدول المتحالفة اعلنت ان الامبراطور نابليون هو العقبة الوحيدة في طريـــق اعادة اقرار السلام في اوربا فان الامبراطور نابليون –وفاء منه للقسم الذي أداه –يعلن تنحيه هو وورثته من بعده عن عرش فرنسا وايطاليا ، فما من تضحية شخص –حتى الجود بالحياة نفسها –يعتمد بهـــا مـــن أجل فرنسا"وذهب نابليون الى جزيرة البا وهناك اباحوا له ان يكـــون ملكا على هذه المملكة الصغيرة سخرية منه واستهزاء به وكان بصحبته في هذه الجزيرة بعض انصاره .

هروب نابليون من البا وحكم المائة يوم:

وضع الحلفاء الامير البريوني (لويس الثامن عشر) شقيق الملك المتوفي لويس السادس عشر (السابق)وكان لويس الثامن عشر فيهـــا ينطبق عليه قول المؤرخون "ان البريون لم يتعلموا شيئا فلقد أراد هـــو

ورجال حاشيته ان يرجعوا فرنسا الى الحالة التي كانت عليهـــا قبـــل الثورة الفرنسية فضجر الناس ودفعهم حنين شديد الى حكم نابليون .

وعلم نابليون بهذا الشعور العام في فرنسا فهرب من جزيرة البـــا مع جماعة صغيرة من اتباعه ونزلوا في الساحل الجنوبي لفرنسا وهنـــاك تسارع الى نابليون كل جنوده الاقدمين من كل مكان ولم يكن امـــام افراد البيت البريوني الا الهرب بينما دخل الامبراطور بـــاريس بـــين تصفيق الجموع الحاشدة وهتافها المتواصل .

وحيال ذلك اعلن الحلفاء ان نابليون عدو للأمن في العالم ومعكر لصفو السلام وبينما كانت جنوده الحلفاء تسرع في الزحف الى فرنسا كان نابليون بنشاطه وسرعته المعهودة قد حشد جيشا مـــن فرنســـا واستطاع ان يهزم البروسيين في مبدأ الأمر ثم هجم بعد ذلـــك علـــى الجيش الانجليزي الذي كان تحت قيادة (دوق ولنجتون) الذي قـــام الفرنسيين بشدة عند مرتفعات (واترلو) على مقربة من بروكســـل ، ولقد حارب الجيشان طول اليوم واظهروا بسالة قل ان يصدقها العقل وعند المساء ظن نابليون انه كسب المعركة ولكن الجيـــش البروســـي تحت قيادة القائد (بلوخر) ظهر وانضم الى جناح الاعداء في اللحظة الاخيرة وبذلك قلب الموقف وأبيد جيـــش نـــابليون في(١٨يونيـــو سنة١٨١٥) .

ولقد تجمعت ظروف عدة وساعدت الاعداء على هزيمة نابليون في هذه المعركة الهائلة من معارك التاريخ الحديث .ففي الصباح كانت

الارض لينة بسبب سقوط المطر ولم يستطع نابليون ان يحـرك مدافعـه الكبيرة ويصوبها في الأماكن المناسبة الا بعد الظهر بكثـير . ولذلـك يقول بعض المؤرخون ان هطول المطر كان السبب في سـقوط ذلـك الطاغية الكورسيكي . ويجب ان لا ننسـى ان ولنجتـون وبلوخـر يستحقان ان ينالا شيئا من شرف هذا النصر .

ويطلق الانجليز على (ولنجتون) لقب الدوق (الحديدي) نظرا لعزيمته التي لم تلن امام هجمات الفرسان الفرنسيين المميتـة وكذلـك (بلوخر) الذي زحف بجيشه المنهزم في أدق الظروف وحول الهزيمـة المنتظرة لجنود الانجليز الى انتصار حاسم ،ثم استسلم نابليون ونفي الى (جزيرة سانت هيلانه) .

معاهدة باريس الثانية (٢٠ نوفمبر ١٨١٥) :

يطلق بعض المؤرخين على هروب نابليون من جزيرة البا وعودته الى فرنسا لفظ مغامرة والواقع ان هذه المغامرة جلبت علـى فرنسـا مزيدا من المتاعب فقد فرض الحلفاء عليها معاهدة جديـدة بحجـة ان فرنسا جردت السلاح عليهم من جديد وادرك الحلفاء انه لا يستطاع الفصل بين فرنسا ولذلك جاءت شروط معاهدة باريس الثانيـة اشـد واقسى من شروط معاهدة باريس الأولى ،فقد تقرر بمقتضى المعـاهدة الثانية :

١ .انقاص رقعة اراضيها في اوربا فاعيدت الى حدودها سنة ١٧٩٠ بعد ان كانت معاهدة باريس الأولى قد اعادت حدودها الى ما كـــانت عليه سنة ١٧٩٢ .

٢ .فرض غرامة حربية مقدارها سبعمائة مليون فرانك .

٣ .يحتل فرنسا جيش الاحتلال ويتكون من قوات الحلفـــاء وقوامـه (١٥٠ الف جندي) تدفع فرنسا نفقاته ويرابط هـــذا الجيـــش في اراضيها لفترة تتراوح بين ثلاثة وخمس سنوات .

٤ .تعاد الى اصحابها التحف والكنوز والاعمال الفنية الـــتي جلبهـا نابليون من شتى متاحف اوربا الى باريس .

وقد اعترضت بروسيا على شروط معاهدة باريس الثانية وطـــالبت بشروط اشد قسوة بأن تنزع من فرنســا (الالـــزاس)و(اللوريـــن) ويضما الى بروسيا بحجة ضرورة هذين الاقليمين لها في الدفـــاع عـــن بروسيا ولكن رأي (كاسلريه) وزير الخارجية لبريطانيا انتهج سياسة الاعتدال لتدعيم مركز (لويس الثامن عشر) ومن ناحية أخرى عدم اثارة شعور الشعب الفرنسي من ناحية اخرى .

نابليون في نظر التاريخ :

كان نابليون اعظم عبقري في الحرب والادارة شهدته العصـــور الحديثة ولكن مقدرته ونشاطه الفائقين الحد كانا في الغالب يوجهـــان الى اغراض شخصية لدرجة ان اوربا باجمعها لم تتسع لمطامعه الشخصية وكان ذلك من الاسباب التي ادت الى سقوطه النهائي لكن على الرغم

مما سببه من ارتباك واريق من جرائه من دماء فان عنصرا طيبـــا كـــان يظهر في النهاية من اعماله ،فلقد كان يسبب فتوحاتـــه ان انتشـــرت الأفكار عن العدالة الاجتماعية والادارة الحرة في جميع ممالك اوربا ولما ارادت الدول والملوك سنة١٨١٥ان اعادة بناء اوربا كـــانت النيـــة متجهة الى تأسيس حكومات استبدادية ولكنهم وجـــدوا ان انظمـــة نابليون قد غرست بذور الحرية في عقول جميع النـــاس ،ففـــي المانيـــا وايطاليا قضى نابليون على عدة ولايات صغيرة كانت تحكـــم حكمـــا سيئا وأفهم أهل هذه البلاد مزايا الوحدة السياسية . ومن تلك اللحظة لم تفتأ هذه الدول تنادي بوحدتها القومية وبعبارة أخـــرى يمكننـــا ان نقول ان نابليون كان السبب الحقيقي في سرعة تكوين المانيا وايطاليـــا الحديثتين .

وأما فيما يتعلق بفرنسا فان نابليون أكســـبها فخـــرا لا يمحـــى وأمبراطورية عظيمة وان عمرت قصيرا ولكن فرنسا دفعت غاليا ثمـــن هذه الفتوح من دماء ابنائها واخيرا سقط نابليون وترك فرنسا وحدها اقل مما كانت عليه قبل الثورة .

انجازات نابليون في المجال الداخلي :

١) الاتفاق الديني مع البابا :

كانت فرنسا كاثوليكية متدينة ، ولذلك فقد فشـــلت سياســـة الثورة الفرنسية لتعرضها لتنظيمات الكنيسة الكاثوليكية ومحاولة اقامة

كنيسة مستقلة عن روما ، كما فشلت ديانة عبادة العقل التي ساندتها حكومة الثورة ، ولذلك قرر نابليون حل هذه المسألة الدينية التي ظلت تمزق فرنسا ، وذلك بداية الكياسة الدبلوماسية اكثر منها بدافع الغيرة الدينية ، فقد احس بخطر الاصطدام بهيئة دينية تدين لها جموع الفرنسيين بالولاء ، وفي الوقت نفسه اراد قيام كنيسة مستقرة لتكون سندا لعرشه ، ومن اقواله المأثورة :" أن دولة بلا ديانة كسفينة بلا بوصلة " كما اراد ان يطمئن الشعب بالحصول على موافقة البابا على توزيع ممتلكات الكنيسة (التي صودرت) على الفلاحين ، وجرت مباحثات بين نابليون والبابا في روما اسفرت عن عقد اتفاقية عام ١٨٠٢ وعودة فرنسا الى الدستور الكنسي عموما والذي كان قائما قبل الثورة . وهكذا عادت الصلات بين الكنيسة الفرنسية وروما ، واصبحت الكاثوليكية مرة اخرى دين الدولة الرسمي ، وتقرر ان تنفق الدولة من ميزانيتها على الخدمات الكنيسية ، وأقرت البابوية بقاء املاك الكنيسة المصادرة في ايدي ملاكها الجدد .

٢) مجموعة قوانين نابليون :

اعلن نابليون نفسه في منفاه في سانت هيلانة ان المجموعة القانونية المدنية –وليست انتصاراته العسكرية –هي الأساس الأول لشهرته ، ولم يكن نابليون من فقهاء القانون الا أن تأثيره كان عظيما ، فقد دفع المشرعين الى انجاز هذا العمل وترأس بنفسه كثيرا من الجلسات وتدخل في كثير من الاحيان ، وأمكن انجاز خمس مجموعات تشريعية هي :

القانون المدني ، وقانون المرافعات ، وقانون الاجـــــراءات الجنائيــــة ، وقانون العقوبات ، والقانون التجاري ، ولقد اوجز الاستاذ (فشـــر) في وصف هذه التشريعات فقال :" انه على الرغم من جميع النقــــائض والعيوب فان هذه القوانين تحافظ على ما حققته روح الثورة الفرنسية من انتصارات جوهرية الا وهي المساواة المدنية والتسامح الديني وتحرير الأرض ، والمحاكمة العلنية ونظام المحلفين .

٣) التنظيم الاداري:

اعاد نابليون تشكيل النظام الاداري في فرنسا رغبة في اقامـــــة سلطة مركزية تسيطر على كل ميادين الحياة في فرنسا ولذلك فقد كان الموظفين في مختلف الاقاليم يعينون من قبل الحكومة .

٤) قرر نابليون ان تفتح جميع مناصب الدولة امـــــام الرجـــال ذوي الكفاءة والمقدرة بصرف النظر عن أصلهم ومنشأهم ، وبذلك ارتفـــع كثير من رجال الطبقة الوسطى والطبقات الدنيا الى المنـــاصب العليـــا وحملوا الألقاب الرفيعة . ولقد ارتفع نابليون نفسه الى المكانة التي صار يشغلها بكفائته وطموحه .

٩) النظام التعليمي:

على الرغم من ان الوقت لم يتسع للثورة لاقامة نظام تعليمــــي موحد في فرنسا كلها ، ولكنها اتاحت الفرصـــة لنـــابليون ، فقســـم المدارس الى أربع مراحل :الابتدائية والثانوية والليسية . وهي مدارس

داخلية شبه عسكرية ، ثم المدارس الفنية ، ثم انشأ الجامعة الامبراطورية في عام ١٨٠٨ التي تقف على قمة البناء التعليمي ، فقد استقر رأي نابليون على انشاء جامعة موحدة واحدة لفرنسا كلها يتبعها سبعة عشر معهدا اقليميا ، كما دعم المجتمع العلمي الفرنسي الذي أنشئ عام ١٧٩٥ للقيام بالأبحاث والدراسات العليا واعاد تنظيمه.

٦) الاعمال العامة:

افتتح نابليون سلسة من الأشغال العامة فنفذت في عهده كثير من مشروعات الطرق وشقت القنوات ، وتمتع المنتجون الفرنسيون بنظام الحماية الجمركية ، وقسمت الصناعات الى نقابات وأدخلت بعض أساليب الثورة الصناعية وادخلت تحسينات على الزراعة وأصبح العمل وفيرا والاجور طيبة وبوجه عام انتشر الرخاء .

الفصل التاسع



عهد المؤتمرات

مؤتمر فينا ١٨١٤-١٨١٥:

بعد هزيمة نابليون في (واترلو) استأنفت الدول الاوربية اجتماعها في مؤتمر فينا وكانت تهدف الى هدف مثالي وهو المحافظة على السلام في أوربا والحيلولة دون نشوب حرب مماثلة لحروب نابليون . الا ان المؤتمر كان له اهداف اخرى حقيقية في مقدمتها اتخاذ الضمانات الكفيلة بمنع نشوب ثورة مماثلة للثورة الفرنسية في أي قطر من الأقطار الاوربية بما فيها فرنسا ذاتها ثم تقسيم الاسلاب وتوزيع الغنائم الاقليمية بين الدول المنتصرة .

وكانت جميع دول اوربا ممثلة في المؤتمر ما عدا الدولة العثمانية وكانت التسوية التي وضعها المؤتمر من عمل الأربعة الكبار :روسيا ويمثلها القيصر اسكندر الأول ، النمسا ويمثلها مستشارها مترنيخ ، وبروسيا ويمثلها الملك فريدريك وليام الثالث ، انجلترا ويمثلها وزير خارجيتها كسالريه ، أما فرنسا فكان يمثلها تاليران وزير خارجية لويس الثامن عشر .

الاجراءات التي اتخذها المؤتمر :

١) من اجل ضمان عدم قيام ثورة في فرنسا او تحديد فرنسا للدول الاوربية الاخرى بحروب مثل حروب نابليون اتخذت اجراءات في داخل فرنسا ذاتها في (معاهدة باريس الثانية) واجراءات اخرى

خارج فرنسا وذلك عن طريق تقوية الدول المحيطة بفرنسا لتكون خط دفاع ضد أي عدوان فرنسي :

أ- تكوين مملكة الاراضي المنخفضة يضم بلجيكا (من النمسا) الى هولندا تحت حكم اسرة اورانج .

ب- حصول بروسيا على بعض الاراضي في غرب المانيا لتدعيم قوتها على نهر الراين وبذلك صارت حارسة المانيا ضد فرنسا .

ج- أعلن حياد سويسرا وبذلك صارت دولة حاجزة لا يجوز لجيوش أي دولة ان تخترق اراضيها .

د- اعيد تكوين مملكة (سردينيا) من بيدمنت وجزيرة سردينيا مع تقويتها بضم (جنوه وسافوي) اليها رغم ان اهالي سافوي كانوا يتكلمون الفرنسية .

٢) اعادة الحكام الشرعيين السابقين الذين كانوا يحكمون دولا في مختلف انحاء اوربا وطرد منها نابليون ، وذلك كضمان للحيلولة دون نشوب ثورات تحريرية في هذه الاقطار تهدد السلام لاوربا .

٣) استرشدت الدول الاوربية في وضع التسوية بمبدأ هام في السياسة الاوربية هو مبدأ (التوازن الدولي) وذلك بعدم اتاحة الفرصة لأي دولة حتى ولو كانت من الحلفاء لتقوي بحيث تصبح تهدد مصالح الدول الأخرى .

التسوية الاقليمية التي وضعها المؤتمر :

١)بروسيا :

أ–اخذت (جزءا من سكسونيا) يشمل درسدن وليبزج .

ب– اخذت جزءا من بولندا (يشمل بوزن وثورن) .

ج– اخذت بوميرانيا من السويد .

٢) روسيا :

أ– اخذت معظم بولندا ومنح القيصر بولندا دستورا .

ب– اخذت فنلندا من السويد .

ج– اخذت بساربيا من الاتراك .

٣) فرنسا :

ارجعت الى حدودها الاصلية قبل الثورة واعيد الحكم الى عائلة البربون حيث تولاه لويس الثامن عشر .

٤) السويد:

ضمت النرويج الى السويد وقد كانت النرويج تابعة للدنمارك فأخذت منها عقابا لها على انضمامها لنابليون وثمنا لما قدمته السويد من المساعدة للحلفاء وتولى حكمها (برنادوت) أحد قواد نابليون العظام.

٥) بلجيكا و هولندا :

خلق الحلفاء مملكة هولندا بأن ضموا اليها بلجيكا لتكون منهـــا مملكة واحدة تقف سدا أمام فرنسا واعيدت اسرة (اورنج) الى الحكم

٦) النمسا :

كانت بطيعة الحال من أكبر من كسب من المؤتمر وأخذت :

أ- غاليسيا الشرقية .

ب- استرجعت لمبارديا والبندقية في ايطاليا .

ج- أخذت اليريا ودالماشيا .

د- تنازلت عن بلجيكا لهولندا .

٧) انجلترا :

نالت كثيرا من المستعمرات منها جزيرة (مالطـــة وهيلـــد) وجزيرة(سيلان) ومستعمرة (الرأس) وجزيرة (موريشيوس) وباقي المستعمرات الهولندية .

٨) المانيا :

نالت اتحادا اسميا مفكك العرى في مجمـــع يمثـــل الامـــارات اسمه(الديات) قيد بقيود ثقيلة وسلبت منه السلطة التنفيذية .

كلمة عن المؤتمر :

نظرة واحدة الى قرارات المؤتمر نتبين انه لم يراع الا مصالح الملوك ورغبات الظافرين وأهمل كل اعتبار للقومية ورغبات الشعوب الامر

الذي سبب ان كل بنيان شيد تداعى في منتصف القرن الـــــذي تـــلا انعقاده .

وربما كانت الحسنة الوحيدة للمؤتمر هي انه كان النذيـــر الأول للقضاء على تلك التجارة الممقوتة الوحشية -تجارة الرقيق- اذ اعلـــن المؤتمر انها تتنافى مع مبادئ الانسانية والمدنية .

المحالفة المقدسة (سبتمبر ١٨١٥) :

كان من المعقول ان تتفق الدول التي اشتركت في مؤتمر فينا في بناء قارة اوربا في المحافظة على ذلك البناء من خطر الثورات المنتظـــرة ولقد اقترح القيصر اسكندر الأول تحقيقا لرغبة الســـلام والهـــدوء في اوربا ان يتكون حلف مقدس غايته تبادل المشورة والمعونة بين الملـــوك باعتبارهم كأخوة وفق تعاليم الدين المسيحي ، ولقد وافق كل من ملك بروسيا وامبراطور النمسا على المشروع ولكن معظم ساســـة اوربـــا اعتبروه خيالا وحلما لذيذا من احلام القيصر بينما اخـــذت الجرائـــد الحرة ورجال الاصلاح تطنب في مدحه وحسن نتائجه ، ثم انتهى الأمر اخيرا بأن كون ملوك اوربا اتحادا صريحا غرضه محاربة كـــل حركـــة للاصلاح واطفاء كل بارقة للثورة او للحرية وكان زعيم الساســـة في هذا المجال اكبر رجعي عرفته اوربا وهو (مترنيخ) .

مؤتمر اكس لاشابل :

وفي عام ١٨١٨ عقدت دول النمسا وبروسيا وانجلترا وروسيا اتفاقا سريا للمحافظة على السلم في اوربا وبحث المسألة الفرنسية تنفيذا للمحالفة الرباعية ، فقد اثبتت فرنسا وقتها انها تنفذ تعهد انها في معاهدة باريس ، الا انها رفضت وجود جيش احتلال في بلادها ، وبحث مؤتمر (اكس لاشابل) هذه المسألة وقرر سحب قوات الاحتلال من فرنسا ودعوتها الى التعاون مع الدول الاربع والاشتراك معها في المؤتمرات القادمة وهكذا صارت المحالفة خماسية .

وثمة مسألة اخرى بحثها مؤتمر اكس لاشابل وهي مسألة اعتداء البحارة المغاربة على السفن الاوربية في البحر المتوسط ، ولكن الدول في المؤتمر رفضت فكرة ارسال حملة مشتركة لتأديب القرصان وذلك تفاديا لوصول السفن الروسية الى البحر المتوسط .

مؤتمر تروباو ١٨٢٠ ، ومؤتمر ليباخ ١٨٢١ :

علم كاسلريه ان مترنيخ والقيصر اسكندر يريدان استخدام المحالفة للقضاء على الثورات في نابولي وبيدمنت واسبانيا ، والمستعمرات الاسبانية في امريكا ، وعلى الرغم من ان كاسلريه كان يكره الحركات الثورية الا انه لم يكن يريد ان تتدخل انجلترا في القضاء على هذه الثورات لأنه كانت هناك في البرلمان الانجليزي معارضة قوية ضد تدخل انجلترا ، كما ان المصالح الانجليزية لم تتأثر بقيام هذه الثورات التي كانت انجلترا تعتقد ان لها دوافعها التي لا يمكن تجاهلها.

ولقد ترتب على مؤتمر تروباو وليباخ اعتماد الثورات في نابلي وبيدمنت بمساعدة القوات النمساوية ، اذ انه ترتب على منح فرديناند الاول ملك نابولي شعبه دستورا ديموقراطيا سافر بحجة حضور مؤتمر ليباخ للحصول على موافقة الدول الاوربية على الدستور الجديد ، اذ عندما وصل الى ليباخ وصار بعيدا عن متناول الشعب الثائر اعلن تنصله من الدستور وانه ارغم على اصداره ضد ارادته وطلب معونة النمسا لاعادته الى سلطته السابقة .

أما (شارل البرت) ملك بيدمنت فقد رفض الدستور الذي منحه والده فيكتور عمانويل للشعب وطلب هو الآخر معونة النمسا ضد الاحرار واستطاع بمعونتها انزال ضربة شديدة بهم في معركة نوفارا ١٨٢١، واذا كان قد تمخض عن مؤتمري تروباو وليباخ اخماد الثورات في ايطاليا بمعونة القوات النمساوية ، فقد كان هذان المؤتمران بداية الصدع في المحالفة الاوربية ذلك الصدع الذي اخذ في الاتساع بمضي الأيام .

مؤتمر فيرونا ١٨٢٢:

دعت اليه كل من انجلترا والنمسا من اجل ثورة اليونان وقامت فرنسا بقمع ثورة اسبانيا على مسئوليتها عندما عارضت انجلترا التدخل الجماعي وبدأت سياسة جديدة قوامها انضمام النمسا مع انجلترا ضد روسيا .

مؤتمر سان بطرسبرج (يناير ١٨٢٥) :

دعى اليه اسكندر الأول للنظر في الثورة اليونانيـــة ورفـــض كاننج الحضور واجتمعت الدول الأربع وكان الخلاف قد زاد وانفض المؤتمر ولم يتفقوا على قرار واحد في اية مسألة .

ويمكن ارجاع اسباب اخفاق نظام المؤتمرات الى الأسباب الآتية :

١ . هذه المؤتمرات اصبحت اداة في يد الملوك الرجعيين للضغط علــــى انصار الحرية والتنكيل بهم .

٢ . انتقاء وحدة الهدف لدى الدول الاعضاء ادى الى انتقـــاء وحـــدة الصف فكانت كل دولة تتخذ في كل مؤتمر الموقف الذي تمليه عليها مصلحتها .

٣ . عدم اشتراك الدول الصغرى في هذه المؤتمرات ولذلـــك كـــانت معارضتهم لهذا النظام .

العهد الرجعي في فرنسا :

لويس الثامن عشر (١٨١٤-١٨٢٤):

اراد لويس الثامن عشر ان يستعيد للملكية كــــل حقوقهــا القديمة التي كانت تتمتع بها في ظل النظام القديم الا انه كان من ناحية اخرى يعتقد انه ليس من الحكمة العودة الى النظـــام القديــم بكـــل مظاهره، لأن هذا قد يترتب عليه فقدان العرش ولذلك فان مكاســب فرنسا في عهد الثورة ونابليون لم تندثر بل بقي منها الكثير مثل قوانين نابليون ونظام الادارة المحلية ، كما وعد لويس الثامن عشر بأن يحكــم البلاد حكما دستوريا ، مسترشدا بميثاق وطبقا للدستور ، اما الميثـــاق فقد كان ينص على المساواة بين جميع الفرنسيين امـــام القـــانون ، وفي تولي الوظائف المدنية والعسكرية ، وضمان حرية الصحافة والحريــــة الدينية ، ومن المبادئ الهامة التي تضمنها الميثاق ايضا بقـــاء الاراضـــي المصادرة اثناء الثورة في ايدي ملاكها الجدد .

أما الدستور الذي كان لويس الثامن عشر يحكم به قد صـــــار منذ ٤يونيو ١٨١٤ونص على ان تكون السلطة التنفيذية في يد الملك والوزراء وتمتع الملك بسلطات غير قليلة فهو الذي يقود الجيش ويبرم المعاهدات ويعين الموظفين كما منح سلطة حل البرلمان لمدة لاتزيد عن ثلاث دورات .

ونص على ان تكون السلطة التشريعية في يد مجلسين (مجلس اعيان) يعينه الملك ، و(مجلس نيابي) ينتخبه الشعب لمدة خمس سنوات على ان يجدد خمس الاعضاء سنويا واشترط الدستور على الا يقل سن المرشح عن اربعين سنة وان يدفع الف فرنك على الاقل كضرائب . أما الناخب فقط اشترط الا يقل سنه عن ثلاثين سنة وان يدفع ما لايقل عن ثلاثمائة فرنك كضرائب .

ولا شك ان هذه الشروط تجعل الدستور غير ديموقراطي لانها تحصر الانتخابات في فئة معينة ذات قدر معين من الثراء .

ولقد قسمت فرنسا ازاء الوضع الجديد الى ثلاثة احزاب :

١ .الملكيون المتطرفون : ويضم هذا الحزب الاشراف المهاجرين الذين عادوا الى فرنسا . وكانوا يريدون العودة الى النظام القديم بكل امتيازاته كأن الثورة لم تقم على الاطلاق .

٢ .الاحرار انصار مبدأ الارادة العامة ، وهؤلاء كانوا يعتبرون ان دستور ١٨١٤ قاصر عن تحقيق ديمقراطية تامة وحقيقية ويطالبون بمزيد من الاجراءات التحريرية .

٣ .الملكيون الدستوريون : وهؤلاء قبلوا الدستور كما هو .

الارهاب الأبيض (١٨١٥-١٨١٦) :

كان في نية لويس الثامن عشر حكم فرنسا حكما دستوريا معتدلا وكان يرغب في التصافي والتآلف بين الاحزاب فلم يكن في الواقع يريد الرجعية التامة .

ولكنه كان ضعيفا امام تيارات الرجعية من اسرته ومن الاشراف فقد الغى المتطرفون العلم المثلث واعدموا المارشال ناي ، وكمموا الصحافة وارهبوها وقد كان هؤلاء ظفروا باغلبية في مجلس النواب .

الاجراءات الرجعية من(١٨٢٤-١٨٣٠):

قام بحكم فرنسا بعد لويس الثامن عشر (شارل العاشر) الذي استمر حكمه من١٨٢٤حتى١٨٣٠م، الذي مضى قدما في الانقضاض على مكاسب الشعب .

ففي عهده قررت الوزارة تعويض الاشراف المهاجرين عن أراضيهم التي فقدوها اثناء الثورة وهذا اضطرها الى تخفيض فوائد الديون .

وأصدر الملك شارل العاشر امرا بحل الحرس الاهلي ، كما أمر الملك باغلاق بعض المدارس العليا وطرد بقية الضباط الذين خدموا على عهد نابليون من الجيش واصدر قانونا باعدام كل من يدنس الأدوات الكنسية التي تستخدم في الطقوس الدينية وزادت الوزارة في عدد الاساقفة ووضعت الجامعة تحت رقابة الكنيسة ، وأدت هذه التصرفات الى كراهية قطاع كبير من الشعب له واجمعوا على التخلص منه ثم اوغل في خطته فحل مجلس النواب وشكل غيره فأتى الى مجلس

نواب جديد يكرهون سياسته ، ثم اسند الوزارة الى رجل معتدل هـو (مارتينياك)في سنة١٨٢٨ . فسلكت هذه الوزارة مسلكا معتدلا وتظاهر الملك باحترام رأي الأمة ولكنه عزلها وأتى بوزارة (بولينياك) في ابريل سنة١٨٣٠وهي وزارة رجعية قامت على اثرها الثورة .

ثورة عام ١٨٣٠في فرنسا :

تسببت هذه الاجراءات الرجعية في اشتداد المعارضة (لشارل العاشر) وخاصة من الجمهوريين وعزموا على الاطاحة به واستطاعوا السيطرة على بعض المنشآت في باريس واقامة المتاريس في شوارعها واندلعت نيران الثورة وحمل الثوار علم الثورة المثلث الألوان وكانت القوات العسكرية غير متحمسة لتأييد اسرة البربون وحاول الملك استرضاء الثوار بعزل (بولينياك) وسحب قراراته السابقة واعادة الميثاق . ولكن عرضه هذا جاء متأخرا واشتدت الثورة الى ان أطاحت به وغادر البلاد الى انجلترا .

ولهذه الثورة أهمية كبرى من ناحية انها اكدت ان الشعب الفرنسي هو مصدر السلطات فاذا نقض الملك الدستور جاز للأمة عزله ، ونقلت الهيمنة من الاشراف الى الطبقة الوسطى ، ولا تعتبر الثورة خرقا للتسوية الاوربية فلم تعدل حدود فرنسا ، ولم تؤد الى ظهور زعيم مثل نابليون ، وكان لها اثر بعيد في اوربا فقامت على اثرها ثورات مماثلة ، وكانت هذه الثورة من صنع مدينة واحدة هي باريس .

واذا كان الجمهوريون الذين اثاروا هذه الثورة عازمين على القضاء على الملكية واقامة جمهورية فأن النواب من الطبقة الوسطى ويتزعمهم سياسي سيلعب دورا هاما في التاريخ الفرنسي هو (تيير) قرروا انتهاز الفرصة لاقامة ملكية دستورية وأخذوا يدعون لتولي لويس فليب (من فرع اورليانز) ملكا على فرنسا ، وبذلك جنى الملكيون الدستوريون (المعتدلون) ثمار الثورة التي أثارها الجمهوريين وذلك لأنه بينما قدم الملكيون المعتدلون (لويس فليب) كمرشح للعرش فان الجمهوريون عجزوا عن تقديم مرشح لرئاسة الجمهورية ، كما ان الفرنسيين كانوا يعتقدون ان الدول الاوربية لن ترضى عن اقامة جمهورية ثانية في فرنسا خشية تهديدا من اوربا مثلما فعلت الجمهورية الأولى .

حكم لويس فيليب(١٨٣٠-١٨٤٨) :

تولى بعد (شارل العاشر) ويسمى بملك الطبقة المتوسطة وذلك لانه يدين بعرشه للمعونة التي قدمها افراد هذه الطبقة ، (ولويس فيليب) هذا على الرغم من انه من فرع اسرة البوربون الا انه حارب تحت راية الثورة واشترك في الدفاع عنها وحمل العلم المثلث الألوان (علم الثورة) ثم هاجر من فرنسا الى سويسرا حيث اشتغل بالتدريس هناك ، ولقد تنازل هذا الملك عن كبرياء الملكية ورغب في ان يحكم فرنسا حكما دستوريا ، وكان يحابي الشعب ويبعث بأبنائه الى المدارس العامة بدل ان يتخذ لهم معلمون خصوصيين شأن جميع ملوك فرنسا .

غير ان طبقة الفلاحين والصناع حنقوا عليه وذلك لأنه كان يميـــل الى طبقة الأغنياء . ولقد حاول الفلاحون ان يغتالوه مـــرارا عديـــدة في اواخر حكمه فدفعته اعمالهم هذه وخوفه من القتل ان يصـــدر عـــدة قوانين رجعية الأمر الذي جعل حكمه يزداد كرهـــا في نظـــر جميـــع الفرنسيين .

سياسة لويس فيليب الداخلية :

حاول ارضاء الشعب الفرنسي فنبذ فكرة الحق الالهي المقدس للملوك واستند في حكمه للطبقة الوسطى واقصى الحزب الكاثوليكي المتزمت وانصار الفرع الاكبر من اسرة البوربون واعاد العلم المثلـــث الألوان كما اعاد الحرس الوطني ولم يعترض على اعادة جثمان نابليون من جزيرة(سانت هيلانة) الى باريس وبعـــث النشـــاط في القطـــاع التجاري وعلى عهده بدأ تطور استخدام السكك الحديدية واقام نظاما عاما للتعليم الشعبي تنفق عليه الحكومة وباعد بين رجال الدين وبـــين الاشراف على التعليم وهذا ما آثار عليه رجال الدين الكاثوليك .

سياسته الخارجية :

كانت سياسة (لويس فيليب) الخارجية تقوم في جوهرها على رغبته في الاحتفاظ بالسلم في اوربا وتجنـــب الدخـــول في مغـــامرات خارجية براقة ولو كان في هذه المسألة جرح كبرياء الشعب الفرنســـي وأدت هذه السياسة الى التساهل مع الدول الاجنبية بوجه عام والسير

في ركاب السياسة الانجليزية بوجه خاص وتقوم هذه السياسة في مجملها على مايلي :

١ .وقفت الحكومة الفرنسية من الازمة المصرية التركية ١٨٣٩ – ١٨٤٠ موقف التذبذب والتناقض فاشتركت اولا في مذكرة الدول الكبرى الى السلطان باعتبار ان النزاع غير داخلي ، ثم عادت وشجعت محمد علي لكي يتفق مع السلطان وأخطأت في ذلك لانها مكنت انجلترا من عزلها سياسيا وعندما اشتركت الدول في اخضاع محمد علي حربيا في سبتمبر سنة ١٨٤٠ سقطت وزارة (تيير) واعقبتها وزارة (جيزو) الذي كان يتفق مع الملك في نزعاته ووافق على حل النزاع المصري طبقا لمعاهدة لندن في يوليو ١٨٤٠.

٢ .ارادت فرنسا عقد اتحاد تجاري مع سويسرا وبلجيكا لزيادة حجم التبادل التجاري وتدخلت انجلترا وارغمت بلجيكا على الانسحاب واذعن (لويس فيليب) لهذا التدخل الذي أغضب الرأي العام .

٣ .ضغطت انجلترا على فرنسا لتقبل قيام الاسطول البريطاني بتفتيش السفن الفرنسية لمنع تجارة الرقيب وكاد لويس فيليب ان يقبل هذا لولا هياج الرأي العام ١٨٤٢.

وصفوة القول ان سياسة لويس فيليب تقوم في جوهرها على الاحتفاظ بالسلم في الخارج ولو كان على حساب المصالح الفرنسية ، وفي الداخل تجنب كل تغيير او اصلاح فكان طابعه الجمود ، وأخيرا

في شهر فبراير سنة١٨٤٨ثار رعاع باريس وهم يحملـــون الســـلاح ينادون بسقوط الملكية ويطالبون باعلان الجمهورية فلم يكن من الملك الا ان هرب الى انجلترا متنكرا تحت اسم (مستر سمث) ولقد كـــانت هذه الثورة ايضا كثورة١٨٣٠مؤذنا بقيام عدة ثورات في جميع انحـــاء القارة .

الجمهورية الثانية وثورة١٨٤٨:

دعى الى ثورة فبراير سنة١٨٤٨الملكيون الدســتوريين مـــن أجل الاصلاح النيابي . ولكنهم لم ينجحوا ونجح الجمهوريين في اقامـــة الجمهورية الثانية .

وعند قيام ثورة١٨٤٨كان (لويس نابليون) ابن أخ نابليون الأكبر موجودا في باريس وقد رشح نفسه لرئاسة الجمهورية ووعد بأن يقوم باصلاحات كبيرة لصالح الطبقة الثالثة من الشعب فانتخبوه رئيسا للجمهورية الجديدة ، غير انه لم يكن جمهوريا مخلصا بل كان يرمي الى اعادة امبراطورية عمه ، ولقد سعى جهده في أول توليته في أن يجمـــع لنفسه انصارا واشياعا ووضع كل من ينتمون الى نابليون في المراكــــز الهامة في الحكومة والجيش ليساعدوه على تحقيق مطامعه .

قلب الحكومة في ديسمبر سنة١٨٥١:

بدأ الشعب يتحقق من ان الرجـــل الـــذي وضعـــوه لرياســـة جمهوريتهم الثانية كان يهدف الى ان يجعل نفسه امبراطوريا وكان يقوم

برحلات في المدن والقـــرى ليثـــير في النـــاس الذكـــرى والحمـــاس لامبراطورية نابليون الأولى ويلمح لهم بالرغبة في اعادتهـــا ، ولكـــن البرلمان لم يوافق على خطته ، فدبر هو مؤامرة عظيمة لقلب الجمهورية وذلك بأن قبض فجأة وفي الليل على كل الزعماء الجمهوريين وقمـــع كل حركة للمقاومة بالقوة وحمل انصاره في البرلمان على ان ينادوا بـــه رئيسا للجمهورية مدة عشر سنوات فتم له ما أراد ، وبعد مضي سنة على هذه الحادثة استفتى (لويس نابليون) الشعب الفرنسي فيمـــا اذا كان يرغب في ان يحمل لقب الامبراطور ام لا وكانت النتيجة المدهشة ان ما يقرب من ثمانية ملايين نسمة وافقوا على منحه ذلك اللقب بينما كان المخالفون يبلغون نصف مليون فقط وعلى ذلك تـــوج (لويـــس نابليون) نفسه امبراطورا على فرنسا واطلق على نفسه لقب نابليون الثالث امبراطور الفرنسيين (أما ابن نابليون الاول الملقب بملك روما والذي كان يصح ان يسمي نابليون الثاني فقد مات في ريعان شـــبابه بالنمسا) .

ولقد كان (نابليون الثالث) رجلا على جانب عظيـــم مـــن الحكمة والدهاء وعلى الرغم من انه كان ملكا مستبدا الا ان فرنســـا نالت على عهده قسطا كبيرا من الاصلاح فقد أنشأ كثيرا من السكك الحديدية وجعل مدينة باريس عاصمة جميلة فوسع شـــوارعها الضيقـــة واكثر فيها من المباني الفخمة حتى اصبحت من اجمل عواصم العـــالم ، غير انه في النصف الثاني من حكمه ارتكب عدة اخطاء سياســـية ادت

الى وقوع الكارثة العظيمة التي حلت بفرنسا من جراء الحرب الفرنسية البروسية .

الحرب الفرنسية البروسية سنة ١٨٧٠:

تقع مسئولية هذه الحرب على فرنسا اكثر مما تقع على بروسيا وذلك لأن سياسة نابليون الثالث الخارجية كانت سياسة خاطئة وقصيرة النظر ، فقد تفوق عليه (بسمارك) الوزير البروسي وكان أعظم منه دهاء وسياسة . وتتلخص اسباب تلك الحرب في :

ان نابليون الثالث بدأ يرقب بقلق تكوين الوحدة الالمانية تحت زعامة بروسيا ، وتوقع ان هناك امبراطورية قوية تتكون الى الشرق من فرنسا ستكون مصدر خطر عظيم لها فطلب من بروسيا ان تتنازل له عن بعض الاقاليم الواقعة على نهر الراين في نظير المكاسب التي حصلت عليها المانيا ، ولكن بسمارك كان يعرف ان الجيش الفرنسي في ذلك الوقت لم يكن على اهبة الاستعداد للحرب فرفض طلب فرنسا وعلى اثر ذلك ازداد حنق الشعب الفرنسي وغيرته من بروسيا وأصبح الجو مؤذنا بقيام حرب بينهما

اسباب الحرب الفرنسية البروسية :

ابان توتر العلاقة بين البلدين ظهرت في الجو السياسي بادرة ربما كانت السبب المباشر للحرب ، وذلك ان العرش الاسباني خلى بطرد الملكة ايزابلا من اسبانيا سنة١٨٦٨وعرض الاسبانيون عرش

بلادهم على امير اسمه (ليوبولد) من عائلة (هوهنزلون) وهي العائلة المالكة في بروسيا التي كان رئيسها في ذلك الوقت (وليام الأول) ملك بروسيا فلم يرتح الفرنسيون لهذا الأمر واحتجت الجرائد في باريس قائلة ان معنى ذلك هو وقوع اسبانيا تحت نفوذ بروسيا وكانت النتيجة ان الحكومة الفرنسية طلبت من بروسيا ان تمتنع عن ترشيح هذا الامبرطور فوافق ملك بروسيا على رغبات فرنسا ولكن نابليون الثالث لم يكتف بذلك بل طلب من سفيره في برلين ان تعلن بروسيا بالا تسمح في المستقبل بترشيح أحد من عائلة (هوهنزلون) لعرش اسبانيا غير انه لم يكن من المنتظر ان توافق بروسيا على تحكم من جانب فرنسا في امر سياستها المستقبلة فرفض ملك بروسيا الموافقة على هذا الطلب الثاني واعتبر هذا الرفض الحزب الراغب في الحرب في فرنسا بمثابة اعلان الحرب ووجد (بسمارك) ان الجو اصبح صالحا لتنفيذ رغباته وآماله في تكوين الوحدة الالمانية خصوصا ان الجيش البروسي كان في ذلك الوقت على اتم استعداد للحرب .

ولتنفيذ سياسته عمد بسمارك الى نشر خلاصة للمفاوضات التي جرت بين سفير فرنسا والملك (وليم) اظهر فيها بشئ من المهارة والدهاء لنابليون الثالث ، فتم لبسمارك ما اراد بهذا النشر الذي حمس انصار الحرب في كل من فرنسا وبروسيا وتسرعت فرنسا فأعلنت الحرب على بروسيا وقرر وزير الحربية فيها على غير هدى في البرلمان ان الجيش الفرنسي على اتم الاستعداد للحرب .

بدء الحرب سنة ١٨٧٠:

ظن نابليون الثالث ان العداوة التي تضمرها الولايات الجنوبية الالمانية لبروسيا ستعجل هذه الولايات تنضم اليه عند أول انتصار يحرزه نابليون ضد بروسيا ، غير ان ذلك الانتصار الأول لم يتم بتاتا فانه لم تكد تعلن الحرب حتى اقتحمتها بكل حماس كل ولايات المانيا شمالية وجنوبية باعتبارها امة واحدة اعتدى على كرامتها الفرنسيون أضف الى ذلك أن الجيش الفرنسي لم يكن كامل العدة ولا حسن القيادة بينما كان الالمان تحت قيادة (الفيلد مارشال مولتكي) في غاية الاستعداد وكان (مولتكي) هذا من أكبر القواد الذين عرفهم التاريخ والذين اشتهروا بمكائدهم الحربية ، فقد عبر بجيشه بغاية السرعة نهر الراين وماهي الا ايام قليلة حتى كان يسوق امامه الجنود الفرنسيين ويتوغل في ارض فرنسا ويعد عدة معارك دموية قاوم الجنود الفرنسيون عند مدينة (متز) ولكنهم هزموا واستطاع الالمان أن يحصروا جيشا عدده ١٤٠ الف مقاتل تحت قيادة المارشال (بازين) ثم زحفوا الى الغرب وتمكنوا ايضا من هزيمة جيش فرنسي ثان يبلغ عدده ١٠٠ الف مقاتل عند مدينة سيدان في اول سبتمبر سنة ١٨٧٠ ولقد وقع الامبراطور نابليون الثالث نفسه مع بقية جيشه اسيرا في قبضة الألمان .

الجمهورية الثالثة وسقوط باريس:

بعد نكبة سيدان خلع الشعب في باريس الامبراطور نابليون الثالث واعلنوا الجمهورية الثالثة . ولما ابتدأت مفاوضات الصلح بين الحكومة الجديدة والالمان طلب ان تضم اليهم مقاطعة (الالزاس) ولكن الفرنسيون رفضوا واصروا على مواصلة الحرب للنهاية واعلنوا انهم لن يفرطوا في شبرواحد من ارض فرنسا ، وبعد حصار شديد ضربه الالمان حول باريس وقاوم فيه الفرنسيون مقاومة الأبطال المستميتين سقطت المدينة في يناير ١٨٧١ بعد دفاع مجيد استمر اربعة أشهر ، واعلنت الهدنة بين الطرفين .

والحق يقال ان الحماس الوطني في فرنسا كان بالغا اشده ، لدرجة ان الجماهير كانت تتطوع للانضمام للجيش وكان الروح المحركة لهذا الدفاع الوطني هو (غبتا) الذي هرب من باريس في بالون وبدأ ينظم من الخارج حركة الدفاع عن باريس ولقد كان من الممكن ان ينجح في ذلك لو لم يكن المارشال (بازين) قد خان فرنسا بتراخيه في الدفاع عن (متز) وبتسليمه جيشه البالغ عدده ١٧٠ الف مقاتل دون مقاومة كبيرة الأمر الذي اخلى السبيل لمائتي الف من جنود الالمان لكي يقاوموا خطط (غبتا) في دفاعه الوطني .

نهاية الحرب :

بعد سقوط باريس بثلاثة أشهر انتهت الحرب وامضت فرنسا شروط الصلح التي بمقتضاها تنازلت عن اقليم (الالزاس) وجزء من اقليم (اللورين) لالمانيا واضطرت ان تدفع غرامة حربية قدرها مائتي مليون جنيه ووافقت فرنسا على ان تبقى الجنود الالمانية محتلة لفرنسا حتى تدفع هذه الغرامة .

ويجب ان نذكر ان المانيا ارتكبت خطأ بتغاليها في المطالب وبتشددها مع فرنسا الأمر الذي جعل فرنسا بعد ان دارت الدائرة على المانيا في الحرب الاوربية الاخيرة ١٩١٤-١٩١٨ تقابلها بالمثل وتخرج احقادها المستقرة الى حيز العمل .

المسألة الهولندية البلجيكية(ضم بلجيكا الى هولندا):

كان ضم بلجيكا الى هولندا من المسائل التي اقرها (مؤتمر فينا) سنة ١٨١٥، وكان الغرض من هذا الضم ان تتكون من المملكتين مملكة واحدة قوية تقف بمثابة حاجز بين فرنسا ودول وسط اوربا وعلى الرغم من ان بلجيكا كانت تابعة للنمسا قبل حروب نابليون الا ان النمسا رفضت أن تستعيد هذا الاقليم حتى لا تكون عرضة لهجمات فرنسا المباشرة ولقد قال (مترنيخ) في مذكراته عن هذه المسألة :(اننا لم نرد ان نجعل مملكتنا على احتكاك مباشر مع فرنسا اذ يمكننا ان نتحاشى كثيرا من الحروب التي تنشأ دائما عن وجود مملكتين متجاورتي الحدود .

وعلى ذلك اقترح (كالسلريه) ممثل انجلترا في مؤتمر فينـــا ان تضم بلجيكا الى هولندا لكي يحفظ التوازن الدولي في اوربا وان تكون البلدان تحت حكم ملك من بيت (اورانج) غير ان هذا الضم لم يعمر طويلا نظرا لأن البلجيكين كان معظمهم يدين بالمذهب الكـــاثوليكي ويتكلم اللغة الفرنسية بينما كان الهولنديين من عنصر يختلف عن عنصر البلجيكين ويتكلمون لغة اشبه بالالمانية ويدينون بمذهب البروتستانت .

ثورة بلجيكا (سنة ١٨٣٠) :

تجمعت عدة أسباب ادت الى ثورة ١٨٣٠ يرجع معظمهـــا الى السياسة السيئة التي اتبعتها هولندا في معاملة بلجيكا وتنحصر اسباب الثورة فيما يلي :

ان هولندا وعدد سكانها مليونان كان يمثلهما في البرلمان عدد من النواب يساوي عدد نواب بلجيكا التي يبلغ عدد سكانها اربعة ملايين وان اللغة الهولندية جعلت لغة البلاد الرسمية في كل من المملكتين ، كما انه على الرغم من ان الصحافة كانت حـــرة بنـــص الدســـتور الا ان الجرائد البلجيكية كانت توقع عليها عقوبات شديدة اذا حاولت نقـــد سياسة الحكومة ، كذلك فان ديون المملكتين قسمت بالتساوي عليهما بينما كان الدين الأهلي في هولندا عظيما جدا بالنسبة لدين بلجيكا ، وأن معظم الوظائف الكبيرة اسندت الى الهولنديين وكانت لهم اغلبيـــة المناصب في الوزارة . وجعلت (لاهاي) عاصمة هولندا مقرا لحكـــم البلدين ايضا فالضرائب التي فرضتها الحكومة المتحدة كانت متعـــددة

وتشمل اهم ضروريات الحياة ، وقد سمح لمفتشين مـن البروتسـتانت بتفتيش مدارس البلجيكين الكاثوليك الأمر الذي افسح المجـال امـام البروتستانت لاضطهاد الكاثوليك ، وأخيرا فان الدستور الذي منحـه الملك كان يقصر حق الانتخاب على طبقة الاغنياء وكان يجعل الوزراء مسئولين امام الملك لا امام البرلمان .

ولقد تجمعت كل هذه العوامل فوحدت الرأي العام في بلجيكا ومهدت السبيل لاتحاد احزابها السياسية من كاثوليك واحرار لمقاومة الخطر العام . ولقد ظل البلجيكيون رغم هذا مخلصين للاتحاد لما كـان يصيبهم من المصالح الاقتصادية التي نجمت من اتحاد المملكتين ، وعلى الرغم من ان برنامجهم السياسي لم يكن يرمي الى قصم عرى الاتحـاد وانما يرى فقط الى انشاء ادارة خاصة بهم الا ان محاولتهم هذه لم تأت بثمار الا ان الملك كان عنيدا فلم يصغ الى الصيحات التي ارتفعت من جانب البلجيك بطلب الاصلاح .

وفي اثناء تلك الظروف قامت ثورة يوليـو ١٨٣٠ في فرنسـا وتطايرت شررها الى بلجيكا ووجدت ارضـا صالحـة في بروكسـل عاصمتها فنشبت فيها الثورة وتبعتها في الحال بقية المقاطعات الاخرى. وقد طلب الثوار في مبدأ الأمر ان يمنحوا ادارة خاصة مع بقاء بلجيكا خاضعة لبيت (اورانج) غير ان وليم لم يستمع ايضا لهذا النداء وبعث بجيش لاخضاع الثوار فتألفت في الحال لجنتي للدفاع الوطني في بلجيكا وتمكن البلجيكيون من هزيمة جنود هولندا وعند ذلك فقط وافق الملك

على منح بلجيكا حكومة داخلية غير ان الثوار رفضوا قبـــول هــذا واعتبروا بلجيكا مملكة مستقلة استقلالا تاما عن هولندا ، ثـــم عقــد البلجيك مؤتمرا وطنيا وضع للحكومة الجديدة دستورا خاصا نص فيه على استقلال البلاد وعلى ان تكون حكومتها ملكية دستورية الشعب فيها مصدر السلطات والوزارة مسئولة امام البرلمان .

موقف الدول :

ظلت الدول على الحياد الى ان اعلن البلجيكيون اســـتقلالهم ولقد كان الوقت متأخرا جدا عندما طلب الملك وليم من الـــدول ان تتدخل بالمحافظة على الاتحاد الذي كان من صنع ايديهم فان مثل هــذا الطلب كان يمكن ان يجاب قبل عشر سنوات والواقع ان الدول كانت في سنة ١٨٣٠ في شغل بمشاكلها المتعددة ، فقد كان يمكن ان تســاعد الدول الرجعية كالنمسا وروسيا الملك(وليم) في المحافظة على مملكته الجديدة ولكن الثورة التي قامت في بولندا شلت ايديهم عن التدخل في الأمر . وشلت بشكل خاص يد النمسا بسبب الثورة التي قامت ايضا في ايطاليا . اما فرنسا فان انفصال بلجيكـــا عـــن هولنـــدا كـــان في مصلحتها وهي من أجل ذلك اعلنت انها تلجأ الى القوة اذا حدث تعد من الدول على استقلال بلجيكا ووافقتها على سياستها هذه انجلـــترا التي كانت فوق ذلك مشغولة بالانقلاب النيابي الذي حدث في بلادها ولم ترد بروسيا ان تقف وحيدة في امر قد يجرها الى حرب مع فرنســـا وانجلترا المتفقتين .

وأخيرا انعقد مؤتمر من الدول في لندن اعلن فيه انفصال بلجيكا عن هولندا وسويت فيه بعض المسائل المتعلقة بها غير ان وليم لم يرد ان يرضخ لقرارات المؤتمر ورأى ان يعد جيشا يغزو به ارض بلجيكا وكان يتم له الانتصار عليها لولا تدخل فرنسا التي رجحت كفة بلجيكا ولولا استيلاء الاسطولين الفرنسي والانجليزي على بعض شواطئ هولندا تهديدا لها ورأت الدول ان تسوي المسألة البلجيكية نهائيا حتى لا تكون مصدر قلاقل اوربا فاجبرت بلجيكا على قبول بعض مطالب هولندا وفي نظير ذلك اعترفت هولندا سنة ١٨٣٩ باستقلال بلجيكا وعلى اثر ذلك نشأت بين البلدين علاقات ودية وبهذه الطريقة اضيفت الى اوربا دولة جديدة مستقلة .

الفصل العاشر



المسألة الشرقية واستقلال اليونان :

على الرغم من ان النزاع ظل مستمرا بين الشـــرق الاســـلامي والغرب المسيحي مدة قرون عديدة الا ان المسألة الشرقية (كما اعتاد المؤرخون ان يسموا ذلك النزاع) كانت قاصرة في مبدأ الأمر علـــى اتقاء الاخطار التي داهمت اوربا بزحف الاتراك عليها ، ثم تغير وجـــه المسألة الشرقية عندما اخذت الدولة العثمانية في الضعف والانحـــلال فأصبحت المسألة الشرقية ليست مسألة بحث اتقاء خطر الاتراك وانمـــا هي مسألة نزاع في بقاء الاتراك في اوربا او طردهم منها .

وليست اسباب تدهور الاتراك كأسباب تدهور الدول الأخرى راجعة الى اخلاق الشعوب ونفسياتها ، انما اسباب التدهور راجعة الى فساد النظام وتأخر العلوم والفنون وبخاصة في الحرب عند الاتراك ، ثم ظهور روسيا ، وهذا السبب الأخير هو الذي سبب كل النزاع منـــذ بداية القرن الثامن عشر ، وكانت نتائج هذا الانحـــلال ان ، بـــدأت الولايات العثمانية تنسلخ الواحدة بعد الأخرى من حكم آل عثمـــان اما عن طريق الحرب او الرغبة في الحرب والاستقلال او لأن الـــولاة استضعفوا السلاطين واستأثروا بالحكم .

وكانت أول الولايات التي تمكنت من رفع النير العثماني هي ولاية الصرب التي ثارت ضد الاتراك سنوات عديدة تمكنت في النهاية من الحصول على استقلال فعلي بعد مؤتمر فينا ســـنة١٨١٧ثم تلتهـــا

اليونان فحصلت على استقلالها سنة١٨٢٢وظل بـــاب الانســلاخ مفتوحا حتى بداية القرن العشرين .

موقف الدول الاوربية حيال المسألة الشرقية :

طغى الفتح العثماني على بلاد النمسا فاكتسح جزءا كبيرا من املاكها ، ومن اجل ذلك ظلت النمسا عدوا لدودا لتركيا اما الروسيا فكانت لها سياسة متوارثة منذ أيام (بطرس الأكبر وكاترينا) ترمي الى القضاء على الامبراطورية العثمانية وكان الغرض من هذه السياسة هو الاستيلاء على القسطنطينية وفتح طريق لروسيا الى البحـــر الابيــض المتوسط ، وكانت النمسا تنظر نظرة عداء الى سياسة روســيا هــذه وتعتبرها منافسا خطيرا امام انجلترا فكانت تنظـــر الى المســألة عــين الحريص على مصالحه فهي كانت تعتبر ان بقاء الاتراك في اوربا يكون بمثابة سد حائل امام الروسيا التي اذا خرجـــت الى البحـــر الابيــض المتوسط هددت مركز انجلترا فيه وطريقها الى الهند وكانت غرضهـــا الأكبر المحافظة على مصالحها في البحر الابيض المتوسط .

حالة اليونان :

يعتبر استقلال اليونان من اهم الادوار التي مرت بهـــا المســألة الشرقية ولقد ساعد اليونان في الحصول على استقلالها امران هما :

أولهما : ان الاتراك كانوا يحسنون معاملة اليونانيين ويتركون لهم الحرية الكاملة في اقامة شعائرهم الدينية وغير ذلك من الأمور التي مكنت اليونان من تكوين وحدة قومية في ظل غفلة الحكم التركي .

والأمر الثاني : فهو ان الاتراك لم يكترثوا لما كان يقوم به اليونانيون من تسليح مراكبهم التجارية تحت ستار المحافظة على متاجرهم من خطر القرصنة التي كانت شائعة في ذلك الوقت وتسليح العصابات تحت ستار حماية الطرق . والواقع ان اليونان كان حالهم احسن بكثير من حالة كثير من الشعوب الاوربية المستقلة . فلقد كان الفلاح اليوناني اسعد حالا من الفلاح التركي ومن الفلاح الاوربي في المملكة المستقلة ولقد بلغت الحالة التجارية شأنا كبيرا فكانت مراكبهم التجارية هي التي تقوم بنقل البضائع التركية الى دول اوربا وكانت اكبر الوظائف في الحكومة كوظيفة قائد الاسطول وسكرتير الباب العالي ووظيفة حاكمي الافلاق والبغدان ان تسند اليهم وكان مذهب الكنيسة اليونانية (الارثوذكس) هو المذهب السائد بين جميع الطوائف في تركيا . كما ان (بطريرك القسطنطينية) ، كانت له سلطة سياسية فوق سلطته الدينية . كل هذه الاسباب كانت تكفي لأن يرضي اليونانيين بحالهم التي كان يغبطهم عليها كثير من الشعوب ولكن يقظة الروح القومية في اوربا في القرن التاسع عشر والروح الوطنية التي شاعت في بلاد اليونان وانهم من سلالة ذلك الشعب القديم الذي علم اوربا في القرون الماضية هي التي جرأت اليونان على الثورة في وجه

العثمانيين يضاف الى ذلك احياء الآداب اليونانية القديمة التي قام بهـــا المصلح الكبير (كوريس) .

بدء الثورة في الجنوب :

تآمر اليونانيون سرا على قلـــب الدولـــة العثمانيـــة ، وكونـــوا جمعيـــة (الهيتريا) السرية (أي جمعية الاخـــوان) وجعلـــوا اهـــم اغراضها ان يطردوا الترك من اوربا ، وأن يعيدوا الدولـــة البيزنطيـــة القديمة ويتخذوا الاستانة مقرا لها فـــأخذوا يبثـــون روح الوطنيـــة في النفوس وسرعان ما انضم اليهم كل ذي مقام وحيثية من اليونانيين في السلطة العثمانية وكان زعيم هذه الحركة (ابسلنتي) الذي اغتنم فرصة قيام الحرب بين السلطان وعلي باشا والي (يانينا) فأشعل الثـــورة في ولايات ملدافيا ولشيا وكان يعتمد كثيرا على مساعدة الروس ولكن (مترنيخ) استطاع بسياسته ان يمنع الامبراطور اسكندر عن مســـاعدة الثوار فاقمعت الحركة بسهولة واضطر (ابســـلنتي) ان يهـــرب الى النمسا . غير ان شيئا من ذلك لم يفت في عضد اليونانيين بل هـــدأت ثورتهم قليلا لتشتد في المستقبل فضاعفوا جهودهم وفي الوقت نفســـه قللوا مطالبهم فجعلوا استقلال اليونان فقط هو الغرض من ثورتهم .

هبـــت الثـــورة مـــرة اخـــرى في شـــبه جزيـــرة(المـــورة) سنة ١٨٢١ وشجع الثوار على المضي في ثورتهم قسس الكنيسة الذين نفخوا روح التمرد في نفوس تلاميذ المدارس وطاف الزعماء والخطباء في البلاد يوقعون نشيد الحرية على اوتار قلوب الشـــعوب واعلنـــت

الكنيسة اليونانية حربا عوانا على الاتراك الكفرة كما كانوا يطلقون عليهم فانتشرت الحركة في جميع انحاء اليونان فقام اليونانيون يذبحون آلاف المسلمين من رجال ونساء واطفال ، وقابل الاتراك فظائعهم هذه بمثلها فذبحوا كثيرا من النصارى ، وفي يناير سنة١٨٢٢اجتمع مجلس الشعب فاعلن استقلال البلاد .

وعلى الرغم من عداء النمسا لتركيا الا ان ثورة اليونان كانت تتنافى مع عقيدة (مترنيخ) مع ضرورة خضوع الشعوب لحكامهم مهما استبدوا ولكن الدول الاوربية الاخرى كانت تعطف على حركة اليونان وتشجعها على السعي في الحصول على استقلالها وكانت تبعث اليها بالجنود والذخائر سرا وعلنا ولقد كان من المستحيل على اليونانيين ان يظفروا باستقلالهم من الاتراك لو لم تتدخل هذه الدول الاوربية .

موقف تركيا من الثورة :

كان السلطان يظن ان اليونانيين وقد قضى على مآربهم في المرة الأولى لن تقوم لهم قائمة .

فذعر عند اعلان الثورة وزاد في ذعره انه لم يكن لديه جيش مدرب فانه كان قد قضى على الانكشارية بالاستانة كما قضى محمد علي على المماليك في مصر وكان الجيش الجديد لايزال تحت التدريب ولقد ارسل السلطان ثلاثة جيوش لاخماد الثورة ولكنها هلكت جميعا وسط نيرانها وفطن السلطان الى ان اخماد الثورة ليس في وسع جنوده

غير المدربين فطلب النجدة من محمد علي والي مصر ولكن استنجاد الخليفة لم يكن كليا بل كان قاصرا على اخماد ثورة كريت بعد ان ولي محمد علي على ادارتها ثم حدث بعد ذلك ان السلطان ارسل مائة الف مقاتل لاخضاع شبه جزيرة (المورة) وقد اندهش عندما رأى ذلك الجيش وقد التهمته نيران الثورة مرة أخرى فلم تبق منه باقية . هنالك طلب السلطان الى محمد علي النجدة الكلية فلبى محمد علي الطلب واشترط ان يولى امر البلاد التي يخضعها وكان السلطان يحنق على محمد علي ويريد ان تكون حرب اليونان سببا في ضعفه واضعافه وكان لمحمد علي مآرب أخرى ابعد غورا من مآرب السلطان وهي جلوسه على عرش بني عثمان .

الحملة المصرية :

اعد (محمد علي) جيشا مؤلفا من عشرين الف عسكري مصري مدججين بالاسلحة الحديثة ومدربين على اساليب الحرب الاوربية وابحر هذا الجيش ومعه معدات بحرية هائلة مكونة من ثلاثة وسبعين مركب حربيا وسبعين سفينة شراعية من ثغر الاسكندرية يوم ١٠ يوليو سنة ١٨٢٤ وهي تتيه عجبا وتطرب نفوس راكبيها افتخارا فلقد كانت ثالث عمارة حربية في ذلك الوقت بعد عمارتي انجلترا وفرنسا وكان من حق الدولة ان تندهش لقدرة مصر وهي لاتزال فتية وانجلترا وفرنسا لم تكونا عمارتيهما الا في قرون كثيرة لذلك اشرأبت أعناق العالم اجمع اليها وأخذ التاريخ ينظر الى اسطول مصر وهو لم ينظر

لها اسطولا بعد ان كان أول اسطول شهده العالم هو اسطول مصر القديمة . ووصل الاسطول الى جزيرة (رودس) حيث انضم الى الاسطول العثماني وشجعه على الخروج والمخاطرة ثم اقتحم الاسطول المصري الارخبيل رغم تعقب السفن اليونانية والقائها النار عليها وأخيرا وصل الاسطول الى (كريت) وأفلت منها الى ثغر(مودرن) على شاطئ الموره وما هي الا مدة قصيرة حتى كانت سواحل شبه جزيرة المورة في قبضة(ابراهيم باشا) قائد الحملة العام (ومحرم بك) قائد الاسطول وفي هذه الأثناء كان الجيش التركي يحاصر مدينة (ميسلونجي) ولا يستطيع الاستيلاء عليها ، فأسرع الى معونته ابراهيم باشا وارسل اليه عشرة آلاف جندي بين راكب ومترجل وتولى القيادة العامة وشدد في الحصار حتى هلك الناس جوعا واشغلوا النار في مدينتهم فنسفوها ونسفوا معها واستولى الجيشان بعد ذلك على انقاض واطلال ورجع ابراهيم باشا الى المورة فاجتاحها واستولى عليها ونهبها وسبى نساءها واطفالها وارسلهم الى مصر حيث بيعوا لباشوات الاتراك .

ولم يكن فعل ابراهيم باشا هذا الا ردا على قتل اليونانيين للمسلمين وذبحهم الابرياء من الاتراك وكان اليونانيون يلقون باعناقهم في الاغلال بعد سقوط حصني (ميسلونجي واثينا) فلقد خبا بسقوطهما آخر بريق في سماء آمالهم ولكن بينما كان اليأس منتشرا

اذا ببريق لامع من الأمل يبدد حلكة تلك السماء المظلمة ولم يكن ذلك البريق سوى خروج دول اوربا من حيدتها .

موقف الدول الأوربية :

راع اوربا ان ترى (محمد علي) ينتصر ذلك الانتصار البـــاهر وان ترى مصر الفتية تجلس تحت ذلك المكان من الشمس فخرجوا من حيدتهم في حرب اليونان وكان في مقدمتهم انجلترا التي كانت تنظـــر شزرا الى حركات الحملة المصرية وانتصارات ابراهيم باشا فاتفقت مع فرنسا وروسيا على ان يضعوا حدا لهذه المسألة ، فأرسلوا اســـاطيلهم الى مياه (نافارين) على الساحل الغربي من شبه جزيـــرة (المـــورة) وفكروا في عقد هدنة ربما يتم صلح تأخذ به اليونان استقلالها الداخلي وتظل اسميا دون دفع جزية تحت نفوذ الأتراك واعطوا السلطان مهلـــة شهر ليقر على ما اشاروا به ، ولكن السلطان رفض (وقـــد تحســـن موقفه) ان يسمح للدول بـــالتدخل في الأمـــر ، وتوسمـــت الـــدول وخصوصا انجلترا ان روسيا تريد ان تنفرد بالأمر لذلك شددوا التهديد على السلطان وهددوا باستعمال القوة اذا لم يذهن لما يريدون .

معركة نافارين وتحطيم الاسطول المصري :

بينما كانت المفاوضات جارية بين الـــدول كـــان الاســـطول الانجليزي قد تلقى اوامر سرية بالتحرش بالاسطول المصري ، وكـــان عند أمير البحر الانجليزي (كودرنجتن) من قبـــل تعليمـــات تقضـــي

باستعمال القوة اذا لزم الأمر وقصد الاسطول الانجليزي بتحرشه بالأسطول المصري ان يحين فرصة يتخذها سندا لمحاربته والتخلص منه ، ومن قوته المفزعة وكان بدء ذلك ان قاربا انجليزيا اصطدم بحراقة مصرية فأمر القارب الحراقة بالابتعاد فرفضت الحراقة ان تبتعد وان تذعن لأمر قارب صغير وهي ضخمة كبيرة وكانت نتيجة ذلك ان من في القارب حاولوا الصعود الى الحراقة وكان أمرا طبيعيا ان تمنعهم القوات المصرية من الصعود الى الحراقة فاطلقت مدفعا فأصاب ذلك المدفع سفينة فرنسية فما كان منها الا ان اطلقت جميع مدافع احد جانبيها واذ ذاك دارت رحى تلك الحرب المشئومة وتبادلت السفن طلقات المدافع والبنادق وبعد قتال دام اربع ساعات حطم الاسطولين المصري والتركي على غرة ولم يكن هناك سابقة لاعلان الحرب فكان الأمر مؤامرة دنيئة .

موقف تركيا بعد نكبة نافارين :

بعد هذه النكبة اعلن السلطان الجهاد الديني ضد المسيحيين وبخاصة روسيا ، ولكن روسيا كانت مستعدة لمثل هذه الحروب من قبل فانتصرت على السلطان واضطرته الى منح الاستقلال الفعلي لولايتي (ولاشيا ومولدافيا) اللتين اصبحتا تحت نفوذ الروس وكونتا في المستقبل مملكة رومانيا ولم يكن في مقدور السلطان بعد ذلك ان يقاوم رغبات الحلفاء الذين اعلنوا استقلال اليونان استقلالا تاما ووضعوا هذا الاستقلال تحت حماية بريطانيا وروسيا وفرنسا الذين كان

لهم الفضل الاكبر في اتمامه . ولقد عرض عرش المملكة الجديدة على الامير (اوتو) ابن ملك بافاريا فقبله وكان استقلال اليونان هذا اعظم جرح اصاب الامبراطورية العثمانية ومهد السبيل فيما بعد لاستقلال ولايات البلقان الأخرى .

المسألة الشرقية ومحمد علي :

كانت حرب استقلال اليونان المظهر الأول من مظاهر المسألة الشرقية ، اما المظهر الثاني فكان بطله (محمد علي) الذي طالب الباب العالي بولاية الشام تعويضا له عما خسره من رجال وأموال في حرب اليونان . غير ان السلطان لم يجبه الى طلبه واذ ذاك عول (محمد علي) على ان ينال بالقوة مالم ينله بالسلم فأعد جيشا بقيادة ابنه ابراهيم باشا لغزو الشام يساعد ذلك الجيش اسطول كبير في البحر وكانت فرنسا تشجع (محمد علي) على خطته هذه لكي يشغل الدول بحروبه ولا تلتفت الى سياستها الاستعمارية التي بدأت تنفذها بارسال جيش لفتح الجزائر في شمال افريقيا .

وبدأ ابراهيم باشا بالزحف على بلاد الشام فهزم الجيوش التركية التي كانت تعترضه الواحد بعد الآخر حتى دانت له كل بلاد الشام ثم عبر جبال طوروس وانحدر بجيشه الى اسيا الصغرى حيث التقى بجيش عثماني كبير تحت قيادة رشيد باشا ودارت رحى القتال عند مدينة(قونية) انتهت بأن تشتت شمل الاتراك في ديسمبر ١٨٣٢ووقع قائدهم اسيرا في يد المصريين وصار الطريق الى (بروسيا فالأستانة)

مفتوحا امام المصريين وأصبحت جيوش مصـــــر تهـــدد دار الخلافـــة العظمى.

معاهدة كوتاهية :

لجأ السلطان الى الدول لتنقذه من طغيان محمد علـــي فلبـــى قيصر روسيا الدعوة بسرعة ولكن دولتي انجلترا وفرنسا لم توافقا على تدخل روسيا وهددتا بمساعدة المصريين واضطر السلطان محمود الثاني الى ان يوقع على معاهدة (كوتاهية) في سنة ١٨٣٣ وبمقتضاها تنازل (محمدعلي) عن سوريا وولى (ابراهيم باشا) ادارة (اطنة) فانجلت القوات الروسية عن تركيا عقب ذلك ولكن السلطان لم يعجبه موقف دول الغرب معه فعقد معاهدة (هونكار) مع قيصر روسيا ونـــص في هذه المعاهدة في فقرة سرية على ان تغلق (البوغاز) في وجه الـــدول ماعدا روسيا في نظير دفاع روسيا عن تركيا ، وكان معنى ذلك في نظر الدول ان تركيا تصبح تحت سيطرة روسيا وحمايتها فصعقت لخبر هذه الاتفاقية وعملت جميع الدول على تحطيمها ، ثم اعلنت انجلترا وفرنسا انهما يمنعان حدوث أي تغير من شـــأنه ان يؤثـــر في ســـلامة تركيـــا واستقلالها .

تجدد الحرب في الشام ووفاة السلطان :

في سنة ١٨٣٩ حاول السلطان ان يسترد سوريا ولكن جيشـــه هزم في معركة (نصيبين) على نهر الفرات ، وبعد أربعة أيام من هـــذه

المعركة مات السلطان (محمود) وترك الامبراطورية العثمانية لابنه (عبد الحميد) الذي كان شابا في السابعة عشرة من عمره ورأى محمد علي اذ ذاك ان الفرصة سانحة للقضاء على الدولة العثمانية التي اصبحت الآن في يد رجال السراي . ولقد تحرك الاسطول العثماني بقيادة امير البحر (احمد فوزي باشا) الى الاسكندرية حيث سلم نفسه لمحمد علي اذ ذاك لما كان بين رجال الحربية والسراي من بغضاء في ذلك الوقت . غير ان روسيا لم ترتح لأن ترى محمد علي القوي في القسطنطينية مكان السلطان الضعيف . وكذلك انجلترا اساءها ان ترى محمد علي في هذا المكان ولذلك اتفقت انجلترا وروسيا على رسم خطة تضمن مصالحها المشتركة في الشرق اما فرنسا فكان موقفها يختلف عن ذلك فكانت تنظر بحذر الى سياسة روسيا ، وهي من اجل ذلك عضدت محمد علي وساعدته وكانت ترغب في اعطائه حق الوراثة على معظم الولايات التي كان يحكمها بينما كانت انجلترا ترمي الى ارجاع محمد علي الى حدود مصر فقط .

معاهدة لندن ١٨٤٠:

واخيرا اجتمع ساسة اوربا في مؤتمر عقدوه في لندن لفض النزاع ووافقت كل من انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا على معاهدة ضمنوا بها سلامة الدولة العثمانية وارغام محمد علي على قبول وراثة مصر لاسرته وعكا طول حياته ، فغضبت فرنسا لهذا المشروع ورفض محمد علي ان يقبل هذه الشروط واستعد للدفاع عن سياسته بالقوة

وكانت نتيجة عناده ان هزمت الجنود الانجليزيـــة والنمســـاوية ابنـــه ابراهيم باشا في الشام بينما اخذ الاسطول الانجليزي يضـــرب مينـــاء بيروت وعكا ولما رأى محمد علي ان مقاومة الدول الاوربية من المحال وافق على شروط معاهدة لندن ١٨٤٠ وضمنت له ولورثته من بعـــده ولاية مصر على ان يأخذ السلطان ربع دخل الدولة كجزية سنوية .

الحرب بين روسيا وتركيا :

بعد معركة (نافارين) استمرت الحرب قائمة بـــين الســـلطان وروسيا ولم تكن هذه الحرب في صالح تركيا اذ كـــانت في مســيس الحاجة الى السلم والراحة ولقد كانت اكبر عقبات الاصلاح الحربي في تركيا جنود الانكشارية الجرميين فلما رأى السلطان محمود الثاني اثناء حرب اليونان الجنود المصريين المدربين على الانظمة الحديثة صمم على ان يتخلص من جنود الانكشارية الجرميين كما فعل محمد علي في مصر ، فأباد جيوشهم سنة١٨٢٦وبدأ يجند جيشا جديـــدا علـــى الطـــرق الحديثة، ولكن قيصر روسيا (نقولا) لم يعطه الوقت الكافي لاتمام مـــا أراد ، فزحفت الجنود الروسية على املاك الدولة العثمانيـــة وظلـــت تنتقل من انتصار لآخر حتى باتت على ابواب القسطنطينية وهنـــاك لم يرد القيصر ان يثير غيرة الدول الاخرى فعقد صلحا مع تركيا نـــالت بمقتضاه روسيا جزءا من الارض على الساحل الشرقي للبحر الاســـود ونالت عدة امتيازات غير ذلك جعلت نفوذها في هذا البحر كبيرا .

حرب القرم (١٨٥٢-١٨٥٦):

تعتبر هذه الحرب مظهرا هاما من مظاهر المسألة الشرقية ايضـــا ففي سنة١٨٥٢تجدد النزاع القديم الذي كان يتعلق برعاية الامـــاكن المقدسة ببيت المقدس وكان التنافس في هذه المسألة قائما بين روســـيا

التي كانت تدعي حماية الكاثوليك اليونانيين وفرنسا التي كانت تدعي حماية الكاثوليك الرومانيين وكان ضعف تركيا بلاشك هـــو الســـبب الرئيسي الذي كان يدفع هذه الدول الى التدخل في شـــئون تركيـــا ورعاياها الأمر الذي أدى الى هذه الحرب ، وقد بدأت الحـــرب بـــأن طلبت روسيا من السلطان أن يقر انها هي الحامية الوحيـــدة لجميـــع الرعايا الاتراك الذين يدينون بمذهب الكنيسة اليونانية فرفض السلطان طلبها هذا اعتمادا على معونة الدول الغربية ولم يكن من الروسيين الا ان حصلوا على غرة اسطولا تركيا كان راسيا في البحر الاسود لكـــي يفتحوا باب العداء على مصراعيه وفي الحال وقفت فرنسا وانجلـــترا في جانب السلطان وانضم اليهما (كافور) وزير مملكة (بيدمنت) الذي بعث بجيش لمساعدتهما في هذه الحرب طمعا في ان ينال فيمـــا بعـــد مساعدتهما في تكوين الوحدة الايطالية . وكان غرض نابليون الثالث هو ان ينال انتصارا وصيتا واسعا لعائلته في اوربا .

ولقد بدأت جنود الحلفاء بمحاصرة استانبول في شبه جزيرة القرم وظلوا يحاصرونه احد عشر شهرا دخل الشتاء فيها وتكبد الفريقـــان خسائر جمة . وأخيرا سقطت (استانبول) في يد الحلفاء بعد ان بذلت روسيا كل ما في وسعها من جهد ، وعقدت بـــين الطرفـــين معـــاهدة باريس سنة ١٨٥٦ وبمقتضاها حرم على جميع الدول ان تبقى ســـفنها الحربية في البحر الاسود واعيدت حدود روســـيا الى مـــا وراء نهـــر الدانوب ووافقت جميع الدول على احترام استقلال تركيا وسلامتها .

الحرب الروسية التركية(١٨٧٧-١٨٧٨) :

ظلت المسألة الشرقية تتجدد مظاهرها وأخيرا كانت الحرب التي قامت بين الاتراك والروس سنة١٨٧٧. والتي تذرعت روسيا لاثارتها بسبب سوء معاملة المسيحيين في الامبراطورية التركية . غير ان انجلترا خافت تقدم روسيا في الجنوب فحملت الدول على اجبار تركيا بادخال عدة اصلاحات في بلادها ، والحق يقال ان التعصب الديني والجنسي كان شائعا في جميع انحاء الدولة ولم تكن تركيا مسئولة وحدها عنه بل كانت الدول بتدخلها المستمر في شئون تركيا من البواعث التي أدت اليها ولقد بلغ هذا التعصب اقصاه في المذابح التي قامت في بلغاريا .

ولما رفض الباب العالي ان تستمع الى ما اشارت به الدول من اصلاح لم يكن في وسع انجلترا ان تمنع اعلان روسيا للحرب ولقد حاربت الجنود التركية بشجاعة عظيمة ولكنهم اضطروا الى التسليم ، ولو ان الروس استولوا على المدينة لما تأخرت انجلترا (وكان اسطولها في مياه البوسفور) عن الاشتباك مع روسيا في حرب (فان الجو في) ذلك الوقت كان مؤذنا بين كل لحظة باعلان الحرب بين انجلترا وروسيا

مؤتمر برلين١٨٧٨:

وأخيرا عقدت الدول مؤتمرا في برلين ووقعوا معاهدة أرضت كلا من روسيا وانجلترا . وبمقتضى هذه المعاهدة اضطرت تركيا الى

التنازل عن جزء كبير من املاكها في اوربا ، فقد تنازلت عن ادارة كل من (تاساليا وابيروس) فتضاعفت بذلك مساحة املاكها ، اما روسيا فانها خرجت من الحرب ظافرة وقد وصلت حدودها الى مصب نهـــر الدانوب ونالت في جنوب القوقاز حصني (قارص وميناء باطوم) اما انجلترا فقد وعدت تركيا بالدفاع عنها في حالة ما اذا حاولت روســــيا الاعتداء على جزء جديد من املاكها وفي نظير ذلك تنازلت لها تركيا عن جزيرة قبرص وبهذا خسرت الدولة العثمانية خسارة عظيمة .



الفصل الحادي عشر



الوحدة الايطالية(١٨٥٧-١٨٧٥) :

ظلت ايطاليا قرونا عديدة كما قال (مترنيخ) تعتبر اسما جغرافيا ليس له أي دلالة سياسية ، وقد قامت فيما مضى عدة محاولات لتوحيد ايطاليا ولكنها فشلت الوحدة بعد الأخرى . ويتلخص تاريخهـــا بعـــد سقوط الدولة الرومانية في انها وقعت في أيدي القوط الشـــرقيين ثـــم استولى عليها من بعدهم (اللمبارديون) وتلاهم (شـــارلمان) . ثـــم تعاقبت في الاستيلاء عليها كثير من الاسرات الالمانية وكانت آخر هذه الاسرات اسرة (الهايسبرج) وكان سبب تلك النكبات التي توالـــت على ايطاليا هو تخاذل امرائها واستنجادهم بالاجانب ضـــد بعضهـــم البعض ، فلم يكن في ايطاليا روح القومية ولم يكن لها زعماء وطنيون .

وعبثا ضاعت محاولات الوطنيين مثل (ميكيافللي) في انتشال ايطاليا من نومتها .

ايطاليا والثورة الفرنسية :

في عهد الثورة الفرنسية سقطت ايطاليا في يد فرنسا وطـــرد نابليون النمسا والبوربون ثم كون فيها مملكـــة نـــابولي الـــتي عـــين أخاه(جوزيف) ملكا عليها و(لمبارديا) التي ضمت رأسا الى فرنســـا ومملكة ايطاليا التي كانت تشمل بقية الاجزاء الوســـطى والشـــمالية

مثل(بيدمنت) و(جنوه) و(تسكانيا) و(بارما) ثم املاك البابا التي عين عليها (ايوجين بيوهارنيه) والبابا نيابة عنه .

وعلى الرغم من ان ايطاليا كانت مقسمة الى الاجـزاء السـالفة الذكر ، الا ان نظاما واحدا في الادارة والقضاء كان يعمهـا جميعـا ، وكان اثر الحكم الفرنسي واضحا في كل مكان فلقد الغـى نـابليون النظام الاقطاعي الذي كان سائدا في جميع انحائهـا وأوجـد حريـة الصحافة ونشر التسامح الديني في كل مكان وساوى بين جميع النـاس امام القانون وكانت آثار اعماله هذه هي التي ايقظت الروح القومية في ايطاليا ولفتت انظار الايطاليين الى ضرورة الوحدة الايطالية .

ايطاليا عقب مؤتمر فينا :

في مؤتمر فينا تجاهلوا الأماني الوطنية للايطاليين وعملوا ايطاليا كما لو كانت غنيمة توزع بين الظافرين فأعيد ملك (سردينيا)(فكتور عمانويل الأول) الى عرشه ووضعت لمبارديا وفينيسيا في يد النمسا اما بارما ومودينا وتسكانيا فولي أمرها الى امراء من البيت النمساوي وفي الجنوب ارجعت عائلة البوربون الاسبانية الى مملكة نابولي التي كـانت تفصلها عن الولايات الشمالية املاك البابا العظيمة .

الغاء الاصلاحات الفرنسية :

وبجرة قلم واحدة الغى (فكتور عمانويل) كل الاصلاحـات التي ادخلها نابليون على (بيدمنت) اثناء غيابـه فمنـح الاشـراف

حقوقهم الاقطاعية القديمة واعاد الى (الاكليروس) ممتلكاتهم ورقابتهم على الصحف ثم قضى على الحرية الدينية في جميع انحــاء البــلاد وفي ممتلكات البابا اتبعت نفس السياسة فصدر قرار في سنة١٨١٤م الغـى التشريع الفرنسي واعاد النظام القديم ولقد وصل السخف بــالقوم – حقدا على كل ما هو فرنسي – الى الغاء التطعيم وانارة الشــوارع في روما باعتبار انها من مستحدثات الثورة الممقوتة . ولقد الغيت كذلك في لمبارديا وفينيسيا –(قىتاعغ٧٦حيث كان النفوذ النمساوي بالغـــا اقصاه)–كل الاصلاحات التي ادخلت في عهد نابليون وحرم تدريس التاريخ سياسيا كان ام طبيعيا ، ولكي يضمن (مترنيخ) الغاءها التام في تلك المقاطعات اوجد نظاما سريا للبوليس كان بتداخل في حريات الافراد بأشنع مما يتصوره انسان ولم يقتصر النفوذ النمســاوي علــى فينيسيا ولمبارديا بل كان يشمل ايضا كل الولايات التي يحكمها امراء من البيت النمساوي ونابولي التي امضى ملكها فرديناند محالفة هجومية دفاعية مع النمسا .

وساءت حال الايطاليين كما نرى ولم يكن في وسعهم ان يثيروا حربا على الذين كانت كل القوى في ايديهــم فلجــأوا الى تكويــن الجمعيات السرية التي بدأت تبذر بذور الثورة وتنشر روح التمــرد في كل مكان . وعلى الرغم من ان مقاصد هذه–الجمعيــات الســرية– كانت متباينة وبرامجها كانت مختلفة الا انه لا يسعنا الا القول–بأنهــا

كانت النواه الأولى في تكوين الحركة الاستقلالية وبناء القومية فيما بعد.

الثورة في ايطاليا :

تكونت جمعية الكاروبوناري (الفحامين) حوالي سنة١٨٠٧م ابان ان كان (جوزيف بونابرت) يحكم نابولي هربا من اضطهاده للايطاليين ، ولقد انتشرت فروعها فيما بعد في جميع انحاء ايطاليا وانضم اليها الوطنيون من جميع طبقات الشعب رجالا ونساء وكانت اغراضها تنحصر في: طلب الحرية الشخصية والحكومة الدستورية ، والاستقلال وطرد الاجانب ، وتكوين الوحدة الايطالية .

وكان معظم اعضاء هيئة الجمعية من رجال الجيش والطبقات المتعلمة ، فلما اتصلت بهم اخبار الثورة الاسبانية سنة١٨٢٠ قام الضباط من اعضاء الجمعية في نابولي يطالبون بانشاء مجلس نيابي كالمجلس الذي نالته اسبانيا فأجابهم الملك (فرديناند) الى طلبهم واقسم يمين الاخلاص للدستور الذي منحه غير انه لم يكن مخلصا في ذلك القسم لأنه طلب النجدة من (مترنيخ) بعد أن تنازل عن الحكم لولي العهد ورأى (مترنيخ) ان الفرصة سانحة لتقوية مبادئه الرجعية فدعى الدول الى مؤتمر للنظر في اخماد الثورات اينما ظهرت فوافقته جميع الدول عدا انجلترا وفرنسا وأخيرا سيرت النمسا جيشا الى نابولي اخمد ثورتها وضرب على ايدي الثوار ثم اعاد الى الملك (استيد فرديناند) سلطانه سنة١٨٢١ .

وفي عام ١٨٢١ نشبت ثورة في (بيدمنت) كان غرضها تأسيس مجلس نيابي ووجد الملك (عمانويل) نفسه بين امرين اما ان يرفض منح الدستور فينال غضب الشعب واما ان يمنح الدستور فيعرض نفسه لغضب النمسا ، ورأى ان احسن تخلص من هذا الموقف الحرج هو أن يتنازل عن العرش ، ولقد تولى العرش بعده (شارل فليكس) ولما كان شارل فليكس غائبا فقد قام مقامه في الحكم (شارل البرت) الذي كان معروفا بميله الى الحرية فمنح الشعب دستورا غير ان (شارل فليكس) غضب لهذا وطلب المعونة من النمسا فأرسلت جيشا الى (بيدمنت) هزم الثوار في معركة نوفارا (وانتهت هذه الثورة ايضا بانتصار الرجعية والاستبداد على الحرية والمبادئ القومية ويحسن بنا ان نذكر هنا ان اساتذة المدارس وطلبتها لعبوا مع الضباط دورا عظيما في المعركة .

وعد فشل ثورات نابولي وبيدمنت نقلت (جمعية الكاربوناري) مركزها الى باريس حيث بدأ بعض ملوك ايطاليا وأمراؤها يتصلون بها سرا لكي يتخلصوا من مضايقات النمسا التي بدأ طغيانها واستبدادها يزيد .

ولما قامت ثورة يوليو سنة ١٨٣٠ في فرنسا كان من الطبيعي ان تتأثر بها ايطاليا واغتنم (الكاربوناري) فرصة موت البابا (بيوسي الثامن) فأشعلوا نار الثورة في الولايات الصغيرة الشمالية ونجحوا في بادئ الأمر في تكوين حكومات جديدة حل فيها موظفون مدنيون محل

القسس الا انهم اخفقوا في النهاية لأن فرنسا التي كانوا يعتمدون على مساعدتها خيبت رجاءهم .

اسباب فشل الثورات الايطالية :

يرجع فشل تلك الثورات الى اسباب كثيرة أهمها :

١. قصر الثورات على رجال الجيش والموظفين وعدم اشتراك الشعب فيها .

٢. عدم قيام الثورات في اماكن متعددة في وقت واحد الأمر الذي كان يمكن النمسا من اخماد كل ثورة .

٣. فساد النظام في جمعية الكاربوناري وضعف الزعماء .

٤. مساعدة النمسا للملوك .

الاحزاب في ايطاليا :

على الرغم من ان (جمعية الكاربوناري) فشلت في ثورتها الا انها ساعدت على احياء الروح القومية اذ ان الايطاليين بدأوا يشعرون ان طرد النمساويين وتكوين حكومة واحدة قوية في ايطاليا ضرورة لازمة لاحياء ايطاليا وكانت الاحزاب التي ترمي الى تكوين الوحدة الايطالية قبل سنة١٨٤٨ ثلاثة وهي :

١. حزب الجمهوريين او المتطرفين وعلى رأسهم (مازيني)–جمعية ايطاليا الفتاة– التي حلت محل جمعية (الكاربوناري) في قيادة الحركة ولم يكن (مازيني) رجلا عمليا ولذلك كان الدور الذي

لعبه في حوادث سنة١٨٥٩ضئيلا . ولكنه اشعل في نفوس الشباب الايطالي نار الحماسة والحمية لتحرير ايطاليا وكـان يعتمـد علـى العاطفة الدينية في الهاب النفوس ولذلك جعل شعار جمعية (ايطاليا الفتاة)(الله والشعب)والحق يقال انه ساعد كثيرا علـى غـرس الوحدة الايطالية .

٢.حزب العمليين او المعتدلين : وكان اعضاؤه من السياسيين ورجال الجيش الذين وضعوا كل آمالهم في ملك (بيدمنـت) وجيشـها وكانوا يعتقدون ام هذا هو الطريق الوحيد لتخليص ايطاليـا مـن قبضة النمسا .

وكان يوجد حزب ثالث يرى ان الطريق الوحيـد ليكويـن ايطاليا هو ايجاد اتحاد او تحالف بين الامراء الايطاليين تحت رئاسة البابا من المصلحين وقد كان من الممكن هذا عندمـا كـان (جريجـوري السادس عشر) او خلفه (بيوسي التاسع) –الذي كان معروفا بميوله وغضه لحكومة النمسا–وهو الرئيس الديني .

ثورة (١٨٤٨) في ايطاليا :

لم تكد اخبارها تصل الى مسامع الايطاليين حتى قامت ثـورة في ميلان اجبر فيها الثوار الحامية النمساوية على الجلاء عنها ثم قامت بعد ذلك ثورة اخرى في البندقية ثم اعلنت (بيدمنت) الحرب على النمسا وبعثت جيشا لمساعدة الثوار وكذلك بعثت حكومـات (تسـكانيا وروما ونابولي) بعض الجنود للغرض نفسه ، وقد اخـذت القـوات

الايطالية المتحدة تنتقل من نصر الى نصر حتى خيل الى جميع الايطاليين ان فجر الاستقلال قد انبلج غير ان القوات الايطالية لم تكن منظمة لاندراجها تحت قواد عديدين ، اختلفوا في الرأي وانقسموا وخرج البابا عن الحركة بعد أن كان من انصارها .

وكانت نتيجة ذلك ان حجم القائد النمساوي على القوات الايطالية وهزمها ولو ان القيادة الايطالية كانت منظمة لما استطاع القائد (رادتزكي) الثبات امام هذه القوى وهزيمتها .

ولقد تجمعت عدة اسباب اضعفت من مركز الايطاليين أولها اختلاف الايطاليين في الرأي وانقسامهم الى (ملكيين) و(جمهوريين). والثاني :هو خروج البابا على الحركة بعد أن كان من انصارها ومعضديها وكانت نتيجة ذلك ان هجم القائد النمساوي على الجنود الايطالية وهزمها عند (كستزا) أولا و(نوفارا) ثانيا ، الأمر الذي اضطر (شارل البرت) الى التنازل عن العرش لابنه (فكتور عمانويل) وكانت نتيجة هذه الهزيمة المرة ان الغيت الجمهوريات التي اعلنت في روما والبندقية وفلورنسا وان محيت جميع الدساتير من ايطاليا ماعدا الدستور الذي منحه (شارل البرت) لبيدمنت والذي قواه ابنه فكتور عمانويل بدعوته كل الاحرار المشهورين الى الاشتراك معه في اعداد العدة لتحرير ايطاليا .

ايطاليا سنة ١٨٥٠:

لقد فشلت كما تبينا كل محاولات الاحرار الايطـــاليين لطـــرد النمسا من ايطاليا ولتكوين حكومات دستورية في جميـــــع الولايـــات واصبحت الحالة سيئة جدا بعد هزيمة (نوفارا) فان ملك نابولي نقض كل عهوده لشعبه فألغى الدستور الذي منحه وعزل جميع انصار الثورة وكذلك نجح البابا بمساعدة النمسا وفرنسا ونابولي واسبانيا في الغـــاء الجمهوريات التي تكونت في روما واعاد الحكومة الى ايدي القسس ، اما في شمال ايطاليا فقد عاد النفوذ مرة ثانية الى النمسا غير ان الاحرار الذين افلتوا مازالوا يأملون في تكوين الوحدة الايطالية وأخذوا يعملون على ذلك في البلاد التي هربوا اليها .

نهضة بيدمنت :

بعد أن فشلت نظرية (مازيني) في تكوين جمهوريـــــة ايطاليـــة بدأت الانظار تتجه الى (بيدمنت) لتنفيذ حركة الاستقلال في ايطاليا ولقد شجعت مبادئ (فكتور عمانويل) الدستورية ، جميع الرجـــــال العمليين على الانضواء تحت لوائه ولقد احســــن فيكتـــور عمـــانويل باختياره (كافور) ذلك السياسي العظيم ليكون عونا لــــه في تحقيـــق الوحدة الايطالية .

سياسة كافــــور :

ولد (كافور) سنة ١٨١٠ من عائلة عريقة في بلاد (بيدمنت) ونشأ نشأة حربية واشتهر عنه ميله الى الحركات الدستورية ويعتبر من

كبار ساسة القرن التاسع عشر ، ولقد واتته الفرصة عندمـــا اختـــاره (فكتور عمانويل الثاني) ملك بيدمنت في عام١٨٥٢ ، رئيسا للوزراء في بيدمنت ، فعمل على تنظيم بيدمنت وتقويتها حتى تصبح قادرة على تحقيق الوحدة الايطالية .

وكانت سياسته ترمي الى تنشيط الزراعة والصناعة والنهـــوض بالجيش واغتنام كل فرصة للنهوض بالحركة الوطنية ولم يكن (كافور) يعتقد أن ايطاليا تستطيع الحصول على استقلالها دون مساعدة اجنبيـــة نظرا لقلة سكان بيدمنت ، وكان يهدف الى الاستعانة بفرنسا لقوله : " ان مستقبلنا يتوقف على فرنسا سواء اردنا ذلك ام لم نرد ".

ولقد سنحت الفرصة لكافور عند قيام (حرب القرم) التي شبت بين روسيا من جهة وانجلترا وفرنسا والدولة العثمانية من جهة أخـــرى والتي ضمنت له مســـاعدة فرنســا ، فلقـــد وقـــع (كـــافور) في سنة١٨٥٥ محالفة هجومية دفاعية مع فرنسا وبعث بجنود لمساعدتها في شبه جزيرة القرم وبذلك استطاع حضور مؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس ، وفي هذا المؤتمر انذر (كافور) الدول الاوربية بـــأن بقـــاء النمسا في شمال ايطاليا خطر يهـــدد الســـلم في اوربـــا . ونجـــح في حمل(نابليون الثالث) على الاهتمام بالشئون الايطالية . وكانت هناك عدة أسباب اخرى شجعت نابليون على الاهتمام بالمســـألة الايطاليـــة وذلك أنه كان يريد ان يأخذ يناصر الدول الضعيفـــة ابتغـــاء المجـــد والشهرة لنفسه ولرفع اسم فرنسا بين الدول . كذلك فانه كان يريـــد

ان يكسب لفرنسا قطعة أرض من ايطاليا . واتفق كافور سرا مع نابليون على ان تساعد فرنسا بيدمنت اذا كانت البادئة بالاعتداء على النمسا واذا نجحا في طردها من شمال ايطاليا فان ملك بيدمنت يتعهد بالتنازل لفرنسا عن مقاطعتا(سافوي ونيس) اللتان يتبعان لها جغرافيا وجنسيا .

وفي سنة١٨٥٩بدأ (فكتور عمانويل) يتحرض بالنمسا حتى اضطرها الى اعلان الحرب ، وما كادت الحرب ان تعلن حتى أسرع الجنود الفرنسيون الى الانضمام الى الجيش الايطالي وهزما النمسا عند (ماجنتا) وبعد ذلك بفترة قصيرة دخل نابليون الثالث وفكتور عمانويل مدينة (ميلان) بين تهليل الشعب وهتافه ونظرا لسوء ادارة الجيش النمساوي استطاع جيش فرنسا وايطاليا من هزيمته مرة أخرى في معركة (سلفرينو) .

نابليون الثالث يوافق على الهدنة :

دهش العالم الاوربي عندما رأى نابليون يوافق فجأة على عقد الهدنة والصلح مع امبراطور النمسا ويتفق على شروط الصلح دون استشارة بيدمنت ، وكان من ضمن تلك الشروط ان تبقى البندقية في يد النمسا على الرغم من افتخار نابليون الثالث بأنه كان يعمل على تحرير كل ايطاليا وكان السبب الرئيسي الذي دعى الامبراطور لانهاء حالة الحرب هو اعتقاده بأن الجيش الذي يجب ان يجند من فرنسا لابد ان يكون جيشا كبيرا ليتمكن من طرد النمسا من ايطاليا ، وخوفه من

تذمير الرأي العام في فرنسا من نفقات تلك الحرب وبمقتضى الصلـــح الذي عقده نابليون مـــع امـــبراطور النمســـا ضمـــت (لمبارديـــا) ولايتي(بارما ومودينا) الى بيدمنت ولقد غضب (كافور) لهذه النتيجة ونصح الملك بمواصلة الحرب غير أن الملك فيكتور عمانويل لم يوافـــق على رأيه فاعتزل كافور الوزارة في الحال .

ووافق سكان ولايات (بارما ومودينا وتسكانيا) على الانضمام الى بيدمنت والعمل على طرد حكامها ، وكان (كـــافور) في ذلـــك الوقت قد عاد الى الوزارة وبدأ يعمل وفق رغبـــة هـــذه الولايـــات واستطاع ان يتفق مع نابليون الثالث على عدم المعارضة في ضم هـــذه الولايات الى بيدمنت وفي نظير ذلك يتنازل له ملـــك بيدمنـــت عـــن مقاطعتي (سافوي ونيس) وقد وافقت الدول على ذلـــك في ابريـــل سنة ١٨٦٠ وبذلك يمكن القول بأنه قد تكونت في الشـــمال وحـــدة ايطالية .

حركة غاريبالدي :

رفض ملك نابلي ان يوافق على عمل أي محالفة مع بيدمنـــــت كما رفض أن يمنح شعبه الدستور غير ان (غاريبالدي) وهـــو احـــد ابطال الحركة الايطالية ومن تلاميذ (مازيني) صمم علـــى ان يحمـــل نابلي بالقوة للانضمام الى بيدمنت ، ومن اجل ذلك ابحر من (جنوه) الى جزيرة (صقلية) (احد اجزاء مملكة نابلي) متحمـــلا المســـئولية وحده ونزل الى الجزيرة بجيش مكون من الف محـــارب واســـتطاع ان

ينتصر بجنوده القلائل على جيوش نابلي ، وعندما اصبحت الجزيرة في قبضته عبر البحر الى نابولي نفسها وأخذ ينتقل من انتصار الى آخر حتى دخل العاصمة .

أراد (غاريبالدي) ان يتجه الى روما ومن هناك يعلن ان ايطاليا اصبحت مملكة واحدة ، غير ان نابليون الثالث-تحت تأثير الكاثوليك الفرنسيين-لم يوافق على ان تحتل روما مقر البابا رئيس الكاثوليك ، ووافق على ان يضم ملك بيدمنت مملكة نابولي وتقيم فيها حكومة قوية غير حكومة غاريبالدي ويترك روما لحكومة البابا ، ووافق (فيكتور عمانويل) على هذا فاحتل وطرد آخر ملك (بريوني) منها وأصبحت ايطاليا عدا ممتلكات البابا والبندقية مملكة واحدة .

أول برلمان ايطالي :

اجتمع أول برلمان ايطالي في (تورين) سنة ١٨٦١ وبدأ يضع القوانين والانظمة ، للمملكة الجديدة غير أن جميع الايطاليين أخذوا يشعرون أن الوحدة ناقصة وبدأوا يتناقشون في أول جلسة في البرلمان في ضرورة ضم روما والبندقية الى المملكة الجديدة لكي تتم الوحدة غير أن البابا (بيوس التاسع) غضب لهذا واعلن حرمان الملك فيكتور عمانويل ووزرائه من الكنيسة كما أعلن احتقاره للدستور الجديد وساعده على ذلك نابليون الثالث الذي بعث بحامية فرنسية الى روما للمحافظة على البابا .

واغتنمت ايطاليا فرصة توتر العلاقات بين النمسا وبروسيا فعقد (فكتور عمانويل) محالفة مع بروسيا تعهد فيها بمساعدتها عند قيام الحرب ، وعلى الرغم من أن الجنود الايطاليون هزموا برا وبحرا بعد قيام الحرب الا انها ساعدت في تعطيل عدد كبير من الجيش النمساوي الذي هزمته بروسيا مرة في معركة (سادوا) وفي معاهدة الصلح سنة١٨٦٦تنازلت النمسا عن البندقية لنابليون الثالث على ان يسلمها كوسيط الى ايطاليا ، وبذلك اصبحت المشكلة الوحيدة لاكمال الوحدة الايطالية هي روما .

فيكتور عمانويل يحتل روما سنة ١٨٧٠:

عندما قامت الحرب بين بروسيا وفرنسا اضطر نابليون الثالث أن يسحب الحامية الفرنسية من روما ووجد فكتور عمانويل الفرصة سانحة لضم روما الى ايطاليا ، فكتب الى البابا يطلب اليه التنازل عن سلطته الزمنية ولما رفض البابا هذا الطلب ارسل فيكتور عمانويل جيشا الى روما واقتحم ابوابها دون عناء واشطرت البابا الى ان ينسحب الى (قصر الفاتيكان) حيث اعلن انه اصبح اسيرا في يد الحكومة الايطالية الجديدة ولقد رحب السكان بالغزاة وعندما استفتى الشعب في مسألة ضم روما الى المملكة الايطالية كان عدد الموافقين ١٣٠ بينما كان عدد المعارضين الف وخمسمائة فقط ، وبذلك تمت الوحدة الايطالية وأصبحت ايطاليا من جبال الألب شمالا الى البحر جنوبا مملكة واحدة . ولم يبقى امام الحكومة الا شيئا واحدا هو(العمل

على اسعاد ايطاليا وتقويتها) كما صرح بذلك فيكتور عمـــانويل في البرلمان في البرلمان سنة١٨٧١ونقلت الحكومة بعد ذلـــك مقرهـــا الى روما.

لم ترد الحكومة الجديدة أن تهين البابا فأعلنت ان له الحق في التمتع بحرية تامة فيما يتعلق بالمسائل الدينية واعلنت ان شخصه مقـــدس وان ذاته كالملك لاتمس وسمح له بأن يستقبل السفراء وان يبعث بهم حيث يشاء كما كان الامر ابان سلطته الزمنية وايضا قرر البرلمان تعويضا له عن فقدان ممتلكاته مبلغ ثلاثين الف جنيه سنويا غير ان البابـــا كـــان يرفض دائما قبول هذا المبلغ والاعتراف بحكومة ايطاليا وظـــل يعتـــبر نفسه سجينا في ايدي اولئك الذين اغتصبوا املاكه .

ايطاليا منذ سنة ١٨٧٠:

اتت الوحدة الايطالية بثمارها المنتظرة فازداد عدد الســـكان ازديادا سريعا وانشئت الطرق والسكك الحديديـــة في كـــل مكـــان ونهضت الزراعة والصناعة .

وأخذت ايطاليا تتبؤ مركزها بين الدول كمملكة حربيـــة ذات مستعمرات وقد كلفها هذا اموالا باهظة واســـتطاع(بســـمارك) ان يجعلها العضو الثالث في المحالفة البروسية النمساوية التي ظلت معروفة باسم التحالف الثلاثي حتى قيام الحرب العظمى سنة١٩١٤. وكانت ايطاليا تطمع في الاستيلاء على تونس ولكن فرنسا ســـبقتها في ذلـــك فولت ايطاليا وجهها شطر الحبشة ولكنها بعد حروب ظلـــت زهـــاء

خمسة عشر عاما لم تنل اكثر من قطعة صغيرة على ساحل البحر الاحمر وفي سنة ١٩١٤، اعلنت الحرب على تركيا واستطاعت ان تستولي على طرابلس .

الوحدة الالمانية(١٨١٥-١٨٧٠) :

في فجر الثورة الفرنسية كانت المانيا اشد بلاد اوربا انقساما فلقد كانت تحوي مايزيد عن المائتي مقاطعة يحكم كل منها أمير خاص وكان الأمراء يدينون بالطاعة للامبراطور ولكنهم كانوا مستقلين في ادارة شئونهم الداخلية وفي علاقاتهم الخارجية مع بعضهم البعض وكانت النمسا تتزعم هذه المقاطعات بينما كانت (بروسيا) هي اعظم قوة حربية في المانيا ولذلك فقد كانت منافسا خطرا للنمسا.

اثر حكم نابليون في المانيا :

تتلخص آثار حكم نابليون في ثلاثة اشياء : أولهما: انه ضم كل الولايات الواقعة في غرب نهر الراين الى فرنسا مباشرة .

وثانيهما : ان في فترة حكمه تغيرت احوال بروسيا الداخلية والخارجية فأخذت منها ماكانت استولت عليه في تقسيمي بولندا الأول والثاني وضم اليها بدله نصف مملكة (سكسونيا) وبعض المقاطعات التي تليها غربا فخلص بذلك لبروسيا من وجود عناصر غير المانية فيها وضم اليها عناصر المانية فأوجد فيها شبه تجانس يختلف عن التنافر الذي كان قائما في ولايات النمسا فجعل بذلك بروسيا اقوى ولايات المانيا ومهد لها بذلك سبيل قيادة الحركة الالمانية اما الشيء

الثالث الذي استفادته المانيا من عهد نابليون فهو ايقاظ الروح القومية وغرس مبادئ الحكم الدستوري .

وعندما بدأ مؤتمر فينا الدولي في مناقشة موضوع الاتحاد الـــذي يجب ان يشمل الولايات الالمانية كانت المنافسة العنيفة بـــين النمســا وبروسيا حائلا دون تأسيس دستور قومي قوي ، وكان الاتحاد الـــذي اتفق عليه في النهاية عبارة عن مجمع مفكك العـــرى يضـــم حكــام المقاطعات ورؤساء المدن الحرة في المانيا بما في ذلك امبراطور النمســا وملك بروسيا وملك الدنمارك نائبا عن مقاطعة (هولشتين) وملـــك الاراضي المنخفضة نائبا عن دوقية (لكسمبرج)، فالمجمع كان يضم ملكين اجنبيين في الوقت الذي لا يضم فيه بعض الولايـــات التابعـــة لبروسيا والنمسا وهما اهم عضوين في المجمع وكان الاتحـــاد ضعيفـــا والمجمع خاليا من أبسط السلطات وكان يثير سخرية الدول الاوربيـــة ولكنه ظل قائما حتى تمكنت بروسيا من طرد النمسا مـــن الاتحـــاد الالماني .

بدأ التذمر يجتاح المانيا لفشل مؤتمر فينا في تكوين وحدة المانيـــة حقيقية وكان طلبة الجامعات والمتعلمين في طليعة المتذمرين ، وأخذوا في تكوين الاندية السياسية لبث الدعوة من اجل وحدة المانيا وظهرت بوادر اعمالهم في مناسبتين : احدهما : عند الاحتفال الذي اقامه الطلبة لذكرى ثورة (لوثر) الدينية ضد البابا التي تحولت الى مظاهرة سياسية في سنة ١٨١٧،وفي سنة ١٨١٩ تحولت هذه المظاهرة الى العنف ففـــي

الذكرى السنوية لمعركة (ليبزج) قتل احد الشبان ويدعى(كارل ساند) احد الصحفيين الالمان ويسمى (كوتزبيو) وكان معروفا بآرائه الرجعية ، وكان يتجسس على الالمان لحساب قيصر روسيا ، وقد اتخذ (سترنيخ) من هذه الحوادث ذريعة لتقوية اغراضه الرجعية ويقضي على الحركة التحررية في المانيا .

اغتنم (مترنيخ) الفرصة وجمع ممثلي الولايات الكبيرة في مؤتمر في مدينة (كارلسباد) وحملهم على اصدار سلسلة من القوانين للقضاء على الحركة ، وكانت هذه القوانين تعرف بمراسيم (كارلسباد) ، وبمقتضاها احكمت الرقابة على النشر وحلت جمعيات الطلبة واغلقت نواديهم وحرمت الاجتماعات السياسية وكان لهذه المراسيم اثرها في كبت الحركة التحررية في المانيا منذ سنة١٨١٩حتى سنة١٨٤٨.

ولقد كانت هناك عدة عوامل ساعدت على ازدياد الحركة القومية في المانيا منها :

١.قيام ثورة١٨٣٠في فرنسا والتي اثرت في المانيا وساعدت على ذيوع روح التذمر فضاعفوا مجهوداتهم للوصول الى الوحدة القومية.

٢.ومنها ايضا تكوين اتحاد الجمارك (الزلفرين) الذي بدأ في سنة١٨١٩ودعت اليه بروسيا واشتركت فيه جميع الولايات الالمانية ماعدا النمسا. وكان ينص على اعفاء الولايات الالمانية من دفع الضرائب على البضائع الداخلية فيها او الخارجية منها الى ولايات

المانية اخرى ورفضت بروسيا اشتراك النمسا في هذا الاتحـــاد . ولم يأت عام١٨٤٤ حتى كان هذا الاتحاد يشمل الجزء الأكبر من المانيا، وسيطرت عليه بروسيا نظرا لكثرة عدد سكانها وعظم تجارتهـــا ، وهكذا اصبحت هناك وحدة اقتصادية ، ودفعها هـــذا الى الرغبـــة الاكيدة في ضرورة الوحدة السياسية ونتج عن ذلك ظهور بروسيا لتولي الزعامة على المانيا وتقهقرت النمسا .

وعندما قامت ثورة ١٨٤٨ في فرنسا احدثت رد فعل في المانيا فهب الشعب في بروسيا يطلب من الملك (فردريك وليـــام الرابـــع) دستورا فرفض في مبدأ الأمر ، وقاوم جنوده الثوار ، ولما فشل الجنود في ايقاف الثوار اضطر الملك الى الوعد بعقد جمعيـــة وطنيـــة لوضـــع الدستور وفي غضون ذلك انتعشت آمال الشعب الالماني على اثر قيام ثورة مماثلة في النمسا وسقوط (مترنيخ) وفراره الى انجلـــترا فـــاجتمع نواب منتخبون عن جميع طبقات الشعب وعقدوا جمعية في فرانكفورت قرروا فيها اعلان اتحاد الولايات الالمانية ماعدا النمسا تحت حكم الملك (فردريك وليم) ملك بروسيا ويلقب بلقب الامبراطور على ان يحكم البلاد حكما دستوريا ، غير انه رفض هذا المنصب لانه خشى بطـــش النمسا لابعادها من الاتحاد على اخراجها من الاتحاد وكـــان رفـــض فردريك وليم من العوامل التي اخرت الوحدة الالمانية ، وساعد علـــى هذا ان النمسا قضت على الاحرار اثر فشل البرلمان اذ انسحبت منـــه جماعة المعتدلين .

واخذت بروسيا تجمع قواتها وتستعد لمناهضة النمسا من جديــد حتى كانت سنة ١٨٦١ حيث مات (فردريك وليم الرابــع) وخلفــه على العرش اخوه (وليم الأول) وكان يرغب في طرد النمسا ويرى في ذلك ضرورة لاتمام الوحدة الالمانية كما عمل على تقويــة جيــش بروسيا وزيادة عدده حتى استطاع ان يدرس جيشا قوامه اربعمائة الف جندي .

وفي سنة ١٨٦٢ استدعى الملك وليم (البرنس بسمارك) اكــبر ساسة بروسيا في ذلك العهد ليساعده في تنفيذ سياسته البعيدة المــدى فعينه رئيسا للوزراء وكان بسمارك من عائلة نبيلة في المانيا وتعلــم في ارقى جامعات المانيا ثم تقلب في عدة مناصب حكومية راقية منها انــه عين مندوبا عن بروسيا في (الديات الالماني) ، كما تقلب في مناصب السفارة لبروسيا في الخارج مما اكسبه معرفة بالتيارات السياسية الــتي كانت تسود العالم وقتذاك .

ووجه بسمارك هدفه منذ توليه الى تدعيم الوحدة الالمانية تحت زعامة بروسيا ، وكان يؤمن بالحق الالهي المقدس للملوك المعــروف في اوربا (The dvine Rite of kinges) ويكره البرلمانات ولا يؤمن بأن المانيــا سوف تتحد عن طريق المناقشات البرلمانية ولابدين الا بالحرب ويعتقد ان بريق السيف اللامع اشد فعلا من التعلق بأهداب السياسة النظرية ، وهو الواضع لسياسة الدم والحديد المشهورة في المانيا ، ومن اجل ذلك

حل البرلمان وصرح ان المسألة الالمانية لاتحل بالمناقشات البرلمانية انمـــا تحل بقوة الدم والحديد . وتتلخص سياسة بسمارك فيما يلي :

- تقوية الجيش البروسي لأن عليه وحده يتوقـــف تنفيـــذ البرنـــامج السياسي الهائل .
- القضاء على النفوذ النمساوي في المانيا لكي ينفسح المجـــال امـــام بروسيا .
- توسيع الممتلكات البروسية وتقويتها بضم كل الولايـــات الالمانيـــة اليها.
- اغراء الولايات الالمانية الجنوبية التي كانت تميل الى النمســـا لأنهـــا كاثوليكية مثلها ، وتشك في نوايا بروسيا ، وحملها على الانضمام الى الاتحاد الذي تتزعمه بروسيا .

وكان نجاح هذه السياسة امرا شاقا ، ولكن بسمارك بعد مـــا جبل عليه من دهاء سياسي وخديعة وبما استعمله مـــن قـــوة وعنـــف استطاع ان يوحد المانيا في ظرف عشر سنوات .

الحرب بين بروسيا والنمسا :

بعد دعم بسمارك للجيش البروسي ، اخذ يعد العـــدة لطـــرد النمسا من الاتحاد الالماني ، وعرضت في ذلك الوقت مسألة(شالزويج وهولشتين) وهما مقاطعتان المانيتان كانتا تحت حكم الدانمرك علـــى الرغم من دخولهما ضمن الاتحاد الالماني ، غـــير ان الدانمـــرك ارادت ضمها نهائيا اليها ، وعارض بسمارك ذلك واستاء الرأي العام الالماني

واستطاع ان يقنع النمسا بالاشتراك مع بروسيا في ضم الولايتين على ان تأخذ النمسا (هولشتين) وبروسيا (شلزويج) واعلنت الدولتان الحرب على الدانمرك واجبرتاها على التنازل عن المقاطعتين ولما ارادت النمسا ان تضع يدها على (هولشتين) ماطل بسمارك ولمح بضرورة احتفاظ بروسيا بكلتا المقاطعتين ، وكانت نتيجة ذلك هو اكراه النمسا على الحرب التي ترغب فيها بروسيا وقد اعدت لها عدتها .

وفي ابريل سنة١٨٦٦عقد بسمارك معاهدة مع ايطاليا وافقت فيها على إعلان الحرب على النمسا اذا قامت حرب بين النمسا وبروسيا وقد وافقت ايطاليا على ذلك لرغبتها في طرد النمسا من البندقية وضمها اليها ، كما اتفق بسمارك ايضا مع نابليون الثالث امبراطور فرنسا على ان يبقى محايدا في حالة قيام حرب بين النمسا وبروسيا ، مقابل الحصول على بلجيكا او لكسمبورج ، وكان قد عقد تحالفا وديا كذلك مع روسيا ، فأمن بذلك جانب الدول فأعلن الحرب على النمسا في سنة١٨٦٦معتمدا على قوة الجيش البروسي ومعداته الحربية الحديثة وشجاعة قائده العظيم (الكونت فون ملتكي) فقد اجتاحت الجيوش البروسية في سلسلة من الانتصارات حتى اصبحت على ابواب فينا ، وكان في استطاعتها الاستيلاء عليها غير ان بسمارك رأى عدم اذلال النمسا لأن لا تتأصل عداوتها لبروسيا حتى يضمن حيدتها في حربه المنتظرة مع فرنسا والتي كان يراها ضرورية لاتمام الوحدة الالمانية ، ومن اجل ذلك عقد مع النمسا (معاهدة براغ)

والتي بمقتضاها اعترفت النمسا بالاتحاد الالماني الشمالي وتكون اتحاد الماني جنوبي مستقل بين بروسيا واعطيت البندقية لايطاليا مكافأة لها على اشتراكها مع بروسيا .

الحرب البروسية الفرنسية :

بعد انتهاء الحرب مع النمسا طلبت فرنسا بروسيا لتنفيذ الاتفاقية التي بمقتضاها بقيت فرنسا محايدة في حرب بروسيا مع النمسا والتي كانت تمني بروسيا فيها فرنسا بالحصول على بلجيكا او لكسمبورج او بعض الولايات الالمانية غرب الراين ، وتلكأ بسمارك حتى عقد الصلح مع النمسا واعلن انه لايملك حق التنازل عن شبر واحد من ارض المانيا ، فبدأ الرأي العام في فرنسا يحقد على بروسيا وادركوا خديعة بسمارك لنابليون الثالث ، ورأوا في تأسيس دولة المانية قوية في شرق فرنسا خطرا على فرنسا ، وتحمس انصار الحرب في فرنسا وأخذوا يعيدون ذكرى العداوات القديمة بين بروسيا وفرنسا ويحرضون الحكومة على اعلان الحرب على بروسيا .

وفي غضون ذلك كانت بروسيا تتأهب الحرب التي اعدت لها عدتها من قبل وتعمل في الوقت نفسه على ربط الولايات الالمانية الجنوبية بالشمالية بروابط المصلحة التجارية المتبادلة وبتقوية نظام الاتحاد الجمركي (الزلفرين) الذي كان بحق هو الممهد لتكوين الوحدة الالمانية ، وكانت سياسة بروسيا تتلخص وقتذاك في سرعة دخول الحرب مع فرنسا حتى تستطيع النمسا الاشتراك مع فرنسا فيها

وفي حمل فرنسا على البدء باعلان الحرب حتى يستأثر الشعور القومي في الولايات الالمانية الجنوبية فتشترك مع بروسيا في الحرب ضد فرنسا.

وقد سبق ان عرضنا بشئ من التفصيل الملابسات السياسية التي سبقت اعلان الحرب ، وصفوة القول هنا انه بمجرد اعلان الحرب سنة ١٨٧٠ اقتحمتها بحماس كل ولايات المانيا الشمالية والجنوبية باعتبارها امة واحدة اعتدى على كرامتها الفرنسيون وكانت الحرب مظهرا من مظاهر وحدة الأمة الالمانية ، وظهر في هذه الحرب تفوق الجيش الالماني الذي اكتسح امامه الجيش الفرنسي وتوغل في ارض فرنسا ووقع الامبراطور نابليون الثالث نفسه مع كثير من افراد جيشه في قبضة الالمان في معركة (سيدان) في أول سبتمبر ١٨٧٠ وبعد معركة سيدان خلع الفرنسيون الامبراطور نابليون الثالث واعلنوا الجمهورية الثالثة وبدأت المفاوضات بين الطرفين ، غير ان الالمان طالبوا بضم مقاطعة (الالزاس) اليهم ولكن رفض الفرنسيون وأصروا على مواصلة القتال ، وتقدم الالمان فحاصروا باريس وبعد حصار شديد سقطت المدينة في يناير سنة ١٨٧١ في يد الالمان بعد دفاع مجيد من الفرنسيين استمر اربعة اشهر ، وبعد سقوط باريس بثلاث اشهر امضت فرنسا شروط الصلح التي بمقتضاها تنازلت عن اقليم الالزاس وجزء من اقليم اللورين كما دفعت غرامة حربية قدرها ٢٠٠ مليون جنيه ووافقت فرنسا ان تبقى القوات الالمانية محتلة فرنسا حتى تدفع هذه الغرامة .

وتحققت آمال (بسمارك) ورأوا في ان الحرب مـــع فرنســا ضرورة لازمة لتأسيس الوحدة الالمانية ، فان الولايات الجنوبية الالمانية (بافاريا ورتمبرج وبادن وهس) والتي حاربت قواتها جنبا الى جنـــب ضد فرنسا مع الجيوش البروسية قد وافقت على الانضمام الى الاتحـــاد الالماني الشمالي الذي تغير اسمه في الحال الى (الامبراطورية الالمانيـــة) كما وافقت على ان يكون ملك بروسيا هو رئيس الدولة الجديد مـــع منحه لقب امبراطور المانيا ولقد وافق جميع الامراء الالمان على هذا في قصر (فرساي) مقر ملوك فرنسا في يناير سنة١٨٧١ .

نتائج الوحدة الالمانية :

كان لظهور المانيا المتحدة اثر كبير في المجال الدولي في اوربا فقد ادهش نظامها السياسي الجديد جميع بلاد العالم ، فقد تقدمت ســـريعا وارتقت بها صناعة الحديد والمنسوجات حتى هددت مصالح بريطانيـــا التجارية واخذت البواخر الالمانية تمخر عباب البحار في جميع انحاء العالم ، كذلك ارتقى الجيش الالماني واصبح مهيب الجانب ، وتقدمت العلوم والفنون تقدما مدهشا حتى أصبحت (برلـــين وجينـــا وهيدلـــبرج) وغيرها من المدائن الالمانية من اهم مراكز العلـــم في الدنيـــا وارقاهـــا تجتذب طلاب العلم في انحاء العالم ، كما أدلت المانيا بدلوها في مجـــال الاستعمار الذي فاتها ركبه منذ مطلع القرن ١٦م فانطلقت في نهايـــة القرن١٩الى افريقيا .

وكـــان نظـــام المانيـــا الدســـتور الـــذي اعلـــن في ابريـــل سنة ١٨٧١ يتلخص في ان تكون الخمس وعشرين ولاية الـــتي تكـــون الاتحاد مستقلة في قوانينها وحكوماتها على شريطة الا تتعـــارض مـــع قوانين الامبراطورية ومجلس (البندسرات) الذي يمثل الولايات امـــا نظام الملك فجعل وراثيا في عائلة (هوهنزلين) بمعنى ان ملك بروسيا يكون ايضا امبراطور المانيا . وأما السلطة التشريعية فقضى الدســـتور على ان تكون في مجلس (البندسرات) ومجلس (الريشتاغ) الـــذي يحوي ممثلين ينتخبهم الشعب بالتصويت العام لمدة خمس سنوات وتعيين السفراء ومناصب الجيش والاسطول من حق الامبراطور وحده ، ومع ان الدستور اعطى الامبراطور سلطات واسعة كما رأينا الا ان المانيـــا نجحت في ظله نجاحا عظيما وظل هذا الدستور قائما لم يتغير حتى حل محله دستور سنة ١٩١٩ بعد الحرب العالمية الأولى .

الفصل الثاني عشر



الانقلاب الزراعي والصناعي والتجاري في القرن ١٩:

لعل تطور اوربا الاقتصادي في القرن التاسع عشر يفوق في أهمية تطورها السياسي وكثيرا ما كان التقدم السياسي في هذا القرن يقوم على اساس الرقي الاقتصادي ، ولقد كانت انجلترا اسبق الأمم في اوربا الى الأخذ باسباب هذا الرقي لظروف خاصة بها نجملها فيما يلي:

١. انحلال النظام الاقطاعي فيها قبل غيرها من الأمم وظهور طبقة كبيرة من الايدي العاملة .

٢. تكدس الثروة فيها على اثر اتساع نطاق التجارة في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

٣. سبقا اوربا الى استنباط المخترعات التي زادت الانتاج الزراعي والصناعي .

٤. بعدها عن مسارح الحروب التي استعرت في اوربا جيلا بعد جيل فنمت بذلك ثروتها بينما كانت جاراتها تستنفذ مواردها في الحروب .

ولقد اخذ عدد السكان في انجلترا يزداد ازديادا مضطردا منذ منتصف القرن التاسع عشر تبعا لازدياد حركة الصناعة فيها في حين أن عددا كبيرا من المشتغلين بالزراعة هجروها الى دور الصناعة ، واتجهت الانظار حينئذ الى ترقية شأن الزراعة حتى تسد حاجات البلاد وخاصة المدن الصناعية الجديدة ، ولا ريب ان حروب نابليون اضطرت انجلترا

فوق ذلك الى الاعتماد على محصولات بلادها وقام الباحثون بتطويـــر سبل الزراعة بها وتعهدوا الارض بالتسميد والعناية بالحراثة وطـــرق صرف المياه والاستعانة على ازدياد خصوبة الارض بزراعـــة البقـــول والجذور بدل تركها بورا شهورا طويلة مع الاخـــذ بنظـــام الـــدورة الزراعية الذي يحفظ قدرة الارض ويصون ويصـــون قدرتهـــا علـــى الانتاج.

كما اهتمت انجلترا بالعناية بتربية المواشي لأن الطبقات الجديدة من الصناع والعمال كانت تتطلب غذاء من اللحوم تستعين به علـــى تأدية اعمالها الشاقة ، ولاريب ان الزراعة الشتوية الحديثـــة (زراعـــة البقول) ساعدت على زيادة المواشي ابان فصل الشتاء فازدادت عددا عما كانت عليه من قبل ، على اننا يجب ان نلاحظ ان المزارع الصغير قد حرم من الانتفاع بمراعي الاغنام ومن حطب الوقود الـــذي كـــان يجمعه من الاراضي البور التي استغلتها الحكومة كما انه فقد فوق ذلك مورد رزق كبير الا وهو الغزل والنسيج في اوقات فراغه فـــان الآلات الميكانيكية كانت قد بدأت حينئذ تحل محل الايدي العاملـــة في الصناعة ، هذا الى انه لم يستطع ان يجاري اصحاب الاراضي الواســـعة في استخدام كل المخترعات الحديثة التي تساعد على تقليـــل نفقـــات الانتاج وزيادة المحصول ، ولم يستطع ان يتحمل يادة الأسعار فـــاضطر من اجل ذلك كله ان يبيع ارضه وينزرع الى دور الصناعة في الشمال

او يعمل في مزرعة كبيرة نظير اجر معين يتقاضاه وبذلــــك انقرضـــت الملكية الصغيرة في انجلترا .

وكان من نتائج ذلك الانقلاب الصناعي في انجلترا ان استطاعت البلاد سد حاجاتها في اوقات الحروب العصيبة الــتي مــرت بهــا ولم يستمر هذا التقدم الزراعي طويلا وذلك لاتجاه البلاد الى الصناعة نظرا لربحها الطائل والاسواق التي فتحت لانجلترا لهذه الصناعــــة ، وزوال العقبات الناشئة عن حروب نابليون فيما يتعلق باستيراد الاغذية مـــن الخارج ، وبذلك بدأت تتحول اجزاء كبيرة من الارض في انجلترا مـــن الزراعة الى مراع للاغنام مرة اخرى .

وبالنسبة للدول الاوربية الاخرى كفرنسا وبلجيكا وهولنـــــدا والمانيا وايطاليا فقد اخذت الزراعة فيها ايضا في الترقي السريع وزادت قوة الارض الانتاجية عاما بعد عام ، وكان هذا الرقي الذي يشاهد في كثير من بلاد اوربا نتيجة استخدام الطرق العلمية الحديثة في الزراعـــة وانشاء النقابات الزراعية التي ساعدت على هذا الرقي مساعدة فعالة .

الانقلاب الصناعي في انجلترا :

كانت الصناعة بادئ ذي بدء تعتمد على الايدي العاملـــــة في منازل المزارعين ولا تباع المصنوعات الا لأهل القرى المجاورة ثم اخـــذ المزارعين يؤيدون العمل في منازلهم لحساب التجار مقابل اجر معين ثم تدرج الأمر في اوائل القرن الثامن عشر حين اخذ العمال يجتمعـــون في مكان واحد نظير اجر يتقاضونه ويتولى صاحب المصنع تصريـــف مـــا

ينتجونه من الأصناف وفي اواخر هذا القرن (الثامن عشـــر) بـــدأت المخترعات تظهر تدريجيا فتغيرت بذلك الحياة الصناعية .

ففي سنة ١٧٦٤ اخترع (هرجريفز) الانجليزي جهازا للغزل استطاع به الغزال ان يدير عدة انوال في وقت واحد ، ثم اخـــترعت الانوال لجعل الغزل دقيقا ومتينا مع استخدام قـــوة الميـــاء في ادارتـــه وانشئت مصانع عديدة على هذا الطراز الحديث في(بروكشـــير) و (لانكشير) بانجلترا ، كما تقدم النسيج واستخدمت قوة المياه في ادارة مصانع النسيج ، وقد تلت هذه الاختراعات اختراعات اخرى عديدة ترمي الى استخدام الآلات في كل ما كان يعمل باليد .

استخدام البخار :

ولقد زادت صناعة المنسوجات في الرقي والتطور بعد استخدام قوة البخار في ادارة الآلات ، وأصبحت الآلات البخارية بعد مجهودات المخترع الانجليزي (وات) سهلة العمل قليلة النفقـــات واســـتعملت فـــي (صناعة القطن) والصوف والتيل ....الخ ، وساعدت على ترقية صناعة التعدين لما يتطلبه من الآلات التي تستطيع المقاومة زمنا طويلا ، واستخدم الفحم لصهر الحديد والصلب في مراحل اعدت لهذا الغرض وتقدمت صناعة (الحديد والصلب) ، وتتابعت الاختراعات في هـــذه الصناعة فتضاعفت ثروة البلاد بذلك ولاشك ان تقدم صناعة الحديد كان يستدعي ابتكار طرق جديدة لاستخراج الفحم اللازم لصهـــره

وادارة الآلات ، المصنوعة منه ، وقد ابتكرت فعلا عدة طرق زاد بها مقدار ما يستخرج من الفحم .

على ان تأثير البخار لم يتناول الصناعات المتقدمة فحسب بل تعداها الى كل الصناعات الاخرى تقريبا ، فهناك صناعة (الطباعة) والورق التي نشطت الحركة الفكرية نشاطا عظيما وصناعة الغاز والمواد الملونة والمواد الكيماوية والعطرية ، وصناعة السكر والكبريت وغيرها مما يقترن بالحياة اليومية ، فكلها تأثرت بوسائل الصناعة الجديدة فضلا عن تأثير المواصلات لدرجة عظمى .

ولعل اهم ما امتاز به الانقلاب الصناعي الحديث ارتباطه بالعلوم ومباحث العلماء حتى أصبحت الصلة بين الاثنين متينة وقوية ، ثم ان الالات التي استخدمت تدريجيا في كل ما كانت تؤديه الأيدي استدعت انشاء المصانع الضخمة مكان المصانع الصغرى حتى توفر مزايا اقتصادية ورخص الاثمان ويلاحظ ان هذه المصانع قد تجمعت حول مصادر الفحم والحديد والمواني التي تستورد المواد الاولية للصناعة .

وتأسست الشركات المساهمة لبناء المصانع وشراء الالات والمواد الخام ودفع اجور العمال والمهندسين وبذلك نشطت الصناعة والتجارة نشاطا عظيما .

وكان من نتائج الانقلاب الصناعي تخفيض نفقات الانتاج مما تسبب في هبوط الاسعار وهذا مما سمح باتساع نطاق التجارة واستخدام

كل الايدي العاملة ، اما الطبقة التي اضر بها الانقلاب الصناعي حقيقة فهي طبقة الغزالين والنساجين وغيرهم من المنقطعين لحرفة خاصة فقد انتزعت منهم اعمالهم في وقت تضاعفت فيه الضرائب ، وارتفعت اسعار المعيشة ، وانقطع عنهم مورد رزقهم الزراعي ، ولكن هذا الضرر الذي لحق طبقة خاصة لا يذكر الى جانب ما عاد على الشعب عامة من الفوائد فقد استخدمت المصانع عددا كبيرا من الناس ورخصت المصنوعات وازدادت الثروة الاهلية وارتقت الحياة المادية وترتب على ذلك ايضا اتساع نطاق التجارة حتى اصبحت الحاجة ماسة الى اصلاح طرق المواصلات وترقية الملاحة والنقل البحري والبري على اثر استخدام البخار فيه وانشاء السكك الحديدية وقد انشئت اول سكة حديد (بين لفربول ومنشستر) سنة ١٨٣٠ وانشئت الكباري العظيمة فوق الانهار وشيدت الانفاق الطويلة في جوف الجبال وقد نشأ عن ترقية السكك الحديدية ترقية المواصلات البرية فأصبحت سريعة ودقيقة مع قلة في الاجور ، ولما اكتشفت الكهرباء واستخدمت تدريجيا في الصناعة والنقل والاضاءة استخدمت كذلك في تسهيل المواصلات بواسطة التلغراف والتليفون فارتبطت اجزاء البلاد ارتباطا وثيقا وازدادت الحياة نشاطا من كل الوجوه .

وكان من آثار الرقي الصناعي ان زاد التنافس على موارد المواد الخام في آسيا وافريقيا وزادت بذلك المنافسة الاستعمارية في هذه البلاد كما كان من آثاره زيادة عدد السكان في انجلترا لاسيما في الاقاليم

الصناعية حيث كثرت الهجرة اليها وزاد النسل ازديادا مضطردا لارتقاء الحياة المادية الناشئة من توفير المكاسب .

ولعل اكبر النتائج التي شاهدتها انجلترا بوجه خاص هي :

ظهور طبقات جديدة لم يعرفها المجتمع من قبل فقد كانت الزراعة في بادئ الأمر اكبر مورد للثروة ، ومن ثم كان نظام الحكومة قائما على حكم المزارعين واصحاب الضياع ، غير ان التغيير الصناعي ادى الى ظهور طبقة جديدة من الممولين الذين تولوا تشييد المصانع وتصريف انتاجها ، وسرعان ما ظهر تضارب في المصالح بين هذه الطبقة وأهل الطبقة المتقدمة ، مثال ذلك : كان المزارعين يرغبون دواما في حماية محصولاتهم ورفع اثمانها بتقرير ضرائب باهظة على المحصولات الخارجية بينما كان الممولون يرغبون في فتح الابواب للمحاصيل الخارجيةحتى تقل اثمان مواد الغذاء والمواد الخام اللازمة للصناعة فتقل معها نفقات الانتاج واجور العمال .

ونشأت طبقة العمال وقد حاولت هذه الطبقة الاشتراك في حكم البلاد ، وسنت الحكومة قوانين عديدة لحماية مصالح العمال ، وأنشأ العمال من جانبهم نقابات للدفاع عن مصالحهم ، ومازالوا يعتمدون على هذا السلاح حتى الآن .

وكان من أهم النتائج ايضا تلك اليقظة الفكرية المدهشة التي ترجع الى البيئة الجديدة والاختلاط العظيم الذي نشأ في المدن الصناعية الآهلة بالسكان ، ولعل اكبر مظاهر هذه النهضة ذلك التطور الذي

نشاهده في ميدان السياسة والدين والأدب والعلم والاقتصاد . اما في السياسة فنرى الرغبة ظاهرة في تطبيق المبادئ الدستورية الى اقصى معناها . وفي الاقتصاد لانرى النظريات تقف عند حد ، على ان النهضة العلمية والادبية تكاد تكون ارفع مظاهر هذا العهد ، فالصحافة اصبحت قوة هائلة لارشاد البلاد ، وتقدمت الكتابة في كل فن . واستطاع عدد كبير من حملة الاقلام ان ينقطعوا لخدمة العلم والأدب .

وزادت اعباء الحكومات في التعليم والصحة والمساكن والعناية بالأطفال والفقراء والمسنين واصحاب العاهات ، بعد أن كانت هذه الشئون كلها متروكة في القديم لرؤساء القرى ورجال الدين .

الانقلاب الصناعي خارج انجلترا :

واذا كانت انجلترا قد سبقت دول اوربا كلها في ميدان الصناعة فأثرت اثراء مدهشا ، فقد مزقت الحروب والثورات دول اوربا الأخرى عهدا طويلا ، وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت تلك الدول وفي طليعتها فرنسا تنافس انجلترا في صناعتها وتعمل على مطاردة الصناعة الانجليزية من اسواقها الداخلية ونازعتها في الاسواق الخارجية في اوربا .

ففرنسا استخدمت كل المخترعات والآلات الحديثة ولاسيما في صناعة المنسوجات حتى أصبحت تصدر منها في نهاية القرن التاسع عشر الشئ الكثير ، والمانيا التي لم يكن لديها صناعة تذكر قبل الاتحاد اخذت تطهر بلادها تدريجيا من الصناعة الاجنبية وتزاحم انجلترا في

صناعة المنسوجات القطنية والصوفية ، وصناعة المواد الكيماوية والاجهزة العلمية ، وكذلك صناعة الحديد والادوات الميكانيكية ، ولايقوم هذا التفوق على رخص اجور العمال كما يذهب بعض الكتاب ، بل على انتشار التعليم الصناعي والفني بين الطبقات ، وارتقاء العلوم واستخدام ارقى انواع الآلات ، والقدرة المدهشة على تنظيم الانتاج والتصريف ، ولقد اخذت الامبراطورية النمساوية ايضا في اعتاق نفسها من سيطرة بريطانيا والمانيا حتى ادى الأمر الى زعزعة التحالف بينها وبين المانيا نظرا للضرائب التي فرضتها على الواردات الالمانية .

اما ايطاليا التي لم تكن لها صناعة تذكر سنة ١٨٥٩ ، فقد ظهرت في معرض (تورين) سنة ١٨٨٤ امة صناعية عظيمة ، فان ايطاليا كانت ترغب في التخلص من القيود الاقتصادية كما تخلصت من القيود السياسية ، وزادت وارداتها من المواد الخام كالفحم والحديد والاقطان لرغبتها في ان تكون امة صناعية مستقلة بذاتها ، وذلك على الرغم من قلة الوقود والمعادن بها .

اما روسيا والتي كانت تقترن في الاذهان بالزراعة ، وكان يطلق عليها مطحنة اوربا لكثرة مزارع الغلال بها ، فقد أصبحت ايضا مملكة صناعية من الطراز الأول ، فقد قلت وارداتها المصنوعة منذ سنة ١٨٧٠ بحيث اصبحت لاتبلغ خمس الواردات ، والباقي مواد اولية

او مواد غذائية وليس هذا النقص ناشئا عن حماية الصناعة بـــل عـــن تقدمها .

مما تقدم نرى ان الصناعة التي كانت احتكـــارا لبعـــض الـــدول الاوربية منذ فجر نشأتها ، اصبحت لاوطن لها بعد ذلـــك ، فبينمـــا كانت انجلترا تحتكر صناعة المنسوجات في بداية القرن التاسع عشـــر نراها لاتنتج سنة ١٨٨٠ الا نحو ٥٥ في المائة منها ، وقد نقصت هـــذه النسبة سنة ١٨٩٣ الى ٤٩٪ ووصلت سنة ١٩١١ الى ٤١٪ ، وبينمـــا نراها في أعلى قائمة صناعة استخراج الحديد الخام الى ســـنة ١٨٨٠ لا نراها سنة ١٩٠٤ الا الثالثة (بعد الولايات المتحدة الامريكية والمانيا) وأما فرنسا التي احتكرت صناعة الحرير زمنا طويلا فقد خسرت هذا الامتياز في مطلع القرن العشرين نظرا لظهور صناعة مماثلة في روســـيا والنمسا والولايات المتحدة الامريكية وايطاليا والمانيا ، وكذلك الحال في سويسرا التي كانت تحتكر صناعة الساعات ، فقد اصبحت تنافس الآن في اسواق العالم ، الى غير ذلك من الامثلة العديدة التي تدل على توزيع مراكز الصناعة في انحاء اوربـــا والعـــالم ، وانتقـــال الانظمـــة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ظهرت بانجلترا اليها جميعا .

مبادئ الرأسمالية والاشتراكية :

شاهد القرن التاسع عشر في أوربا انقلابـــا خطـــيرا في النظـــم الاجتماعية والاقتصادية ، فانقلاب الصناعة ادى الى ظهـــور النظـــام الرأسمالي وانبثاق المبادئ الاشتراكية .

فقد نشأت المبادئ الرأسمالية في القرون الثلاثة الاولى التي سبقت الثورة الفرنسية ، فقد اخذ ينمو الى جانب الطبقة البورجوازية الجديدة التي ناصبت طبقة الاقطاعيين القديمة العداء ، وجاء الانقلاب الصناعي في اوربا اواسط القرن التاسع عشر فعزز سلطان الرأسمالية فأصبحت تسلطية (أي امبريالية) تحطم حواجز الدولة الوطنية لتطمح الى السيطرة على العالم في منافسة استعمارية بغيضة ، وقد دعا الاقتصاديون الرأسماليون الى اطلاق حرية الصناعة والتجارة والغاء النقابات ، غير ان هذه الحرية افادت اصحاب العمل وحدهم ، وكان العامل البسيط عاجزا عن مقاومتهم او الدفاع عن مصالحه ازاءهم ، ولما وقع الانقلاب الصناعي وتجمعت وسائل الانتاج في ايدي قليلة من الممولين الذين يستطيعون شراء الآلات وتحمل المزاحمة التجارية ، فانتهزوا هذه الفرصة لارهاق العمال وتخفيض اجورهم ، بينما كان اصحاب العمل ينعمون بثروة طائلة ، وأصبح الفريق الاكبر من الشعب العامل في حالة شديدة من الضنك وسوء العيش في بلاد الرخاء وتدفق الثروة .

ونفضت الحكومة يدها من الشئون الاقتصادية والصناعية اعتمادا على مبدأ الحرية الاقتصادية السائد في ذلك العهد ، على الرغم من ان حالة العمال كانت على درجة من الشدة بحيث تستدعي المعونة ، فقد كانت الاجور ضئيلة ، وساعات العمل طويلة والمصانع لاتتوافر فيها وسائل الامن والصحة ، والعمال لا يراعى فيهم السن

ولا يراعى لهم حق فازدادت الوفيات ازديادا عظيما وسقطت الحيـــاة الاجتماعية والأدبية سقوطا معيبا .

لهذا نشأت المبادئ الاشتراكية التي نقدت مبـــادئ النظـــام الرأسمالي الحر ، ونسبت اليه انحطاط الانتاج وسوء التدبير والفوضـــى الناشئة في الحالة الاقتصادية والاجتماعية ، وهكذا فقد حمـــل النظـــام الرأسمالي في طياته بذور المبادئ المضادة نظرا لأنه كان يعطي المكسب كله لطائفة قليلة من الرجال ويضع الملايين من الصناع في حالة شديدة من البؤس والفقر الشديد ، ولذا فقد اجمع الاشتراكيون على اعـــادة تنظيم الحياة الاقتصادية ، ووضع حد لارهاق العمال واستبعاد الانسان لاخيه الانسان .

ويمثل المبادئ الاشتراكية في مطلع القرن التاسع عشر (ســـان سيمون) الفرنسي (١٧٦٠-١٨٢٥) وكان يذهب الى توزيع المـــواد بطريقة عادلة ، ويرى من الواجب ان يتولى ادارة الحكومة المفكـــرون والعمال ، وظهر في فرنسا ايضا (فوربيه) (١٧٧٢-١٨٣٧) وكان يدعو الى التعاون في العمل لاصلاح النظـــام الاقتصـــادي الحـــاضر ، أما(روبرت اوين) الانجليزي (١٧٧١-١٨٥٨) فقد اقترح تنظيـــم الحياة الاقتصادية على قاعدة الغاء النظام الرأسمالي ، ولكنـــه عـــاد في النهاية فاقترح تنظيم الصناعة والزراعة والتجارة على قاعدة التعاون .

ثم تحولت الاشتراكية الى مبادئ عملية في مرحلة تاليـــة وكـــان يقودها (لويس بلان) في فرنسا (وكارل ماركس) في المانيا . امـــا

لويس بلان (١٨١٢-١٨٨٢) فقد بسط في كتابه (نظام العمـــل) خطة عملية لاشتراكية تعضدها الحكومة فقال : ان لكل انسان الحق في العمل وأن من واجب المجتمع ان يهيئ اسباب العمـــل وبالتـــالي مـــن واجب الحكومة التي تمثل المجتمع ان تهب للعمال المال اللازم لتأسيس مصانع اهلية يجني منها العمال فوق اجورهم نصيبـــا مـــن الاربـــاح . اما(كارل ماركس) (١٨١٨-١٨٨٣) فقد دعا الى امتـــلاك الامـــة لمواردها ، وتقدم بقاعدة في تفسير التاريخ تبدو كأنها تصنع المـــاضي والحاضر والمستقبل وفي ترتيب منطقي محتوم ، ترى فيها ان الشـــيوعية البدائية قد تراجعت امام النظم الاقطاعية التي حلت محلها ، ثم خلفت البرجوازية الرأسمالية النظم الاقطاعية ، وقد جاء الآن دور الطبقـــات العمالية لسلب الطبقات البرجوازية وانتزع مافي ايديها بوسائل العنف وقال : بأن الطبقات البرجوازية هي التي انجب خلقها ظهور الطبقـــة المقابلة والمعادية لها : وهي طبقة العمال وكان ماركس يمقت القوميـــة ويحتقر الحرية ويذهب الى نبذ الدين لأنه افيون الشعب .

وقفز اسم ماركس فجأة خلال ثـــورات ســـنة١٨٤٨باصداره منشورا شيوعيا تقدم فيه بفلسفة جديدة للتـــاريخ وبرنـــامج جديـــد للاصلاح الثوري ، ثم الف كتابه الذائع الصيت (رأس المال) الـــذي ظهر عام١٨٦٧والذي يعتبره الشيوعيون في العالم كتابهم المقدس .

ولقد احرزت الافكار الاشتراكية تقدما ونجاحا كبـــيرا في نهايـــة القرن التاسع عشر بالوسائل الدستورية عن طريق انشـــاء نقابـــات

العمال وتشجيع التشريع الاشتراكي لمصلحة العمال كما حـــــدث في انجلترا وفرنسا وغيرها من دول اوربا ، ثم نجحت اخيرا بوسائل الثورة والعنف في قلب النظام في روسيا سنة١٩١٧ .

المبادئ الديمقراطية

كان الانقلاب الصناعي في أوربا وما نشأ عنه من تغير سياسي واجتماعي وفكري أهم الحوادث شأنا في القرن التاسع عشر ، فقد نمت مبادئ الديمقرطية والحرية السياسية في هذا العهد نموا سريعا ، فقد نشأ عن الانقلاب الصناعي وما انطوى عليه من استخدام الآلات مكان الأيدي العاملة ان اشتد الضيق بالكثير من السكان لاسيما بعد أن أخذت الدول الأوربية تحذو حذو انجلترا في استخدام الآلات وتعمل لحماية المتاجر والمصانع الحديثة من ضغط المنافسة الخارجية ، هذا الى أن مصالح المزارعين الذين كانوا يخشون منافسة الدول الأجنبية بعد انتهاء الحروب الأوربية اضطرت الحكومة الى حماية محصولاتهم ،فارتفعت أثمان الغلال واشتد الضيق بالأهالي اشتدادا عظيما ، فتحولت الأنظار الى اصلاح النظام النيابي واصلاح الحكومة .

وكان النظام النيابي في بريطانيا حينئذ يقوم على ثلاث قواعد : الملك ومجلس اللوردات الوراثي ومجلس النواب . وقد كان المبدأ المعمول به أن الملك يملك ولكنه لا يحكم ، وان الهيئة التنفيذية تتألف من حزب الأغلبية في مجلس النواب سواء أكان حزب المحافظين أم حزب رجال الأعمال .وقد كان الحزب الأول يشمل أصحاب الضياع الواسعة من طبقة المحافظين الذين يرغبون في ازدياد نفوذ الملكية في ادارة الحكومة ، وكان الحزب الثاني يتألف من التجار وأصحاب

المصانع من ذوي الآراء الحرة الذين كانوا يريدون تضييق سلطة الملكية وسيادة نفوذ الشعب .

وكان الانتخاب لمجلس النواب يرجع عهده الى القرن الرابع عشر ، وكان يبيح التصويت لطبقتين فقط من طبقات الشعب :

الاولى :أصحاب الأراضي الذين يتقاضون ايجارا لايقل عن ٤٠ شلنا في الأقاليم .

الثانية : أعضاء البلديات وغيرهم من ذوي الامتيازات في المدن .ولذا اقتصر عدد الناخبين في سنة ١٨١٥م على ٤٤٠٠٠٠ ناخب ، في حين أن عدد السكان بلغ حينئذ نحو عشرين مليونا ، وكان يبلغ عددأعضاء المجلس ٦٥٨ نائبا.

وكانت الدوائر الانتخابية موزعة توزيعا سيئا ؛ فكانت ايرلاندا تنتخب مائة نائب عن ستة ملايين من السكان وكانت اسكتلندا تنتخب ٤٥ نائبا عن مليونين فقط فكان العضو الواحد اذن يمثل مالا يقل عن ٥٥٠٠٠ نسمة ، في حين ان انجلترا التي كان يبلغ سكانها اثنى عشر مليونا كانت تنتخب ٥١٣ نائبا أي بنسبة عضو لكل ٢٣٠٠٠ نسمة . ويلاحظ انه كان يمثل الاقاليم في المجلس ١٨٦ عضوا وكان عدد الناخبين فيها ٤٢٠٠٠٠ ناخب في حين أنه كان يمثل المدن ٤٦٧ عضوا مع ان عدد الناخبين فيها لم يزد عن خمسة عشر ألف فقط.

ومن جهة اخرى كانت الدوائر الانتخابية على حالتها التي تقررت في القرن الرابع عشر ، على الرغم من التقلبات التي مرت

عليها من ازدياد أو نقص في السكان ، فقد كان لمدينة لندن من الاعضاء في القرن التاسع عشر ، ما كان لها في القرن الرابع عشر مع ان سكانها ازدادوا من خمسين ألف نسمة الى ما يربو عن المليون في سنة ١٨١٥ ، وقد كانت مدينة مانشستر مثلا محرومة من التمثيل في المجلس لأنها لم تكن في القرن الرابع عشر الا قرية صغيرة في حين أنها قد أصبحت في القرن التاسع عشر من أكبر المدن الصناعية والتجارية . وهناك كثير من المدن القديمة التي سقطت سقوطا عظيما في القرن التاسع عشر بحيث لم يبق في كثير منها الا القليل من الناخبين ومع هذا فقد احتفظت بنوابها الذين تحددوا لها من قديم . وقد كانت هذه المدن في قبضة بعض الاسرات يتصرفون بمقاعدها لذويهم وأصدقائهم ، على أن قلة الناخبين في أغلب المدن سهل الرشوة وما اليها من وسائل افساد الأخلاق لا سيما وقد كانت سرية الانتخابات معدومة مما جعل الانتخاب صوريا لايمثل الشعب بحال .

حركة الاصلاح النيابي :

هذا هو حال النظام النيابي في انجلترا في فاتحة القرن التاسع عشر . فلما اشتدت الأزمة الاقتصادية في البلاد من جراء كساد المتاجر وارتفاع أسعار الغلال ، وتعززت مبادئ الاصلاح النيابي بتأثير الثورة الفرنسية وكتابات المفكرين أمثال بنتام وغيره ، تزعزع الأساس الذي ارتكز عليه النظام القديم ، وتحولت الأنظار الى اصلاح النظام النيابي على قاعدة التصويت العام وسرية الانتخابات وتقصير أجل

مجلس النواب ، فعقدت الاجتماعات في أنحاء المملكة وأقيمت المظاهرات تعزيزا لها حتى خيف أن يتزعزع أساس السلم وتندفع البلاد في طريق الثورة الفرنسية وما نشأ عنها من القوة والعنف وأعمال الفوضى والاجرام . فأخذت الحكومة تضرب على يد الأحرار والداعين الى تعديل نظام الحكومة بشدة لا تتجاوزها شدة مترنيخ ، فأصدرت ما يعرف بالقوانين الستة (١٨١٩) وهي تنص على تقييد حرية النشر والخطابة ومناهضة أنصار التغيير والانقلاب .

الا أن حركة الاصلاح سارت مع ذلك في طريقها يعززها الأحرار من أنصار الحزب المعارض للحكومة حينئذ وهو حزب(رجال الأعمال) فلما سقطت الوزارة اثر الانقلاب الذي وقع في فرنسا في سنة ١٨٣٠ م تولى حزب رجال الأعمال مقاليد الاحكام برئاسة لورد جراي فأسرع الى تقديم خطة معتدلة للاصلاح النيابي،ولكنها لاقت معارضة قوية من جانب خصومه على زعم أن هذا المشروع يعرض انجلترا لاسوأ أنواع الاستبداد وهو استبداد العامة وأنصارهم من الكتاب والصحفيين .وحينئذ أعلنت الحكومة حل المجلس واجراء انتخابات جديدة ، فكانت الاغلبية لمصلحتها ، ولذا وافق المجس الجديد على مشروع الاصلاح ، ولكن مجلس اللوردات أبى أن يصادق عليه ،فتحرك الرأي العام في البلاد ، وأقيمت مظاهرات عدة كانت تنذر بسوء الحال . غير أن الحكومة قررت أن تعين عددا من

الأشراف حتى تفوز بالموفقة على مشروع الاصلاح ، وحينئـــذ عـــاد مجلس اللوردات ادراجه وصادق على المشروع في (يونيو ١٨٣٢م).

وكان هذا المشروع ينص على توزيع الدوئر الانتخابية توزيعـــا عادلا ويادة عدد الناخبين .وأبقى القانون على تقسيم البلاد الى مـــدن ومقاطعات ، ولكنه قضى علىالمدن غير الآهلـــة بالســـكان ، ووزع المقاعد التي كانت تخصها –وكانت تبلغ ١٤٣مقعدا –علـــى المـــدن الجديدة التي لم تمثل الى الآن في مجلس النواب ،هذا فضلا عن العنايـــة بالأقاليم التي لم تعط نصيبا وافرا من النيابة في النظام القديم .

ومن جهة أخرى تغيرت قواعد الانتخابات بحيث خول حـــق التصويت لمن يدفع ايجارا لايقل عشرة جنيهات في المدن وخمسين جنيها في الأقاليم ، ولذا ارتفع عدد الناخبين الى (٨٠٠٠٠٠)واســـتطاعت الطبقة الوسطى أن تشترك في حكم البلاد بلا استثناء ديني ولامذهبي ، وفي سنة ١٨٣٥م جاءت النتيجة المنطقية لهذا التغيير بأن أعيد تنظيـــم المجالس المحلية على الأساس الجديد .

طبقة العمال:

بقيت طبقة العمال وحدها بلا صوت يدافع عـــن مصالحهـــا في مجالس الحكم ، الاأن بعض رجال الحكومة الذين دفعتهـــم الشـــفقة والانسانية أخذوا على عاتقهم حماية بعض مصالح هذه الطبقة ، ثم ان العمال من جهتهم أقبلوا على الارتباط معا لاستخدام قـــوة المجمـــوع مصلحة الأفراد في كل ما يختص بالأجر ونظام العمـــل ...الخ .الا أن

مساعدة رجال الحكومة بقيت محدودة تلقاء مقاومة برلمان مؤلف من اصحاب الأعمال ، وبقيت مساعدة العمال لأنفسهم محدودة كذلك نظرا للتضييق في هذا العهد على نقابات العمال .

ومن ثم اشتد الضيق بالعمال في زمن ارتفعت فيه أسعار القمح وقلت فيه الأجور وكسدت المتاجر ، فالتجأ العمال الى المطالبة بحقوقهم السياسية رغبة في تحسين حالتهم الاقتصادية . وقد تذرعوا في هذا النضال تارة بالعنف وأخرى بالاقناع والحجة ، ففي عام ١٨٣٥م انشأ العمال اتحادا بزعامة (أوين)الذي اشتهر بالكتابة في الشئون الاجتماعية والسياسية ، وحددوا خطة هذا الحزب الجديد في اجتماع عقد في برمنجهام في أغسطس سنة١٨٣٨وفق النظام الآتي : التصويت العام –سرية الانتخابات –تغيير مجلس النواب سنويا –مكافأة النواب. وقد أطلق على هذه الخطة اسم مرسوم الشعب(Charter Of the People) ومن هنا نشأ اسم (Chartist Movement) الذي أطلق على حركة الاصلاح النيابي التي قام بها العمال خلال السنوات التالية لاجتماع برمنجهام .

على أنه لما كانت مسألة العمال في الواقع مسألة اقتصادية كما ذكرنا فقد كان الغاء قوانين سنة١٨٤٦(وهي القوانين التي وضعت لحماية المزارعين من خطر المزاحمة الأجنبية) داعيا لازدياد الرخاء وتحسين أحوال العمال تحسنا مطردا حتى أخذت قوة المطالب السياسية تتلاشى تدريجيا . فلما حاول بعض العمال سنة١٨٤٨أن يقوموا

بمظاهرات تشبه مظاهراتهم التي قاموا بها في سنة١٨٣٩وسنة١٨٤٢ متأثرين بأخبار الثورة في اوربا ، أسقط في يدهم وفشلوا فشلا تامـــا . واذا كانت الأحوال تدرجت فيما بعد ، وغيرت قوانين الانتخاب حتى شملت طبقات العمال ، فلم يكن ذلك نتيجة لجهود العمال وحدهم ، بل نتيجة لأحوال سياسية طارئة .

أما عن العمال فلا ريب أن السياسة الاقتصادية الـــتي اتبعـــت تدريجيا وهي سياسة الغاء القيود التي كانت تقيد حرية التجارة والملاحة وفتح أسواق جديدة في أوربا وغيرها للصناعة الانجليزية كان من شأنها أن تضاعف الرخاء المادي الذي تمتع به العمال ، وهذا دعا الى ازدياد الرغبة في الاشتراك في الحكم حتى يمكن الغاء قيود النقابات واصـــلاح أحوال العمال اصلاحا اجتماعيا . وقد قاموا لتعزيـــز هـــذا الغـــرض بمظاهرات واجتماعات عديدة من سنة١٨٥٩الى ســـــنة١٨٦٦وكان يعززهم في ذلك الأحرار الذين تطورت آراؤهم منذ سنة١٨٣٢بحيث أصبحوا يتشبثون بالأنظمة الديموقراطية في أكمل صورهـــا ، بـــل أن المحافظين الذين طالما كانوا عقبة في سبيل الاصلاح تخلوا عن معارضـــة الرأي العام ومناجزة رغباته في الاصلاح . ويعزى هذا الانقـــلاب الى رجلهم الكبير (دزريلي) كما يعزى انقلاب الأحرار الى غلادستون .

ودزريلي هذا من أسرة يهودية تحولت الى الكنيسة الانجليكانية ، وقد نال شهرة عظمى في عالم الأدب والسياسة ، فلما تولى الزعامة في حزبه سعى جهده في تطور أراء هذا الحزب تطورا عظيما حتى تعلـــق

بمبادئ الاصلاح السياسي والاجتماعي ، وهيأ نفسه للكفاح العظيم الواقع بين الاحزاب في ذلك الوقت . أما غلادستون فقد اشتغل في السياسة من صغره واشتهر بالفصاحة ومعالجة أدق الأمور السياسية والمالية بالحكمة ، هذا مع التزام الحق والعدالة في كل طور من أطوار حياته حتى ارتفعت السياسة في يديه الى منزلة لم ترتفع اليها في عصره ، أضف الى ذلك دقته في التفكير واناته في البحث وقدرته على التمشي بحزبه في طريق المبادئ الراديكالية السائدة في عصره . على أنه اذا كانت الظروف كلها قد تهيأت لمصلحة العمال فقد دلت التجارب أيضا أن قصر الانتخاب على طبقة معينة يدعو الى استمرار أساليب الرشوة التي جعلت الانتخابات في انجلترا ضربا من الهزؤ والسخرية . ثم ان السكان ازدادوا بين سنة١٨٣٢وسنة١٨٦٧نحو ٤٠ في المائة . وهذه الزيادة لم توزع على البلاد توزيعا عادلا . فبينما كانت بلدة توتنس مثلا تتمتع بعضوين عن سكان لا يبلغون أربعة آلاف ، كانت لفربول بسكانها الذين كانوا يبلغون٤٠٠٠٠٠نسمة تنتخب مثل هذا العدد .

لذلك حاول غلادستون في سنة١٨٦٦أن يطابق بين نظام الحكومة وحالة البلاد الحقيقية بعض المطابقة ، فقدم مشروعا الى البرلمان بتعديل قواعد الانتخاب وتوزيع الأعضاء توزيعا يتناسب مع السكان . الا أن ذلك المشروع رفض باجماع المحافظين . فاستقالت الوزارة ، وطاف غلادستون في البلاد ليفوز بتأييد الأمة لبرنامج

الاصلاح ، فاضطرت وزارة دزريلي تلقاء اجماع الشعب ، أن تقـــدم مشروعا محدودا لاصلاح قواعد الانتخاب واعادة توزيع المقاعد ، الا أن هذا المشروع عدل تعديلا تاما على يد المجلس ، فـــوزع الأعضـــاء توزيعا عادلا على البلاد ووسعت قاعدة الانتخاب حتى شملت الصناع.

ولتحقيق هذه الأغراض أخذ مالا يقل عن ٥٨مقعدا من البـــلاد الصغرى ووزعت على المدن الكبرى ، هذا الى أنه قـــد منـــح حـــق الانتخاب في الأقاليم لمن يدفع ايجارا لا يقل عن اثنى عشر جنيهـــا في السنة ، وفي المدن لكل من يدفع ضريبة الفقراء أو يسكن منزلا لا يقل ايجاره عن عشرة جنيهات ، وهكذا امتد حق الانتخاب الى ما لايقـــل عن المليون معظمه من العمال ، ولما كان نظام الانتخاب السري قـــد تقرر في سنة١٨٧٢فقد سارت انجلترا خطوة واسعة نحو الديموقراطية .

ولكي يتم هذا الاصلاح صدر قانون تمثيـــل الشـــعب (٨٤- ١٨٨٥) على يد غلادستون وهو يشمل اعادة توزيع المقاعد النيابيـــة بحيث تنقل من البلدان الصغيرة الى المدن الكبرى والاقاليم ، هذا فضلا عن اضافة اثنى عشر دائرة جديدة وجعل شروط الانتخاب في الاقاليم مطابقة لشروطها في المدن ، مع مراعاة ان تكون النسبة عضوا لكـــل خمسين ألف من السكان ، وهكذا ارتفع عدد الناخبين الى اربعة ملايين واستطاع الزراع ان يفوزوا بما فاز به الصناع .

ولم تصل هذه التغيرات بالبلاد الى الديموقراطيـــة الحقيقيـــة القائمة على التصويت العام لأنها حرمت النساء جميعا حق الانتخـــاب

فضلا عن الكثيرين من الخدم والزراع وغيرهم ، هذا الى أنه اشترط ان يقيم الناخب سنة كاملة على الأقل في دائرته حتى يقيد في سجل الانتخاب ، وابيح تعدد الاصوات لمن لهم املاك في جهات متعددة لاسيما وأن الانتخاب لم يعقد حينئذ في يوم واحد ، غير ان هذا النقص عولج تدريجيا .

وفي عام١٩١٨تم أعظم اصلاح شاهدته انجلترا في نظامها النيابي وهو اعطاء المرأة حق الانتخاب فأصبح لها ما للرجل من الحقوق السياسية ، ومن ثم أصبحت الحكومة في انجلترا تمثل الأغلبية العظمى من الشعب ، ولا توجد هيئة تستطيع معارضة قرارتها الا هيئة الحزب المعارض التي بغيرها تصبح الحكومة حكومة استبدادية ، كما أصبح من المستحيل الاعتماد على القوة والعنف لتنفيذ أغراض خاصة في مثل هذه البلاد البرلمانية .

أ همية الرأي العام :

أصبح للرأي العام في انجلترا أهمية كبيرة في القرن التاسع عشر ، وأخذ التشريع في انجلترا يتمشى مع الرأي العام الذي أخذ يعبر عن نفسه بوسائل عديدة ، أهمها الصحافة والجمعيات السياسية وكتابات المفكرين ، وهذا التقدم لامثيل له فى القرون التي تقدمته ، ويرجع هذا التقدم أيضا الى سهولة المواصلات وتقدم وسائل النشر واصلاح المجالس النيابية . بحيث أصبح الرأي العام كالمرآة تعكس آراء الشعب الحقيقية .(محمد قاسم وزميله، تاريخ القرن ١٩في أوربا ،الطبعة الثالثة ،١٩٤٥م،ص٢٢٢-٢٣٢).

اوربا من سنة ١٨٧٠-١٩١٤:

على الرغم من ان المانيا نجحت في تحقيق الاتحاد الالماني عن طريق الحرب ، لكنها اتجهت بعد ذلك الى السلام ، فقد ادرك المستشار الالماني (بسمارك) ان المانيا في حاجة ماسة الى السلام للاحتفاظ بما حققته من نصر ، لكي تتفرغ لاصلاح احوالها الداخلية ، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وسعى لعزل فرنسا سياسيا عن سائر الدول الاوربية ، فدخل مع دول اوربا في عدة محالفات لتقوية وتأمين المانيا كما سعى الى اقامة العقبات امام فرنسا تحول دون دخولها في أحلاف لكي تظل ضعيفه لا تجرؤ على حرب المانيا والانتقام منها .

وهذه المحالفات هي :

١-التحالف الودي : بين المانيا والنمسا وروسيا سنة ١٨٧٢ تم فيه الاتفاق بين الاباطرة الثلاث (امبراطور المانيا وامبراطور النمسا وقيصر روسيا) على التعاون دون فرنسا ويطلق على هذا التحالف بأنه (عصبة الأباطرة الثلاث) اتفقوا فيه على الابقاء على الحدود الراهنة لأوربا والعمل على تسوية المشكلات الناجمة عن المسألة الشرقية (مشاكل تركيا في اوربا) والمعاونة على اخماد الحركات الثورية في اوربا والعمل على الوقوف في وجه المبادئ الاشتراكية التي بدأت في الظهور .

٢- التحالف الثنائي : الذي أبرم بين المانيا والنمسا في عام ١٨٧٩ وهدفه مناوئة روسيا بعد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ فقد تصادمت

مصالح النمسا وروسيا تصادما قويا في هذا المؤتمر وأبت المانيا أن تؤيد روسيا تأييدا كافيا في أطماعها في تركيا فأنسحبت روسيا من الوفاق الثلاثي تدريجيا (عصبة الأباطرة) فاضطرت المانيا الى الاسراع لعقد ارتباط دولي جديد بينها وبين النمسا سنة ١٨٧٩ على قاعدة المعونة المطلقة المتبادلة لكي تأمن النمسا التهديد من روسيا وتأمن المانيا التهديد من فرنسا .

٣- التحالف الثلاثي : ولم يلبث هذا التحالف الثنائي بين المانيا والنمسا أن تحول الى تحالف ثلاثي عندما انضمت اليه ايطاليا سنة ١٨٨٢م ويرجع السبب في هذا التحالف الى أن فرنسا بدأت تتوسع في افريقيا فأعلنت حمايتها على تونس سنة ١٨٨١، ولما كانت ايطاليا تطمع في تونس لأنها مواجهة لشواطئها ولذلك انضمت الى المانيا في هذا التحالف الثلاثي غير ان مصالح النمسا وايطاليا تضاربت تضاربا عظيما في البلقان وشرق البحر المتوسط والأراضي الايطالية الباقية في حوزة النمسا وزاد من ضعف هذا التحالف أن المانيا ساعدت تركيا في حربها مع ايطاليا سنة ١٩١١ عندما احتلت ايطاليا ليبيا .

محاولات فرنسا التحالفية :

انتهزت فرنسا فشل المحالفات التي عقدت بين الأباطرة الثلاث لتضارب مصالحهم وبدأت من جانبها في عقد محالفات مع روسيا وانجلترا وكان أولها :

١- المحالفة الفرنسية الروسية : كان لابد من التقاء المصالح الفرنسية والروسية بعد أن أصبحت المانيا أقوى دولة أوربية ورغم اختلاف المصالح واختلاف النظام السياسي بين فرنسا وروسيا ففرنسا نظامها جمهوري ديموقراطي وروسيا نظامها قيصري استبدادي ، الا أن المصالح المشتركة هي التي قادت الى التحالف الفرنسي الروسي سنة١٨٩١ .

٢- الوفاق الودي بين بريطانيا وفرنسا سنة١٩٠٤وهو الذي تم فيه الاتفاق بين الدولتين على ان تطلق فرنسا يد انجلترا في مصر كما تطلق انجلترا يد فرنسا في مراكش وبذلك رفع هذا الوفاق فرنسا الى منزلة قوية ولم يلبث هذا الوفاق الثنائي أن تحول الى وفاق ثلاثي دخلته روسيا ١٩٠٧وذلك عندما تقاربت انجلترا وروسيا في سنة١٩٠٧وسويا الخلاف القائم بينهما في بلاد فارس الى منطقتي نفوذ احداهما شمالا لروسيا والأخرى جنوبا لبريطانيا ، وبذلك نشأ الوفاق الثلاثي الذي أصبح يوازن التحالف الثلاثي .

خروج بسمارك :

اعتلى (ولهلم الثاني) عرش المانيا سنة١٨٨٨وبدأ يطمح الى تحقيق آمال الشعب الألماني في مجالات كثيرة وعلى الأخص في مجال الاستعمار خارج اوربا فقد ازداد سكان المانيا زيادة تدعو الى ايجاد مواطن جديدة لهجرتهم وأسواق جديدة لتصريف صناعتهم التي تقدمت وكانت سياسة بسمارك تعمل بطريقة تدريجية من أجل تثبيت

قدم الامبراطورية الالمانية قبل كل شئ ولما تضاربت سياسة الامبراطور مع سياسة بسمارك تم عزل بسمارك سنة ١٨٩٠.

وهكذا حقق بسمارك بسياسته الاوربية هدفه في تقوية مركز المانيا وفرض العزلة على غريمتها فرنسا ، وبأفول نجمه السياسي تطوي صفحة بارزة في تاريخ المانيا بل اوربا السياسي وتبدأ فترة جديدة بعد انسحابه من ميدان السياسة الدولية عرفت هذه الفترة بسلسلة من التحالفات الدولية التي مهدت للحرب العالمية الثانية .

اندفعت المانيا في انشاء جيش عظيم واسطول قوي وجعلت تعزز قواعدها البحرية حتى اصبحت مضرب الأمثال في المنع والقوة وعملت انجلترا وروسيا وفرنسا كل منها على زيادة قواتها البرية والبحرية ، وكان هذا التسابق في التسليح نذيرا سيئا للحرب .

دعاة الحرب في ألمانيا :

وقد وجدت في المانيا أفكار سيئة تحض على استعمال القوة فالمفكر الالماني (نيتشه) ذهب الى :" أن الأرض ارث القوي والمستقبل للشعب المتفوق على الجميع ، وأن المسيحية بحضها على الرفق بالعاجز والضعيف لا تصلح لأن تعيش فان البقاء حق الأصلح والقوي وحده " .واذا كان (نيتشه)عن غير قصد قد أوحى الى الألمانيين رسالة السيطرة والسلطان فان (تريتشه)قد جعل الدعوة صريحة مباشرة لاتحتمل التأويل فقال:

"ليس ذلك الشعب المتفوق الا الشعب البروسي ،وقد بلغ تفوقـــه بطريق الحرب وبالحرب يجب أن يبلغ المركز الذي خلق له ، فان مـــن أعظم الخطايا أن تتردد الأمم في استخدام قوتها ، واذا كان الغـــرض الصالح يبرر الحرب ، فأنا أقول ان الحرب الناجحة تبرر كل غـــرض ، وليست الحرب الا سياسة في أرفع مظاهرها ، انها الدواء الهائل الناجع لشفاء أدواء العالم " [1]

وقد عبرالمفكر الألماني (برناردي) عن ضرورة اللجـــوء الى القوة بعبارة أوضح فأشار الى بريطانيا كالحائل بين ألمانياوبين عظمتهـــا ودعا قومه الى محاربتها لوصول ألمانيا الى المكانة التي خلقت لها .

الدعوة الى عصبة الأمم :

عندما سمع العالم دعوة الحرب تتردد في ألمانيا حركت هذه الدعوة في كثير من الكتاب والمفكرين شعور الخطر الداهم فشنوا هجوما على الروح الحربية التي كانت تدفع العالم الى هاوية بعيدة القرار ، ورسمـــوا خطة للسلم على قاعدة احترام القانون بين الدول .وهذا المبدأ الـــذي نادى به (ليون بورجوا)في أوربا والرئيس (ولسن) في أمريكا كـــان يتضمن انشاء(عصبة الأمم) التي تتولى الحفاظ على السلم ومراعـــاة القانون بين الدول كما تفعل الحكومة بين رعاياها .

وحاولت (الدولية الاشتراكية) أن تحافظ على الســـلم بطريقـــة عملية ، وهي اتفاق العمال في أنحاء العالم على ألا يعـــاونوا في اذكـــاء

---

[1] محمد قاسم وحسين حسني ، مرجع سبق ذكره ص٣١٠-٣١١.

النار التي كانت تعدها الحكومات وأن يقعدوا عن المساعدة اذا نشبت الحرب .الا أن هذه الاصوات لم تتعد الحيز النظري المحض .

مشكلات مهدت للحرب :

شهدت أوربا في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى بعض المشكلات الدولية التي اختلفت الدول الكبرى في حلها ، وكان في الامكان حل هذه المشكلات لولا الروح العسكرية التي كانت سائدة بين الدول الكبرى ، وأبرز هذه المشكلات :

مشكلة مراكش : عام ١٩٠٥م :

كانت فرنسا قد احتلت الجزئر في سنة ١٨٣٠ وتونس سنة ١٨٨١م وكانت تعمل منذ أوائل القرن العشرين لبسط سيطرتها على مراكش (المغرب الآن) ودعمتها بريطانيا في هذا الاتجاه لكن ألمانيا نازعت فرنسا في السيطرة على مراكش ،وقام امبراطور ألمانيا بزيارة الى ميناء (طنجه) وأعلن أن حكومته لن توافق على أى تغيير في ادارة تلك البلاد من غير رضاها .وهذا معناه أنها كانت تأبى مد نفوذ فرنسا من غير تعويض لها واعلن الامبراطر مساندة المانيا للسلطان المغربي للاحتفاظ باستقلال بلاده .

لكن تكتلت الدول الكبرى مع فرنسا في مؤتمر الجزيرة سنة١٩٠٦ فقد قرر المؤتمر ان يعهد لفرنسا بالحفاظ على الأمن في المغرب ، ولم تجد ألمانيا بجانبها الا النمسا ،لكن ظلت المانيا متحفزة لفرنسا في مراكش حتى سنة ١٩١١م عندماأرسلت فرنسا جيشها

لاحتلال مراكش فغضبت ألمانيا وتحرشت بمدفعيتها في بعض موانـــــي المغرب وكاد الأمر يؤدي الى نشوب حرب أوربية ، لولأ ن تم عقــــد مؤتمر الجزيرة مرة أخرى سنة ١٩١١م وتقررفيه اطلاق يد فرنســـا في مراكش نظير التنازل عن جزء من الكنغوالفرنسية لألمانيا .

مشكلة البوسنة والهرسك :(١٩٠٨)

سبب هذه المشكلة أن النمسا انتهزت ضعـــف تركيـــا وكــثرة مشاكلها الداخلية بسبب ثورة جماعة الاتحاد والترقي على الســــلطان عبد الحميد فأعلنت في عام ١٩٠٨ م ضم ولايتي البوسنة والهرســـك التابعتان لتركيا وكانتا تحت ادارة النمسا منذ قررمؤتمر برلين ذلك سنة ١٨٧٨م ومن ناحية أخرى أثار هذا العمل الصـــرب مـــن ســـكان الولايتين الذين كانوا يطمحون الى الاستقلال ، وهذا مما أدى الى زيادة التوتر الدولي .

مشكلة سراجيفو (١٩١٤):

اشتعلت الحرب في البلقان في سنوات١٩١٢،١٩١٣،١٩١٤م بسبب ازدياد الروح القومية بين دول البلقان ومطالبتها بالانفصال عن تركيا ،ومما زاد من المشكلة أن روسيا كانت ترغب في بسط نفوذهـــا على شبه جزيرة البلقان ،والهيمنة على البسفور والدردنيل المؤديـــة الى البحر المتوسط ، وفي٢٨ يونيو ١٩١٤ قام طالبان من الصرب باغتيال ولي عهد النمسا وزوجته في سراجيفو ، وتســـببت هـــذه الحادثـــة في اشتعال الحرب العالمية الأولى .

فأعلنت النمسا والمجر الحرب على صربيا بتشجيع من ألمانيا ، وبـــدأت الدول المختلفة تعلن التعبئة العامة لجيوشها ، وهكذا أفلت زمام الأمور من يد المعتدلين وأصبح في يد العسكريين .

ودخلت ألمانيا الحرب الى جانب النمسا والمجر ، كمـــا دخلـــت روسيا الحرب الى جانب الصرب ، وأعلنت بريطانيا وفرنسا الحـــرب على ألمانيا والنمسا والوقوف مع حليفتهما روسيا ، وفي ســـنة ١٩١٥ دخلت ايطاليا الحرب الى جانب الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) ودخلت تركيا الحرب متأخرة الى جانب دول الوسط (ألمانيا والنمسا والمجر) ودخلت بلغاريا الحرب في عـــام ١٩١٥ م الى جـــانب دول الوسط . أما رومانيا فدخلت الحرب الى جانب الحلفاء .

أما أمريكا فقد أعلنت الحرب على دول الوسط في سنة ١٩١٧م وحذت معظم دول أمريكا الجنوبية حذوها .ودخلت البرتغال الحرب مع الحلفاء بحكم صلتها القوية مع بريطانيـــا .أمـــا الصـــين واليابـــان فقدانضمتا الى الحلفاء رغبة في الاستيلاء على أملاك المانيافي الشـــــرق الاقصى ، وفي الشرق الأوسط دخل الشريف حسين بن علي حـــاكم الحجاز الحرب مع بريطانيا والحلفاء ضد تركيا ودول الوسط وكانت بريطانيا قد أ عطته وعدا بان يكون ملكا على بلاد العرب في الجزيـــرة العربية والهلال الخصيب (بلاد الشـــام والعـــراق وشـــرق الأردن ، واليونان ذات المطامع الواسعة في تركيا دخلت مع الحلفاء .

وهكذا اتسعت دائرة الحرب وامتد نطاقها حتى شملت كثيرا من أنحاء العالم ووقع عبؤها على الشعوب التي جنــت ثمــرة تطــرف حكامها وذهب كثير من الرجال الى ساحة الحرب وتعطلت الشـئون الزراعية والصناعية وباقي فروع الحياة الاقتصادية من أجــل القيــام بأعباء الحرب . وتحولت الحرب من صراع معين الى نزال هــائل بــين الأمم والشعوب وقطعت الحرب المواصلات بين الدول فقلت القوات وتوقفت التجارة وعانت الشعوب من جراء ذلــك مــن المجاعــات والقحط وانتشرت الأوبئة في ساحات القتال وأضرت بالبيئة والنــاس .وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العذاب .

وكان اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب الى جانب الحلفاء ووضعها مواردها الهائلة من أموال ورجال ومؤن وذخائر تحت تصرف الحلفاء من الأمور التي رجحت كفة الحلفاء ودارت الدائــرة على دول الوسط وألمانيا التي أثارت الحرب في البداية .

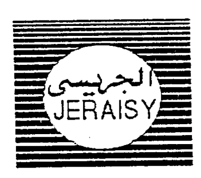
وهزمت ألمانيا ودول الوسط وطلبوا الصلح الــذي عقــد في باريس في أوائل سنة ١٩١٩م ورضيت ألمانيا بشروط الصلــح التــى وضعها الرئيس الأمريكى ولسن وهى تتضمن ١٤ بندا أهمها الجــلاء عن الأراضي المحتلة كفرنسا وبلجيكا وغيرها وتحرير الالزاس واللورين وأستقلال بولندا وتقليل التسليح وحرية التجارة وحرية البحار وأنشاء عصبة امم وأعطاء حق تقرير المصير للمستعمرات الألمانيــة وشــعوب الأمبراطورية العثمانية والأمبراطورية النمساوية .

غير أن شروط الرئيس ولسن لم تتحقق في مغزاها ومعناها فقد فشل الرئيس في تطبيق القواعد التى أتخذت أساسا للصلح ، ولم يستفد من حق تقرير المصير الا الشعوب الأوربية اما الشعوب العربية فقد قسمت أراضيها بين الحلفاء وعلى الأخص فرنسا وبريطانيا وايطاليا ، ولم يستفد ولسن من المركز الأدبى العظيم الذى وضعه فيه العالم حينما دخل المؤتمر ، فتمت التسوية على المبادئ القديمة وهى مبادئ العمل على أشفاء الأحقاد وليس العمل على أزالتها ، وسادت مبادئ ايثار المصالح الخاصة فوق المنفعة العامة ، ومبادئ الأرهاق والأستعمار فوق مبادئ الحق والعدل والحرية وهكذا حبطت الآمال والأماني التى عقدت على المؤتمر ، وهوت الولايات المتحدة أدبيا في نظر العالم ، وان كانت كفرت عن جرم رئيسها برفض المصادقة على أعمال المؤتمر .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠١/١٧٣٦١



للكمبيوتر . الطباعة . التصوير
ت : ٣٨٠٣٥٥٦ / ٥٢٣٧٢٤٩ / ٥٩٠٩٠٥٠ القاهرة
محمول : ٠١٠٦٥٣٥٥٢٥ / ٠١٢٣٤٦٢٥٢٢